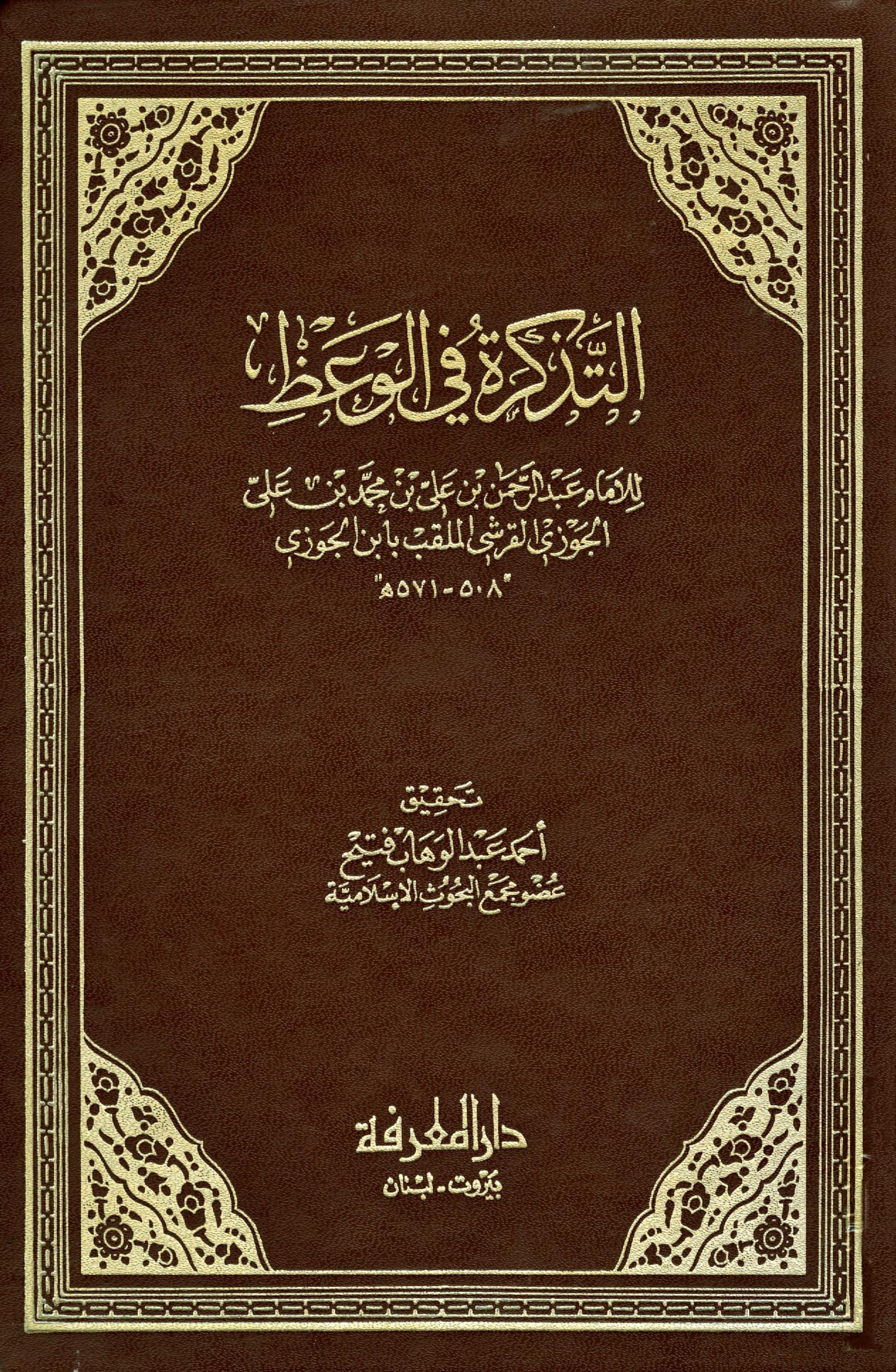


التذكرة في الوعظ
للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
الجوزي القرشي الملقب بابن الجوزي
"٥٠٨ - ٥٧١هـ"
تحقيق
أحمد عبد الوهاب فتيح
عضو مجمع البحوث الإسلامية
دار المعرفة
بيروت - لبنان

التذكرة في الوعظ

للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
الجوزي القرشي الملقب بابن الجوزي
"٥٠٨ - ٥٧١هـ"

تحقيق
أحمد عبد الوهاب فتيح
عضو مجمع البحوث الإسلامية

دار المعرفة
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دار المعرفة
DAR EL-MAREFAH

للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing



مستديرة المطار ـ شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢ ـ برقياً معرفكار بيروت ـ لبنان


التذكرة في الوعظ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحَمْد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده اللهُ فهو المهتدِ ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

﴿ يَـأَيُّهَا النَّـاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُمُ الَّـذِي خَلَقَـكُم مِن نَّفْسٍ وَّاحِـدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَـا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ الَّـذِي تَسَاءَلُـونَ بِهِ وَالأَرْحَـامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً ﴾.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيْداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُّطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيْماً ﴾.

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الحديث كلام الله وأحسن الهدي هدى محمد، وشر الأمور مُحْدَثاتها وكل مُحْدَثَة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم: أما بعد:

فإنَّ قلوب العباد بين إصبَعيْن من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء يجعل

مَنْ يشاء مؤمناً طائعاً، ويجعل مَنْ يشاء كافراً أو عاصياً، وجعل لكل شيء أسباباً فجعل للتقوى أسبابها، وللكفر والطغيان أسبابه، وجعل من أسباب التقوى ورِقَّة القلوب، واستمالتها، وجلاء صدئها مجالس الوعظ ورياض الأنس بذكر الله، وذكر حديث رسوله ﷺ، وكلام سلف هذه الأمة الصالحين.

ولما كان من دأب بعض علماء هذه الأمة أن لا يكتفي بالأثر الوقتي للوعظ ساعة ساعة فسبل وعظه ومجالسه في كتب ليفيد منها من يأتي بعده من هذه الأمة، وهذا الكتاب الذي نقدمه أفرده مؤلفه ـ وهو ابن الجوزيّ رحمه الله، وسرده سرداً جميلاً يرتق فيه القلوب ويلينها بذكر الله وما نزل من الحق، ويدفعها إلىٰ فعل ما ينفعها في آخرتها، وترك ما يضرها ويجعلها تؤثر محبة الخالق علىٰ محبة المخلوقين، وتؤثر الخوف من الخالق علىٰ الخوف من المخلوقين، فشكرها لله، وخوفها من الله، وعبادتها لله ـ عز وجل ـ متمثلة قول الحق ـ عز وجل ـ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ﴾.

وقد سمىٰ ابن الجوزيّ كتابه بالتذكرة في الوعظ وهو حقاً اسم طابق معنىٰ مسماه، فهو يذكر قارئه بالفضائل وثوابها وما أُعِدَّ لفاعليها من رياضٍ وجنات خالدين فيها ونِعْمَ أجر العالمين، والكتاب حافلٌ بالعديد من المأثورات التي تركها لنا السلف الصالح من كلامهم الطيب الجميل شعره ونثره وبخاصة النثر الجميل، وكذلك طائفة من أقوال رسول الله ﷺ ـ الطيبة العطرة، وعدد من الآيات البينات يستدل بها تارة ويشرح معناها تارة أخرىٰ، والكتاب في الجملة عبارة عن مجالس وَعْظٍ سهلة الأسلوب، شيقة المعنىٰ. تعبر بوضوح عن قدرة ابن الجوزي الأدبية، وبراعته في ذلك المضمار الذي أتقنه وأتقن غيره من الفنون والعلوم نقدمها اليوم نسأل الله تعالى أن ينفع بها المسلمين.

ترجمة المؤلف

١ ـ نسبه:

هو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن عليّ الجوزيّ، القرشيّ، البكريّ، الفقيه، الحنبليّ، الواعظ، الملقب بابن الجوزي، وكنيته أبو الفَرَج.

يمتد نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والجوزيّ نسبه إلى (فرضة الجوز)، وقيل: نسبة إلىٰ محلة الجوز بالبصرة.

٢ ـ مولده ونشأته:

ولد ابن الجوزي سنة ٥١٠، أو ٥٠٨ أو قبلها، وقد نشأ يتيماً فقد مات أبوه وله ثلاث سنين، وربته عمته وظلت ترعاه صغيراً حتىٰ إذا ترعرع حملته إلىٰ مسجد أبي الفضل ابن ناصر ـ وهو خاله ـ فاعتنىٰ به، وأسمعه الحديث، وحفظ القرآن الكريم صغيراً، وقرأه علىٰ جماعة من القرَّاء بالروايات، وهكذا نشأ ابن الجوزيّ منذ نعومة أظفاره علىٰ حب العلم والشغف به محبًّا لطلبه، راغباً في الاستزادة منه حتىٰ صارت له يد طولىٰ في جميع الفنون... يقول هو عن نفسه:

«.. فركز في طبعي حُبّ العلم وما زال يوقعني علىٰ المهم فالمهم، ويحملني إلىٰ مَنْ يحملني علىٰ الأصوب حتىٰ قَوَّمَ أمري».

٣ ـ شيوخه:

كان أول من تعلم على يديه ابن الجوزي خاله أبا الفضل ابن ناصر حيث اعتنىٰ به وأسمعه الحديث، ثم تنقل ابن الجوزي بين الشيوخ طالباً للعلم حتىٰ صار له سبعة وثمانون شيخاً منهم:

أ ـ عليّ بن عبد الواحد الدِّيْنَوَرِيّ.

ب ـ ابن الحصين

جـ ـ أبو عبد الله البارع

د ـ أبو الوقت السجزيّ

هـ ـ أبو الوفاء ابن عقيل... وغيرهم كثير.

٤ ـ حياته العلمية وثناء الناس عليه:

اتجه ابن الجوزي إلى الوعظ فاشتغل بالوعظ منذ صغره وفاق فيه الأقران، ونشأت له فيه ملكة عجيبة، وبديهة حاضرة، وتاب علىٰ يديه آلاف، وحضر مجالسه الخلفاء والوزراء فهو واعظ مجد، وعالم بفنون الوعظ ليس له فيها مثيل.

ولم يقتصر ابن الجوزيّ علىٰ الوعظ وحده وإنما نبغ في كل منه وصار من سادة أهله، ومؤلفاته في كل الفنون تدل علىٰ ذلك فهو محدث، فقيه، أصوليّ، لغويّ أديب تتمثل فيه شمولية الثقافة الاسلامية.

قال عنه موفق الدين المقدسي: «كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، وكان يدرس الفقه ويصنف فيه، وكان حافظاً للحديث وصنف فيه إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها».

وقال ابن رجب: «نعم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم ميله إلى التأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه في ذلك، ولا ريب أنّ كلامه في ذلك مضطرب مختلفٌ فيه».

٥ ـ وفاته :

توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الجمعة بين العشاءين من شهر رمضان سنة (٥٧١).

٦ ـ مصادر ترجمته :

أ ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزيّ ٩/٢٢ .

ب ـ المنهج الأحمد للعليميّ ٣١١.

جـ ـ سير أعلام النبلاء للذهبيّ ٢١/٣٦٠

د ـ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/٢٤٤ .

هـ ـ أسماء الرجال للطيبي ١٠٠

و ـ التذكرة لطاهر الجزائريّ : ١/٢

ز ـ تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٣١ .

حـ ـ النجوم الزاهرة لتغري بردي ٦/١٧٤

ط ـ الجامع المختصر لابن الساعي ٩/٦٥

ي ـ الذيل على الروضتين لأبي شامة ٢١

ك ـ طبقات المفسرين للسيوطي ١٧

ل ـ البداية والنهاية ١٣/٢٨

مـ ـ مرآة الجنان لليافعيّ ٣/٤٨٩

وغيرها من المصادر.



وصف المخطوط

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب علىٰ النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٢١ ٣٧ ـ تصوف وأخلاق) عدد أوراقها ١٦٢ ـ ورقة، مسطرتها ١٤ سطراً، بها خروم قليلة، وهي نسخة نادرة وحيدة، عليها تملكات .

منهج التحقيق

١ ـ ضبط النص: وقعت بعض الأخطاء في الأصل الخطي فقومناها بالرجوع إلى مظانّها في كتب المصنف.

٢ ـ التعليق على الكتاب: وقد اشتمل علىٰ أمور عدة:

أ ـ تخريج الآيات القرآنية الشريفة.

ب ـ تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، وقد اقتصرت فيما أخرجه الشيخان ـ أو أحدهما ـ بالعزو إليه عما سواي الشيخين.

وقد حرصنا علىٰ نقل ما قاله العلماء من تصحيح أو تضعيف لتلك الأحاديث.

جـ ـ شرح غريب اللغة.

د ـ وزن الشعر ونسبته لقائليه، وقد أكثر ابن الجوزي من الشعر حتىٰ ليرىٰ

القارىء أنه لا يكاد يتكلم في جزئية ما إلا ويأتِي بما يدعم المعْنىٰ أو يتضمنه من الشعر.

ـ ترجمة موضوعات الكتاب، وقد تركها المؤلف بغير ترجمة.

٣ ـ فهرست أحاديث الكتاب وآثاره مرتبة هجائياً حسب أطراف الحديث.

٤ ـ فهرست الموضوعات.

ونسأل الله العظيم أنْ يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يُحْيِيَ به قلوباً قد أماتها حب الدنيا وكراهية الموت.

اللهم نجنا من شرور أنفسنا، واختم لنا بالصالحات إنك سميع، قريب، مجيب الدعوات يا رب العالمين.


كتاب تذكرة ابن الجوزي

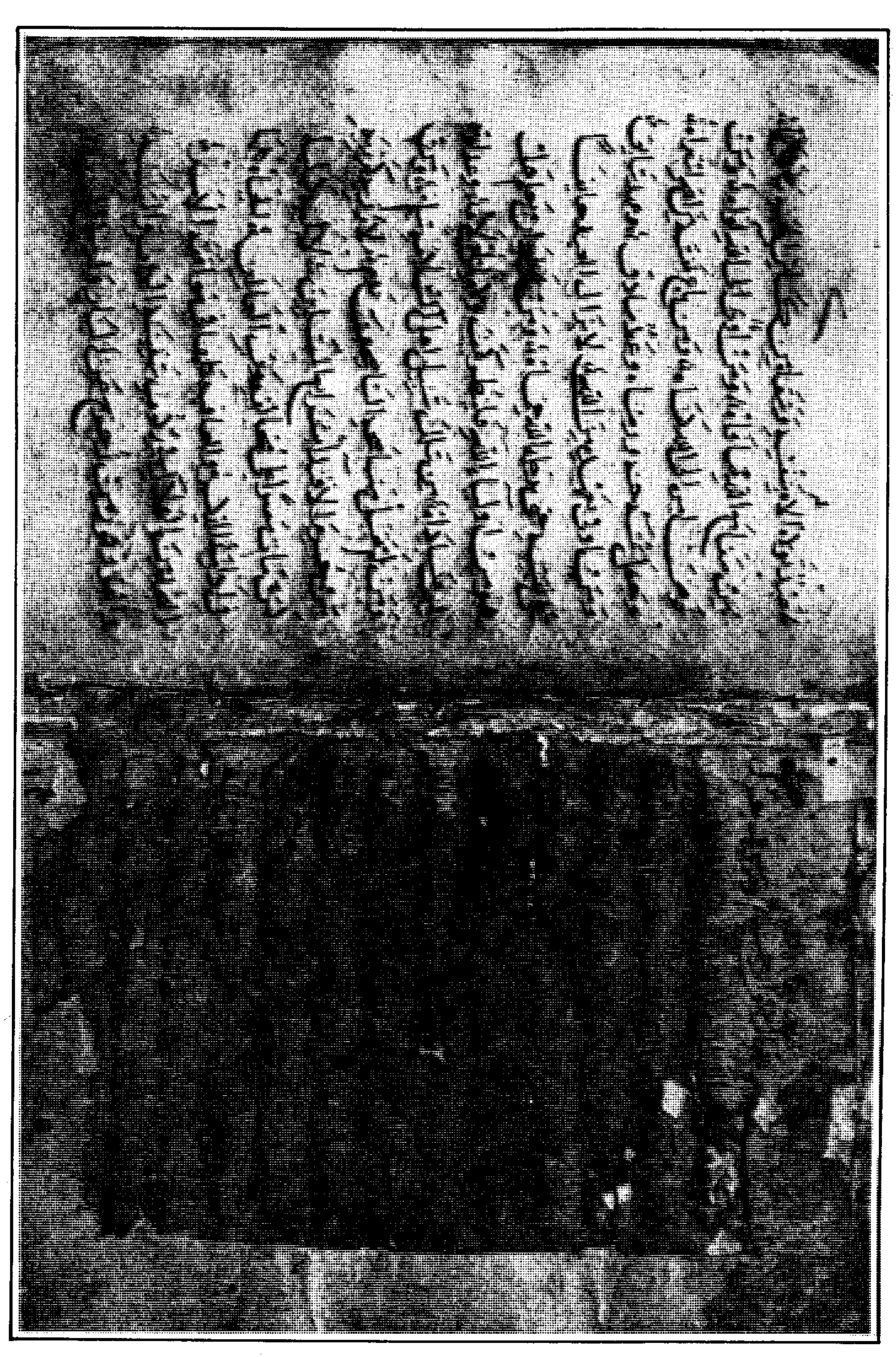
وعظ للشيخ الإمام العالم العلامة

الزاهد الورع أبي عبد الله عبد الرحمن

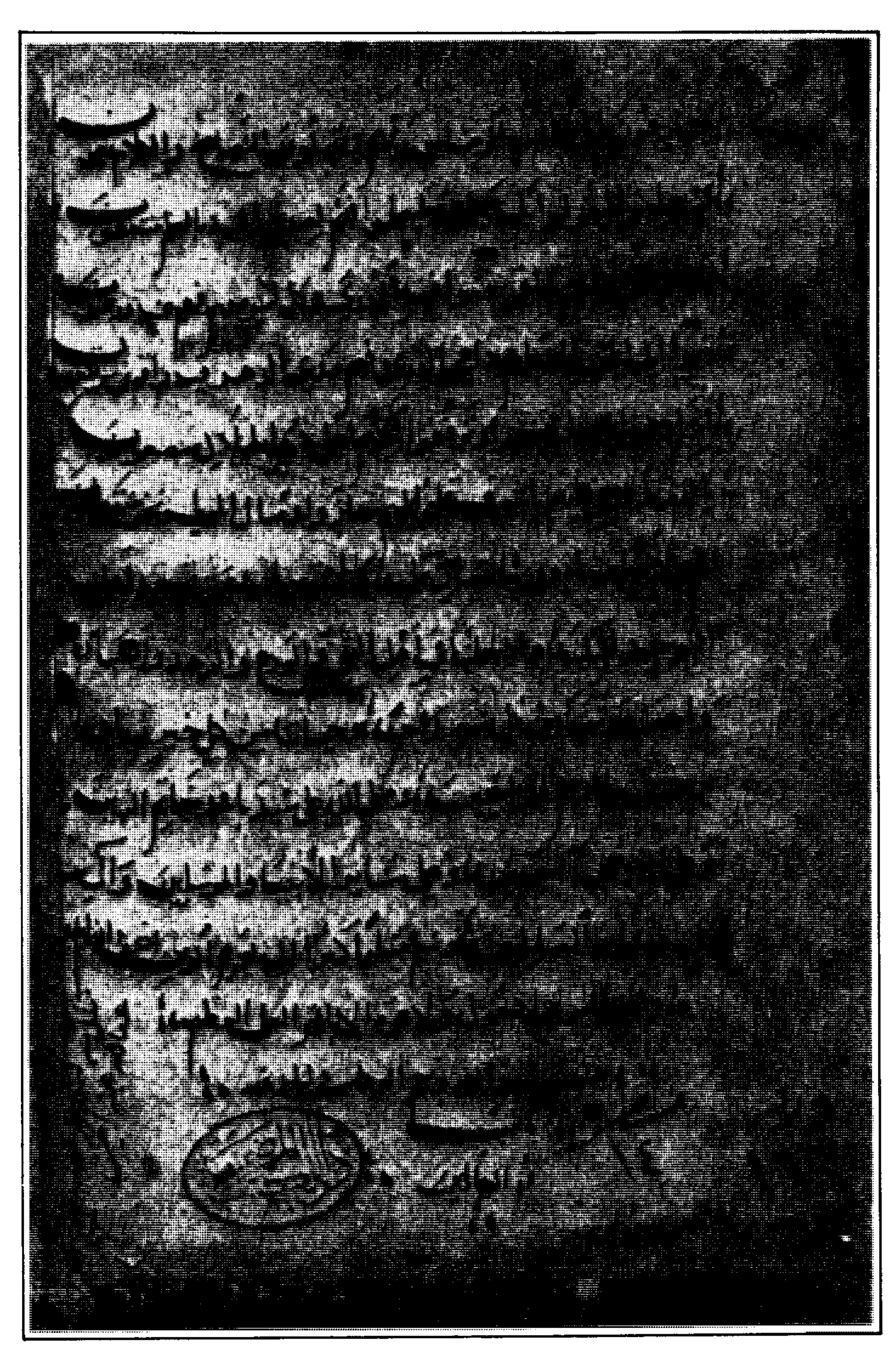
ابن الجوزي

رضي الله عنه

صورة لوحة العنوان للأصل الخطيّ



صورة الورقة الأولى من الأصل الخطيّ



صورة الورقة الأخيرة في الأصل الخطيّ

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

سبحان الله ما تعاقبت الليالي والأيام، والحمد لله عـدد الشهور والأعـوام، ولا إله إلا الله الذي لا تتصور عظمته الأوهام.

والله أكبر ذو الجلال والإكرام، والعزة التي لا تـرام، مدهِّـر الدهـر، مدبِّـر الأمر، ومقدِّر اليوم، والليلة، والسنة، والنهار، والعالي فـوق كل شيء بـالسلطان والقهر والجلال.

كل معبود دون الله باطل، وإنه وحده دون غيره رب الأواخر والأوائل.

كيف يكـون غيرَ الله معبـودٌ سواه، وكـل من تحت عرشـه يرجـوه ويخشاه؟ أليست الشمس والقمـر والنجوم مسخـرات؟ أليست السموات والأرض ومـا فيهـا بحكمته مدبرات؟ أليست الهلال بتسخيره على أقطارهـا دائرات؟ أليست العقـول في فلوات تيه[1] معرفته حائرات؟

سبحانه سبحانه، ما أعظم شأنه.

سبحانه سبحانه، ما أدوم سلطانه.

(١) « الفلاة » الأرض لا ماء فيها. « التيه » المفازة وهي التي لا علامة فيها يهتدى بها. وتـاه: ضل عن الطريق.

عبدٌ تَولاَّه إلاَهُ بنفسه وَسَقَاهُ من كَأْس المحبَّةَ ما فيها

من صفا مع الله صافاه، ومن أوى إلى الله آواه، ومن فوض أمره إلى الله كفاه، ومن باع نفسه من الله اشتراه، وجعل ثمنه جنة ورضاه.

وعظٌ(*) صادق، وعهد سابق، ﴿ **ومن أوفى بعهده من الله** ﴾[1].

لا يزال العبد خائفاً على نفسه حتى يدخله الله حماه، ومن أراد أن يعلم هل هو من أولياء الله؟ فلينظر كيف ولاه لمن أولاه، وعداوه لمن عاداه؟

من سلك سبيل أهل السلامة سلم، ومن لم يقبل مناصحة الناصحين ندم.

لا رزية كرزية[2] من حرم الاقتداء بشرائع المسلمين.

لا بلية كبلية من مات مصرًّا على مخالفة رب العالمين.

الحياة كلها في إدامة الذكر، والعافية كلها في موافقة الأمر، والنجاة من الهلاك في ركوب سفينة الكتاب والسنة، والفوز فوز من زحزح عن النار وأدخل الجنة.

ليس الميت من خرجت روحه من جنبيه، وإنما الميت من لا يفقه ماذا لربه من الحقوق عليه.

الكرامة كرامة التقوى، والعز عز الطاعة، والأنس أنس الإحسان، والوحشة وحشة الإساءة، وكل مصيبة لا يكون الله عنك فيها معرضاً فهي نعمة.

الغفلة عن الله ما قدحنا شيء غيره، ولولا الجهل بعظمة الله ما زغنا عن أمره، ولولا الاغترار بحكم الله ما أصررنا على معصيته، ولولا الإساءة فيما بيننا

(*) ولعل الصحيح: وعدٌ ـ وهذا ما يقتضيه السياق.

(1) سورة التوبة. الآية: ١١١.

(2) «الرزية»: المصيبة.

وبين الله ما استوحشنا من كتابه.

كونوا كما أمركم الله، يكن لكم كما وعدكم.

أجيبوا الله إذا دعاكم، يجبكم إذا دعوتموه.

اعطوا الله ما طلبه من طاعته، يعطكم من رحمته ما طلبتموه.

مثل العبادة بغير إخلاص، مثل الحَدَقَةِ بلا ناظر.

تسمية الله في ابتداء كل أمر، نجاح ذلك الأمر[1].

استهداء الله في كل مسلك أمان للسائر من الضلال.

أيها الناس: من أكرم على الله منكم لو أكرمتم أنفسكم بالتقوى، من أولى بالله منكم لو أحكمتم فيما بينكم وبينه عقد الولاء، من أقرب إلى الله منكم لو آثرتم القرب على النوى.

لو عرف الإنسان قدر نفسه مادسَّاها[2] بمعصية الله، ولا دنَّس عرضه بسوء ثناء الحفظة عليه في حضرة مولاه.

ولا يؤنس في وحشة القبر إلا العمل الصالح، ولا يطفىء لهب النار إلا نور الإيمان، ولا يثبت القدم على الصراط إلا الاستقامة في السلوك.

الرب خالق، والعبد مخلوق، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق إلا بواسطة الارتباط عليه بالعمل بكتابه الذي أنزله عليه فاعملوا بالكتاب، وتابعوا السنة، تتخلصوا من العذاب وتحصلوا على الجنة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

---

(١) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر أو قال أقطع». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

(٢) «دسَّاها» حقر نفسه بالكفر والمعاصي وأوردها موارد الهلكة.



المجلس الأول

نعم الله تستوجب شكره

الحمد لله الذي أيسر نعمه ما يستوجب شكر الشاكرين، وقطرة من بحار كرمه تعم جميع العالمين، تُملأ القلوبُ فرحاً بالموهبة اليسيرة من هباته، وتحير القلوبُ دهشاً بالآية اللطيفة من بدائع آياته.

قتل ملك[1] الأرض كلها ببعوضة دخلت أنفه، وأغرق الذي قال: ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾[2] بقطرة أوردته حتفه، وهل أغرق فرعون من تيار ذلك الماء إلا قطرة حالت بينه وبين شم الهواء.

يجوع الملك العظيم من ملوك الأرض ساعة، ثم يَلقَى كسرة فتملأ قلبه سروراً.

ويبتلي الأسد الضاري بذباب يسقط على عينه، فيظل في قبضته أسيراً.

ويسلط الحية الصغيرة على الفيل العظيم، فيخر منجدلاً[3] عقيراً.

---

(١) يقال إنه النمرود الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه وكان ملك الأرض.

(٢) سورة النازعات الآية:٢٤

(٣) « منجدلاً »: منكسراً.

﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً ﴾[1].

* * *

إذا اكتنفَتْك عِظامُ الأمُور ولم تر منها عليها مُجيرا
وصيَّرك الهمُّ في قبضةٍ من النّايبَات[2] أسيراً حسيرا[3]
هنالك فارجُ الكريم الذي يُصيِّر كل عسير يسيرا
عليًّا كبيراً عليماً قديراً لطيفاً خبيراً سميعاً بصيرا
هو المُنْشىءُ الخلق من قبضته فعبداً شكوراً وعبداً كفورا
وعبداً سعيداً وعبداً غنيًّا وعبداً شقيًّا وعبداً فقيرا
له الفضلُ والعدلُ في حُكمه فَطَوْراً حَبوراً وطَوْراً ثبورا

* * *

لولا الخالق لم يكن المخلوق شيئاً مذكوراً، ولولا الرازق لم يملك المرزوق فتيلاً[4] ولا نقيراً[5]. كم من نعمة قد أنعم الله بها علينا، وكم من حسنة قد ساقها الله إلينا: عافانا في أديانا من الكفر، وفي أبداننا من الضّر، وأخرجنا من أصلاب آبائنا مسلمين، وأنشأنا بين إخوان مؤمنين، وجعل لساننا الذي نتكلم به من أفصح الألسنة لهجة، وطريقنا الذي نسلك به إليه من أوضح الطرق محجة.

---

(١) سورة فاطر الآية: ٤٤

(٢) « النايبات »: مصائب الدهر.

(٣) « حسيراً »: مَأذيًّا.

(٤) « فتيلا »: الفتيل: التافه من الأشياء. وأيضاً ما بين شقّي النواة.

(٥) « نقيراً »: النقرة في ظهر النواة.

فبأي شكر نقابل نِعَمَهُ علينا، وبأي جزاء نكافىء إحسانه إلينا.

سبحانه، سبحانه.

ما قام أحد من خلقه بحقيقة شكره، ولا أثنى عليه مُثْنٍ من عباده كما أثنى هو نفسه، ولا قدَّره مخلوق حق قدره، لأن ذلك كله موقوف على المعرفة به، وهي بحر ما بلغ أحد إلى قعره.

سبحانه، سبحانه.

ما أسبغ أنعمه، وأعدل أحكامه.

لو أننا شكرنا كما في وسعنا لأوسعنا مزيداً، ولو اتخذناه كما ينبغي له ربًّا لاصطفانا لنفسه عبيداً، ولكننا لِكِشَافَةِ الحجاب وقفنا مع الأسباب.

كم مُدَّعٍ للتوحيد وهو مشرك بربه، وكم قائل أنا عبد الله وهو عبد بطنه، يعصي ربه في إطاعة نفسه، ويبيع رضوان الله برضا مخلوق مثله.

كم بين متبع للهوى ـ هوى نفسه ـ قد اتخذ إلٰهه هواه.

وبين ممتثل أمر ربه يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله.

أما يستحي المدعي لمحبة الخالق، أن يكون محبًّا لمخلوق أحسن منه في معاملة الحبيب أدباً؟ وأصح منه في دعوى المحبة نسباً؟

رؤى مجنون ليلى بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وقال لي: إذهب، فقد جعلتك حجة على كل من ادعى محبتي.

* * *

أَهَّلُونا لِوَصْلِهِمْ ثم صدُّوا ليروا صَبْرَنا فما إن صَبَرنا
ثم جاؤوا بالقُرْب بعد بُعادٍ لِيَرَوْا شكرنا فما إن شكرنا
عَذَرُونَا في كل شيء سوى السُّلُوِّ عنهم فإننا ما عُذرنا

لو عرفنا حَبِيبَنَا ما سَلَوْنا ولكن قدره ما قدرنا
لو سَعِدْنا بوَصْله ما شقينا لو غُنِينَا بفَضْله ما افتقرنا
لو رُوينا من حبِّه ما ظَمِئْنا لو سلكنا في طريقه ما عَثَرنا
هو نعم الحبيب لكننا بُئَيِّس[1] المجبُّونَ لم نُطع إذا أُمِرنا
شَعْرةً من حَنَان ما قربنا لي لمةً في مرضاته ما سَمِرْنا
لو ذكرنا ما كان منه ومِنَّا لَخَزينَا لكننا ما ذَكَرْنا

* * *

الزهد في الدنيا وطلب الآخرة

ينبغي للعبد المؤمن بربه إذا نظر إلى زهرة الدنيا، فدعته إلى نفسها، برونقها البهيج، أن يقول لها بلسان الحال: إليك عني يا سريعة الزوال! إنما تصلحين للتشويق إلى دار ليس لساكنها عنها انتقال، أنت خزف فانٍ، وتلك جوهر باقٍ، فلتفرق بين الدارين عقول الرجال.

* * *

خلِّ عن مَنْزِلِ الزَّوالِ والفَنَـ ـاءِ ويَمِّمْ نحو الجَنَابِ العَالي
منزلَ الكرامةِ والأنسِ والبـ ـرِّ ونَيْلِ المنى ونَيْلِ النَّوال
تلكَ واللهِ دَارُ قَوْمٍ شَرَوْها بِنَفيسِ النّفوس والأموال
حين زُفَّت إليهم خَطَبوها ثم سَاقُوا لها المُهُور الغوالي
قاتلوا دُونَ خدْرها في هواها بصفاح[2] بيضٍ شر غوالي
ثم حامُوا عنها وحامُوا عليها بورود الأوجال والآجال[3]

---

(١) « بئيِّس »: تصغير بئس.
(٢) « بصفاح »: بسيوف.
(٣) « الأوجال » الوجل: الخوف. والأجل: التهييج.

فامتطوا عزم معشرٍ رغبوا في أن يحلوا ساميات المعالي
سادةٌ قادةٌ حماةٌ كَماةٌ محبُ مزلٌ فحَولٌ ورجال
لبسوا للردى دروع اصطبارٍ ولقوه بعَزْمَةِ الأبطال
خشيةَ أن يفوتهم مَا رَجَوْهُ من جناب المهيمن المتعال
لم يزالوا في السير حتى أَنَاخُوا[1] بمحل الإكرام والإجلال
مقعد الصدق في جناب مليكٍ ذي اقتدارٍ وعزّةٍ وجلال

* * *

صفات الفائزين

أين خُطّاب هذه العرائس؟ أين طُلاب هذه النفائس؟ هم الذين مدحهم الله في محكم القرآن، في أول سورة المؤمنون[2]، وآخر سورة الفرقان[3].

تلك واللهِ صفات الفائزين بالرضوان، الخالدين في نعيم الجنان، الحائزين زغائب البر ومواهب الإحسان.

اللهم بما أنعمت عليهم، فارزقنا ما رزقتهم في الدنيا، من طاعتك وذكرك، وفي الآخرة من نعيم جنتك، ولذة النظر إلى وجهك، وألحقنا بهم، وأدخلنا فيهم، واجعلنا منهم، ولا تجعل نصيبنا منك ما عجلته لنا من مواهب الدنيا، بل ادخر لنا عندك ما ادخرته لأهل سلامة العقبى.

واجعل الآخرة خير لنا من الأولى، وإذا أقررت أهل الدنيا بالدنيا، فأقر أعيننا بموجبات المغفرة والرحمة والرضا.

يا من عاد يمنع ركنه العائذون، سبحانك، ما أعظم شأنك.

يا من دعته الملبون ـ سبحانك ما أعظم شأنك ـ يا من مَدّ إليهم أكفهم السائلون ـ سبحانك ما أعظم شأنك، يامن تقوم السماء، والأرض بأمره ـ يا من ينقاد الصعب الذلول بحكمه، يا من يفرق المحسن، والمثنى من عدله ـ يا من

---

(١) « أَنَاخُوا » أناخ الجمل: اي أبركه فبرك: استراحوا.

(٢) يقصد قول الله تعالى: قد أفلح المؤمنون . . . الآيات (١ ـ ١١).

(٣) يقصد الآيات: وعباد الرحمن. . الآيات (٦٣ ـ ٧٧).

يفتقر الغني، والفقير إلى رزقك سبحانك ما أعظم شأنك ـ يا من خضعت الأعناق لعزته، يا من توجهت الوجوه إلى قبلته، يامن اعترفت الخليقة بربوبيته، سبحانك ما أعظم شأنك، يامن له ما في السماوات والأرض كل له قانتون، يـامن دعا إلى حـج بيته على لسـان خليله فلباه في الأصـلاب الملبون يـامن عكف على بـاب فضله العـاكفون. إليـه بالـدعاء والسؤال يجأرون، وبرحمتـه في الدنيـا والآخـرة يتعرضون ومن مخالفة أمـره يستغفرون، وبـأذيال عفـوه يتمسكون. سبحـانك مـا أعظم شأنك.

سبحانك، ما أوضح برهانك.

سبحانك، ما أقدم سلطانك.

سبحانك، ما أوسع غفرانك.

سبحت لك السموات وأمـلاكها، والنجـوم وأفلاكهـا، والأرض وسكانهـا، والبحار وحيتانها، والسادات وعبيدها، والأمـطار ورعودهـا، والملوك ومماليكهـا، والجيوش ومعاركها، والديار وأطلالها، والأسود وأشبالها.

كلٌّ معترفٌ. .

فإنك لفطرته خـالق، ولفاقتـه رازق، وبناصيتـه آخذ، وبعفـوك من عقابـك عـائـذ، وبـرضـاك من سخـطك لائـذ، إلا الـذين حقَّت عليهم كلمـة العـذاب، فالقضاء فيهم نافذ.

* * *

يـا مـالكـاً هـو بـالنّـواصي آخـذْ ... وقـضـاؤه فـي كـل شـيء نـافـذْ

أنـا عـائـذٌ بـك يـا كـريم ولم يَخِب ... عـبـدٌ بعـزِّك مسـتـجـيـرٌ عـائـذْ

أرجـوك يـا سُـؤْلي فتحيـا مُهجتي ... والخـوف من عَملى لكَبـدي فـالِـذْ

إن لاذَ غـيـري بـالأنـام وظُلمـهم ... فـأنـا الـذي بـظَلِيـل ظلِّك لائـذْ

فـامنُن عليَّ بتـوبـةٍ يُـمحـا بـهـا ... ذَنبٌ فـظهـري في القيـامـة قـائـذْ

* * *

مجالس الذكر ولحظات القرب وساعات الغفران

في مثل هذه الساعة يرجى الغفران، ويتوقع الإحسان، ويطلب من صاحب الأمر الأمان.

لو كشف عن الأبصار حوابك الانتشار، لعاينتهم الرحمة، تنزل في هذا الوقت كالأمطار الغزار.

كم لله في مجالس الذكر من عينٍ محرمة على النار، كم قد وضع فيها عن الظهور من ثقل الأوزار، وتنفجر فيها ينابيع الرحمة، ويتوفر فيها على الحاضرين من النعمة، ويعطى كل سائل ما سأله، ومبلغ كل آملٍ ما أمله، من كرم ذي الجلال والإكرام، ومواهب من له الفضل والإنعام، الذي لا يتعاظم ذنبٌ غفره لجانيه، ولا فضل وهبه لسائله. فأحضروا في هذه الساعة قلوبكم، واغسلوا بمياه التوبة ذنوبكم، واستغفروا ربكم فإنه يغفر ذنوب المستغفرين، واعتذروا إليه من تقصيركم، فإنه يقبل عذر المعتذرين، واستنصروه على من بغى عليكم، فما أسرع نصرته إلى المنتصرين.

من كان مقيد الجوارح عن محارم الله فهو رأس الخائفين.

ومن كان لا يسكن بقلبه إلى شيء سوى الله فهو سلطان العارفين، فارغبوا في القرب من الله.

لله دُرَّ أقوامٍ عكفوا بقلوبهم عليه، وتقرّبوا بذبح نفوسهم إليه، لا يسعون في محبته عذل العاذلين، ولا يعتذرون بالإنفاق في سبيله بِنِحَل النحالين.

أبغضوا كل من سواه ليكون منهم دانياً، وخرجوا من كل شيء ليدخلوا إليه، وظعنوا[1] عن كل شيء ليقدموا عليه، وهجروا كل حبيب في طلب وِصَالِهِ، وأعرضوا عن كل قريب طمعاً في إقباله.

---

(١) ظعنوا أي: ساروا ورحلوا من مكان إلى آخر. اهـ. اللسان.

فلو قيل لهم: من معبودكم؟ لقالوا: الله. ولو سئلوا: ما مقصودكم؟ لقالوا: الله. فالله سبحانه هو معبودهم الذي يعبدونه، ومقصودهم الذي لا يستقرون دونه.

* * *

لربِّي عبادُ وحدهُ يعبدونهُ يرومونهُ لا يستقرون دونه
هو السندُ الأقوى استندُوا به هو القَصْد الأقصى الذي يقصدونه
إذا اعتمد المضطّر في الخَطْب[1] غيره فليس لهم إلا هو يعتمدونه
إذا حسَدَ الناسُ الملوكَ بمُلْكهم فليس لهم في الناس من يَحْسدونه
لأنهم حَلُّوا ضَمَاير مالكٍ فمهما أرادوا عنده يجدونه
محبّته القُوت الذي يقتدونه وتوحيده الوِرْد[2] الذي يردونه
متى فاتهم من وَصْلِهِ قدر ذرّةٍ فبالروح زال القدر الذي يفتدونه
لهذا اصطفاهم للعبادة دون من سواهم فهم طوال المدى يعبدونه
تولّاهم دون الوَرَى[3] فَوَلَاؤه طراز[4] على ثوب التقى يرتدونه

* * *

دعاءٌ وثناء وابتهال

هذه ساعة رفيعة القدر، منيرة الفجر، قد أثنينا فيها على الله بالأبد، وجلونا فيها محاسن آلائه.

والرب سبحانه قد أشرقت علينا أنوار قربه، على القلوب، ورجونا من سعة عفوه غفران الذنوب.

فمدّوا أيديكم لنستقى سحب رحمته الممطرة، ونستكسى من رضوانه

---

(١) « الخطب »: الأمر.

(٢) الورد: الماء المورود ويطلق أيضاً على الإبل الواردة.

(٣) « الورى » : العباد.

(٤) طراز: أي الرسوم التي تكون على الثوب.

الحلل الفاخرة.

ومن كـان منكم لبعض إخـوانـه المؤمنين مصـارمـاً، فليكن من الآن على مواصلته عازماً.

ومن كان مصرًّا على مكروه، فليقلع عنه.

ومن كان قد أصاب ذنباً فليتب إلى الله.

ومن كان مشاحناً لجاره، فليقصـد حسن الجوار، فلا حق بعد حق القـرابة أعظم من حق الجار.

وقـولوا بقلوب حـاضرة، خـاشعة، إلى كـرم الله طـامحـة، في نيـل رضـاه طـامعة: يـا حيُّ يا قيّـوم، يا ذا الجـلال والإكرام، يـا أرحم الراحمين، يـا كثيـر الخير، يا دائم المعروف، يا ذا المعروف الذي لا ينقـطع أبداً، ولا يحصيـه غيره أحداً.

يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا مفضل: نسألك ممـا كتبت على نفسك من الرحمة، ومما في خزائن فيضك، ومكنون غيبك، أن تُضَاعِف صلواتك على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسائر عبادك الصالحين.

اللهم اعتقنـا من رق الذنـوب، وخلصنا من أَشَـرِ[1] النفوس، وأذهب عنـا وحشة الإساءة، وطهرنا من دنس الذنوب، وباعد بيننا وبين الخطايـا، وأجرنـا من الشيطان الرجيم.

اللهم طيِّبنـا للقائـك، وأهِّلنا لـولائك، وأدخلنـا في المرحـومين، وألحقنـا بالصالحين، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتـك، وتلاوة كتـابك، واجعلنـا من حزبك المفلحين، وأيدنا بجنـدك المنصورين، وأرزقنـا مرافقـة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

---

(١) أَشَرَ بفتح الهمزة والشين المعجمة أي البطر وهو أشد الكبر. اللسان.

اللهم اغفر لنا ما مضى من ذنوبنا، واحفظنا فيما بقي من أعمارنا، وكلما عُدنا بالمعصية فعُد علينا بالتوبة منها.

وإذا ثقلت علينا الطاعة فهوِّنها علينا، وذكِّرنا إذا نسينا، وبصِّرنا إذا عمينا، وأشركنا في صالح دعاء المؤمنين، وأشركهم في صالح دعائنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

لخالقنا الحمد على ما مَنَّ به من الفضل وأنعم، وله الحمد عدد ما أسبغ على خلقه من النعم، وله الحمد كما يستوجبه على جميع الأمم، وله الحمد كما أثنى على نفسه في القدم. وله الحمد كما أجراه على ألسنة حامديه، وألهَمَهُمْ حمداً تضيق عنه الآفاق، ولا تسعه السبع الطباق، كما يحب ويرتضي، ينقضي الليل والنهار ولا ينقضي، لا تحصيه السفرة الكرام، ولا تفنيه الليالي والأيام.

وكيف لا نحمد خالقنا الذي لم يشاركه في خلقه أحد، ورازقنا الذي لو عددنا نعمه لم يحصرها العدد.

كنا أمواتاً فأحيانا، وفقراء فأغنانا، وهو الذي أطعمنا وأسقانا، وكفانا وآوانا، وأرسل إلينا رسولاً، وأنزل علينا قرآناً، وأجرى على جوارحنا طاعة، وكتب في قلوبنا إيماناً.

فله الحمد على ما أولانا، إن رحمنا أو عذّبنا، وإن أسعدنا أو أشقانا.

* * *

المتقون محبوبون في الدنيا فائزون في الآخرة

- السلطان العادل وجنده: يحاربون الأعداء، ويفتحون الأمصار، ويغنمون الأموال، فيكون ذلك لهم لذة في دنياهم ومثوبة في أخراهم[1].

- والعلماء الذين يعلمون الناس علوم الدين: فهم في الدنيا بين الناس مكرمون،

---

(١) روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر وإن يأمر بغيره كان عليه منه».

وفي الآخرة على هداية الخلق إلى الله مأجورون[1].

- والمؤدبون أولادهم بالآداب الحسنة، والعلوم النافعة: فالوالد يُحسِّن حال ولده، فهو أبيض الوجه، قرير العين في الدنيا، رفيع المنزلة، عظيم المثوبة في الآخرة.

- والمعامل للناس بالصحة والسلامة في مجاورتهم ومعاشرتهم: ، فهو في الدنيا أبيض الوجه، وفي الآخرة عظيم الأجر.

- والموسع على عياله من صالح كسبه: فهو مسرور لحسن حالهم في الدنيا، ومأجور على إحسانه إليهم في الآخرة.

- والمتقربون إلى الله تعالى بقربان الأضاحي، وسائر ما فيه النفع المتعدي: فهم لا يزالون يسمعون الناس حسن الثناء، مع ما ادخر الله لهم من حسن الجزاء.

- والزاهد العابد، الذي قد أقبل على ربه، وأعرض عن شهوات نفسه: فهو في الدنيا حبيب القلوب والأرواح، وفي الآخرة مبعوث في زمرة أهل الفوز والصلاح.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

طوبى لعبد إذا أحسن إليه ربه حمد وشكر، وإذا أساء إلى نفسه تاب واستغفر.

كلما قضى عليه بمعصية اغتم وحزن، وكلما وفق لطاعة فرح واستبشر.

* * *

(١) روى أحمد في مسنده عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أربع تجري عليهم أجورهم بعد الموت رجل مات مرابطاً في سبيل الله ورجل علم علماً فأجره يجري عليه ما عمل به - وفي رواية. ومن عمل علماً أجرى له مثل ما علم - ورجل أجرى صدقة فاجرها يجري عليه ما جرت عليه ورجل ترك ولداً صالحاً يدعو له».

يـا مَن بغيـر رِضَـاه لا أستبشـر | أَتُـرى بقُـربى من جنـابـك أظْفُـر
حُـزنى على ما فـات منـك مُـلابسي | أغْـدو بهـا بين الـورى أتَبَخْتـرُ[1]
وإذا اغْتـذى قلبٌ بـطيب مـطاعم | فَـغِـذاء قـلبي أنـه لـك يـذكـر
وإذا تـقـرَّب نَـاسـكٌ بـضحيـة | فـضحيتي أنـى لـنفسـي أنـحـر
يـا مـالـك الـرِّقّ الـذي لغيبـك | حقًّـا على كـل المـوالي المفخـر
مـالي هجـرت ولم أزل بـك عـائـذاً | إنـي إذاً عـن الـوصـال وأهـجـر
وكُسـرت بالإعـراض منك ولم يـزل | قلب الكسيـر ببـاب جُـودك يُجبـر
إن كنت تُعـطي السائلين لفقـرهم | فـإنّـا إلـى حـذواك منـهم أفـقـر
أو كـان بـالجُـرم الكبيـر جَـرَمْتَني[2] | فـأنـا الشهيـد بـأن عفـوك أكبـر
مثلي يُسـامـح بـالـذنـوب لأنني | مـن أن تـؤاخِـذ فـيَّ أذل وأحـقـر
هَبْنـي أتيتُـك بـالجـرائم كلهـا | أنت الـذي كـل الجـرائم تغـفـر

* * *

مقارنة بين حال الغافلين والمستيقظين

لـك الغافلين من الحمقى والشبـاب، في لبس مبغضـات الثيـاب، وتنـاول ألوان الطعام والشراب، واللهو بين الرياض والأنهار مع الأخدان[3] والأتراب.

ولك المستيقظين في إنفاق الأعمال الصـالحة لإحـراز الثواب، والاهتمـام بأمر العاقبة لكـريم المآب، وإنقـاذ نفوسهم من سـوء الحساب، وأليم العـذاب، والفوز بمفاز ذي حدائق وأعناب، وكواعب أتراب، ولذة العارفين فيما يقربهم من جناب العزيز الوهاب. لا تهتمون بمـا تحت العرش ومـا فوق التـراب، لأن ذلك كله مخلوق والاهتمام بالخالق أوجب عند أولى الألباب.

---

(١) اتبختر: أزهو وأفتخر.

(٢) « جرمتني »: الجرم: الذنب.

(٣) «الأخدان»: الخدن الصديق.

إذا أعجبتك الدنيا برونق رائقها، فاجعلها سبباً للشوق إلى رياض الجنة وحدائقها. وإذا بهرتك الجنة بنعوت ذرابيها ونمارقها، فاجعلها حاديا تحدوك إلى جناب خالقها.

* * *

رؤيا عن الجنة ونعيمها

رأيت يوم جمعة في المنام، ونحن في انتظار الصلاة، قائلاً يقول:

إنما يصلح العبد لحضرة الله، بعد أن يجعله في الجنة، بين حورها وولدانها وسائر نعيمها، ثم تراه غير ملتفت إلى شيء من ذلك، فحينئذ يرسل جبريل فيدعوه إلى الحضرة.

لعمري إن جنة عدن عظيمة القدر، ولكن حضرة الله أعظم ما فيها.

وجنة الفردوس لذيذة الوقع، ولكن ألذ منها النظر إلى وجه بانيها.

كما لا يُشبه الله تعالى شيء من خلقه، كذلك لا يستغني عنه بشيء من رزقه، قدر هذا الكلام فوق همة القائل والسامع، وما منّا إلا من هو في نيل هذا الأمر طامع، فنعوذ بالله أن يكون طمعنا غروراً، ونسأله ألا تكون حقيقة الزيادة في حقنا زوراً.

لولا رجاء كريم، وعدل، ما طمعنا أن نزور، لكن وعدت وليس وعدك زوراً. نستغفر الله العظيم.

طريق الخشية والتعظيم، طريق مأمون العثار سليم، فعظّموا الله العظيم، بمبلغ ما تبلغه عقولكم وأفهامكم.

وأطيعوه بقدر ما تحتمله قلوبكم وأجسامكم.

واسألوه أن يجعل نعمه عليكم عوناً على طاعته، وبلاغاً إلى جنته، وباعثاً على محبته وسابقاً إلى ما أعده لأوليائه في دار كرامته.

وأشركوا الأرامل والأيتام في ما تصطفونه لأولادكم من شهيّ الطعام.

وأحسنوا مجاورة الجيران، ومصاحبة الإخوان.

واملأوا أوقاتكم طاعات وقرباً، ولا تتخذوا دينكم لهواً ولعباً.

واعلموا أن سرور المؤمنين يوم يعبرون القناطر، ويأمنون المعاثر، فذلك يوم عيدهم، وطالع شعورهم.

وما داموا في دار الغرور فلا غبطة ولا سرور، وأي سرور لمن الموت معقود بناصيته، والذنوب راسخة في آنيته، والنفس تقوده إلى هواها، والدنيا تتزين في عينه بمشتهاها، والشيطان مُستبطنٌ فقار ظهره، لا يفتر عن الوسوسة في صدره، ونفسه، وماله، بعرضِهِ الحوادث، لا يدري في كل نفس ما عليه حادث.

ومن ورائه المغير، ومساءلة منكر ونكير، ويوسد التراب إلى يوم النشور، والقيام في يوم، لا يبلغ وصف أهواله، ولا شرح أحواله، ما لا يسع المؤمن به أن يستقر له قرار، ولا يخلد إلى هذه الدار، ولا يكون له هم في هذه الدنيا، إلا التقرب بأنواع القرب، واجتناب الفواحش والريب، وإقامة الدين الذي في إقامته النجاة، وفي تضييعه العطب.

* * *

المجلس الثاني

أربع من المهلكات

إخواني :

سبح المسبحون بحمد الله اللطيف الخبير، ما بلغوا من تعظيمه مثقال ذرة.

واجتهد العارفون في العلم بصفات العلي الكبير، ولم يشربوا من بحر معرفته مكيال قطرة.

وشمّر المجتهدون في طلب القرب من جناب العزيز الحكيم، ثم ماتوا وفي قلوبهم من القرب حسرة.

وكيف تُدرك عظمة من لا يحاط به علماً، أم كيف يُتناسى القرب من جناب من ليس لارتفاعه منتها، ولا وراءه مرمى.

إلـه انتظمت الأمور بتدبيره، وتقدرت 'العلوم بتقديره، ومهّد بساط المكان لأجسام العالمين وطأً، ومدَّ رواق الزمان بحركات العالمين وعاءً، وصرّفه فصولاً مختلفة الطبائع : ربيعاً، وخريفاً، وصيفاً، وشتاء.

أربعة أعمال قطعت أعناق الرجال :

ـ أولاً : الكفر ـ

ـ أولها : الكفر ! وهو قسمان :

كفر الشك : كفر فرعون، حين قال : **﴿ لَعَلّي أَطَّلع إلى إلَـه مُوسَى وإنّي**

لأَظُنُّهُ من الكَاذِبِين ﴾[1].

وكفـر السخط: كفـر إبليس، حين قـال: ﴿ أَرَأَيْتَـكَ هَـذَا الَّـذِي كَـرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾[2].

وجميع أقسام الكفر مشتقة من هذين القسمين.

وكفر السخط بليته أعظم البليتين، لأن الشّاك قد يؤمن إذا اتضح اليقين.

وأما الساخط فعلى بصيرةٍ كَفَر بربّ العالمين.

ـ ثانياً: البدعة

ـ ثانيها: البدعة! وهي قسمان:

مكفرة، ومضللة. فمن سلم منهما فقد سلم له إسلامه وهـداه، ومن ابتلى بإحداهما فقد حاد عن طريق الإسلام أو تاه عن سبيل النجاة.

ـ ثالثاً: الغفلة

ـ ثالثها: الغفلة عند ذكر الله! فإن المعصية إلى الغافل أسـرع من انحدار الصخـرة إلى المكان السافل.

ـ رابعاً: حب الدنيا

ـ ورابعهـا: حب الدنيـا! فإن مثـل المحب لها، ولـو كابـد العبادة، كمثـل ناشـر الأرز، يرفع رجلاً ويضع أُخرى ومن مكانه لا يبرح.

وكذلك الذي شغل بحب الدنيا قلبه، وبالعبادة جوارحـه، تراه طـول عمره يتقرب إلى الله بظواهره، ويبعد عنه بقلبه.

* * *

---

(١) سورة القصص. الآية: ٣٨.

(٢) سورة الاسراء. الآية: ٦٢.

أنتَ الأَميرُ على الدُّنيا بزُهدكَ في حُطامها وطريقُ الحقِّ مسْلوكُ
وأنتَ عبدٌ لها ما دُمتَ تعشقُها إنَّ المُحبَّ لمن يَهواه مَمْلوكُ

* * *

زاد المحبين إلى رب العالمين

المحِبُّون لله قوم شغلهم حبه عن حب من سواه، فهم في قبضة محبته أُسراء، وعلى كل من دونه أُمراء.

إذا علت أصوات العباد، إذ غلت أسعار الأقوات، وجدوا من ذكره قوتاً غازياً، وإذا مرضت أمزجة أبدانهم صادفوا من كتابه دواء شافياً.

وإذا خافت السبل سلكوا إليه طريقاً أميناً، وإذا انقطعت الأسباب أمسكوا من يقينهم حبلاً متيناً، واشوقاه إليهم، بل والهفاه عليهم.

* * *

لا تحسبوا أن عنكم صبرٌ فا لطرف باكٍ وقلبي حشْوُهُ جمر
وقد بُليت بما لا أَشْتهي العُمر با للهارحمُوا عَبْرَتي[1] قد مسَّنى الضَّرَر

* * *

التضرع بالدعاء عند نزول البلاء

لو أن بنا حياة لأحسسنا بما نحن فيه من جهد البلاء.

ولو أحسسنا ببلائنا لانقطعت أصواتنا من الدعاء، وفرحت أجفاؤنا من البكاء، ولكنا طردنا، فما أحدٌ على نفسه حزيناً، ونمنا ملء عيوننا، وضحكنا ملء أفواهنا، كأن لم يأكل الكلب لنا عجيناً.

---

(١) العبرة: تحلُّب الدمع.

وكأن من الواجب على قوم حرموا لذة منجاة الله، وطردوا عن مجالس أولياء الله، أن يحثوا على رءوسهم التراب، ويخرجوا إلى الصعيد يَحَارون، ﴿ **فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ولكن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾[1].

فابكوا على أنفسكم بكاءً طويلاً، ولا تقيلوا ميلاد العباد، فما اتخذها عاقلٌ مقيلاً.

* * *

تَبَتَّلَتْ[2] روحي لكم في الحب تبـ	ـتيلاً مرتّلاً ذكركم بالمدح ترتيلاً
حتى أصير بُعيْد الطرد مقبولاً	بالله عليكم اسمعوني نعم لم تسمعوني لا

* * *

الأمن والسلام في جناب الله والخوف والذل في البعد عنه

من لم يعتز بطاعة الله لم يزل ذليلاً، ومن لم يستشف بكتاب الله لم يزل عليلاً.

ومن لم يستغن بالافتقار إلى الله، فهو الدهر فقيراً.

ومن لم يتحقق بالعبودية لله، فهو لكل شيء عبدٌ، وفي قبضة الله كلُّ أسير.

ومن لم يتترّس بتُرس التوكل على الله، أصابه كل رامٍ.

ومن لم يحتم بحماية الله، لم يحمه سواه حام.

* * *

---

(١) سورة الأنعام. الآية ٤٣.

(٢) « التبتُّل »: الانقطاع عن الدنيا إلى المحبوب.

جَفْني القريح عليكم وَاقعٌ دامي والماء من سحب عيني هامعٌ هامي[1]
ومُذْ هَجرتم وكنتم عِزّي السَّامي غَشاني الذل من خلفي وقدّامي

* * *

هذا جزاء من دُعي إلى العزيز الغفار، فما أجاب الداعي.

ونـدب إلى السعي في فكاك رقبتـه من أسر النفس والشيـطان فقصـرت بـه المساعي.

ـ الله يحيي القلوب الميتة بذكره كما يحيي الأرض بغيته ـ

سبحان من بهرت عظمته عقول العارفين.

سبحان من زهرت أنواره لبصائر السالكين.

سبحان من ظهرت بدائعه لنواظر المتأملين.

انظر إلى آثار رحمة الله، كيف يحيي الأرض بعد موتها، وملبسها قبل ليـل بهجتها، بعد سلبها وفوتها.

كذلك ينظر إلى القلوب الميتة فيحييها، وإلى المهج الصادية فيرويها.

ينظر الله سبحانه إلى الأرض كل سنة في آخر فصل الشتاء، وقـد لقيت من شدة البرد جهد البلاء، فعرّيـت أشجارهـا، وخرست أطيـارها، وهمـد حسيسها، وأوحشت آنيتهـا، وعبست مباسمهـا، ودرست مراسمهـا، فيتداركهـا البر الـرحيم بألطافه، فإذا هي قد اخضر يابستها، وأفتر عابسها، وطفحت أنهارهـا، وصدحت أطيارها، وهب نسيمها الراكد، وحيي رميمها الهـامد. فـاصغ أيهـا اللبيب تسمع الفهم والفكرة، إلى ما تقوله الناشئات بلسان العبرة، فـإنها تقـول بلسان الحـال:

---

(١) «هامع هامي»: دامع ناضب.

سبحوا بحمد الكبير المتعال، واستدلوا بقدرته على إحياء الأرض الموات، إنه قادر على إخراج الأموات بعد الشتات.

* * *

يا مُعرضاً عن عَرضه وحِسابه — لا يستعد ليوم نَشْر كتابه
مُتعلّلاً بِعياله وبماله — مُتلهّياً في أهله وصحابه
مُتناسياً لمماته وضريحه — ونشوره ووقوفه ومآبه
القول قول مصدق والفعـ — ـل فعل مُكذِّب بثوابه وعقابه
من قال قولاً ثم خالف قو — له بفِعاله فَفِعَالُه أولى به

* * *

بابٌ

برد العزيمة يؤثر في الأعمال والنيات، كما يؤثر برد الشتاء في ناضر النبات.

يلفح البرد مخضر الشجر فيصير يابساً، ويسقع مفتر الزهر فيعود عابساً..

فكذلك برد العزيمة، يجعل العامل عاطلاً، والنابه خاملاً.

فإن لم يكن بدٌّ من الفتور عن طلب الخيرات، فاضعف عن السيئات ضعفك عن الحسنات.

ـ حفظ رأس المال مقدم على الربح ـ

* * *

إذا فَاتَك الربح الذي كُنت ساعياً لإحرازه حتى تُثمر مالكَ

فكُن مُحرِزاً من رأْس مَالِكَ أصله لعلك تنجو لا عليك ولا لَكَ

* * *

بابٌ

لولا التفريط في حفظ الأصول، لكان لكل ساعٍ إلى النجاة وصول، ولكل واقف على الباب دخول.

وإنما الوصول إحكام العمل، بأحكام العلم المنقول، مما أنزله الله في كتابه وشرعه على لسان الرسول.

شريعة رسول الله ﷺ سفينة مأمونة، من اعتصم بركوبها نجا، ومحجة من سلك طريقها وصل إلى نيل المنى، لأنه ﷺ مؤيد بالعصمة فما ينطق عن الهوى.

* * *

شَرْعُ الرسول سفينة مَأْمونة ... من يعتصم بركوبها يوماً نجا
ومَحَجّةٌ للسالكين فمن يسر فيـ ... ـها على نَهْج الهدى بلغ المُنى
شَمسُ الظهيرة في نَهارٍ صائفٍ[1] ... من يَستضيء بنورها فقد اهتدى
هذا والله مقام الفُحول الأبطال ... ومنالُ أصحاب الهمَم العوالي
قومٌ سمت بهم العوارف والنهى ... أن يرغبوا في كل فانٍ قالي[2]
قومٌ أبت بهم المفاخر والعلى ... أن يشتروا غير النفيس الغالي
لما رأوا أن المُعجّل[3] ههنا ... كدر المشاربِ مؤذنٌ بزوالي

---

(١) صائف: حار من أيام الصيف.

(٢) «قالي» القِلى: البغض.

(٣) «المعجّل» العاجل ضد الآجل.

ورأوا نعيم الخُلد حظ نفوسهم والحظُّ لا يخلو من الإعلال
كنزٌ متى ظفُرت به كفُّ امرئٍ لم يخطر الإملاق منها ببال

* * *

يا طلاب الجنة أقبلوا

إن جناب الجنة رفيع، وملكها كبير، ولكن جناب الله أرفع وأكبر.

وسلمنا أن بهجة الفردوس بهية باهرة ،ولكن بهجة حضرة الله أبهى وأبهر.

ما سمت همم العارفين عن طلب الجنة، جهلاً بما فيها من نعيم النفوس والقلوب، ولكن رأوا أن نعيم الحضرة أحب إليهم من كل محبوب.

يا طالب الخير: احذر أن يشغلك قلبك عن كبيرة.

يا خائف الشر: لا يلهك صغيره عن كبيره.

اسمُ بهمتك إلى المعالي، ونافس في كل نفيس غالي، ولكن احذر أن تقول أنا لا أرغب في جنة النعيم، ولا أرهب من عذاب الجحيم، وأنت ممن إذا أقبلت عليه الدنيا ظل فرحاً مسروراً، وإذا أدبرت عنه أسف ودعا هنا ثبوراً.

* * *

ما أَقْبَح الدَّعوى من المُدّعى يعرف هذا كل قلب يَعِي
أليس يكفي المُدَّعي أنه في نسب الصِّدق زَنيم[1] دَعي

* * *

(١) «زنيم» الزنيم الذي يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها. أي القطع في أذنها.

أنت تنظر إلى رونق زهر الربيع وبهجته، وتصغي إلى ترجيع صوت العندليب ونغمته، فيلهيك ذلك عن ذكر مولاك، وتستحوذ به عليك دنياك، حتى تنسى أخراك. فكيف بك لو تبرجت لك حورية مما نعت الله في كتابه؟ أو سعى عليك بعض الولدان المخلدين بأباريقه وأكوابه؟ إذاً لطار قلبك، وطاش لُبُّك.

إنما الشغل بالله عما سواه مرتبة العارفين، فأما من لم يبلغ شأنهم فالأولى به مقام الخائفين.

نستغفر الله.. ما أعز جناب الله، ما أطهر حضرة الله.

نستغفر الله.. نحن قوم ضعفاء خلق الله، إنما تحل أنفسنا بحيث أحكمنا الله.

عسى الله الذي أخرج الورق من الشجر اليابس، أن ينقلنا عن الأحوال المبغوضة إلى أحوال رضية، ويبدِّلنا بهمٍّ الدنيا الدَّنيَّة همماً عليَّة، فطالما أغاث المجدبين عندما قحطوا، وأنزل الغيث من بعد ماقنطوا.

يا معشر الشباب: هذا زمان ربيعكم، فأين زهر علومكم؟

يا معشر الكهول: هذا أوان خريفكم فأين ثمر أعمالكم؟

يا من قد عاش في الإسلام برهة من الزمان، في سماع الحديث النبوي والقرآن: أين آثار ذلك في أعمالكم وأحوالكم؟

هذه أرض حرث آخرتك هامدة، ما اهتزت بالأعمال الصالحة ولا ربت.

هذه سيوف عزمك كلما ضربت في جهاد النفس والشيطان نَبَتْ.

إذا كان البلد طيباً خرج نباته بإذن ربه، وإذا جنت لا تخرج إلا نكداً.

يا مكروباً لم ينفس من كربه، يا مصرًّا على ذنبه قد حال الشيطان بين التوبة وبين قلبه! إصرخ إلى الله صراخ من قد يبس عوده، وهُزمت جنوده، وقل بلسان الذكر في الانكسار: يا وهَّاب النعم الغزار، يا فالق الحب والنوى يا

منشىء الأجساد بعد البلى، يا مؤوي المنقطعين إليه يا كـافي المتوكلين عليـه. . انقطع الرجاء إلا منك، وخـابت الظنـون إلا فيك، وضعف الاعتمـاد إلا عليك، ووهن الاستناد إلا إليك.

نسألك بالرحمة التي كتبتها على نفسك، وبالكرامة التي أخفيتها لأوليائك، أن تمطر محل قلوبنا سحائب برِّك وإحسانك، وأن توفقنا في كل حـال لموجبـات رحمتك، وعزائم غفرانك، إنك جوّاد كريم، غفور رحيم.

* * *

المجلس الثالث

من فضائل القرآن

الحمد لله على نِعَمِه التي لا تحصى، وأياديه التي لا تستقصى.

فالحمد والشكر لمن أنعم، أكرمنا بكتاب جلابه عن الأبصار العمى، وأخرج به الأسماع من الصم، وأنقذ به النفوس من الردى، وشفى به القلوب من السقم، وخصّنا بنبيٍّ بعثه إلى الأحمر والأسود، واصطفاه على العرب والعجم، وفضّله على كل ملك في حضرته معرب، وكل نبي برسالته مكرم.

أنزل عليه كتاباً، ضمن لقارئه بكل حرف عشر حسنات، إلى مائة حسنة، فإن تدبره فالأمر أجل وأعظم.

القرآن: دليل لا يضل في السلوك من تابعه، وناصر لا يخشى الخذلان من شائعه ومشيره، لا يخطىء الصواب من طاوعه.

أهل القرآن: أئمة بهم اقتدى أهل السلوك إلى رضا الجبار، وبهم تخلص من نجا من نار.

* * *

خُزَّانُ وحي الله لم يُرَ غيرهم أهلاً لحفظ كلامه المختار
لكنْ عَلَيْهم أن يقُومُوا بالذي فيه من المشْرُوع للأبرار

صدقٌ وإخلاصٌ وحسن عبادة وقيامُ ليلٍ مع صيام نهار
وتورُّعٍ وتزهُّدٍ وتعفُّفٍ وتشبُّهٍ بخلائق الأخيار
وديانةٍ وصيانةٍ وأمانةٍ وتجنبٍ لخلائِقِ الأشرار
وأداءُ فرضٍ واجتناب محارمٍ وإدامةً الحمد والأَذْكار
يا حَامِلَ القرآن إن تك هكذا فلك الهنى بفوز عقبى الدار
ومتى أَضَعْت حُدُوده لم تنتفع بحرُوفه وسكنت دار بَوَار

* * *

العالم حذر والعارف متيقظ

على قدر قرب العبد من الله يكون حظّه، وكلما توفّر نصيب العَالِم من العلم اشتد حذره.

ومن عرف مكر الله بأعدائه لم يغتر بطول الحلم، فإن العواقب عنا مغنيات، وسهام الأقضية إلينا مصوّبات.

وما فعلوا لنا إلا أحسن الظن بكرم الله، وقوة الاعتماد عليه.

إن رحمنا الله فبفضله، وإن عذّبنا فبعدله، حسابنا عليه، وإنابتنا إليه.

فأحسنوا بالله الظنون والآمال، واحلموا إليه بالأعمال، فإنه لا يخيب آمال الآملين، ولا يضيع أجر العاملين.

هو الحى لا إله إلا هو، فادعوه مخلصين له الدين.

الحمد لله رب العالمين.

لا إله إلا الله.. توحيداً يباين عقائد المشركين.

لا إله إلا الله.. تنزيهاً يناقض دعاوى المبطلين.

لا إلـه إلا الله . . إقراراً بما أنكرته عقول الجاحدين.

لا إلـه إلا الله . . إيقاناً لا يشوبه تردد الشَّاكِّين.

لا إلـه إلا الله . . الملك الحق المبين.

لا إلـه إلا الله . . إسـلام من قال لـه ربـه: أسلم، قـال أسلمت لـرب العالمين.

لا إلـه إلا الله شهادة أرجو بهـا مجاورة الـرب الكريم، فـي جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين.

تقدَّست أسماؤك. . يامن أنزل علينا كبيراً.

تعالى جدك. . يا من لم يتخذ في سلطانه مشيراً.

أنت الـذي قدرت سيـر الشمس والقمر في منـازل فصول السنـة تقـديـراً، وجعلت مواقيت الصلاة مؤقتة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً.

فـطوبى لعبد أقمتـه في خـدمتـك، آنـاء الليـل وأطـراف النهـار، راكعـاً، وساجداً، وحامداً، وشكوراً.

سبحان مقيل عثرات المذنبين.

سبحان غافر خطايا المستغفرين.

سبحان من جعل الـزمان أوقـاتاً، تقبـل فيها تـوبات التـائبين، وتقضي فيها حوائج السائلين.

فانتبه أيها العبد الفقير الضعيف، واغتنم شرف هذا الوقت الشـريف، فكم لله في مثل هذه الساعة من نعمة أسداها، وحاجة لعبد مضطر قضاها.

* * *

أَيَا رَاقد الليل انتبِهْ من رُقادك | وكن مع سُلاَّك المحبة سالِكاً
فهذا زَمَانُ البَذْل والجُود والنّدى | فَقُم واسأل الخيرات تعط سُألك
أيا ناسياً عهد المحبّة قاطعاً | حبال حبيب واصلٍ لِحِبَالِك
إلى كم صدوداً واجتناباً وجفوة | تعال نُجدّد عهدنا من وصالِك
أمـا أن تشتـاق قـرب مـزارنـا | كما نحن مشتاقون قرب مزارك
تَنَاسَيْتنا حتى نَسيت عُهودنا | لكننا لم نَنْس عَهْد وِدادك
كأنك لم تُذنب إذا جئت تائباً | فتُب نعفو عما كان من سُوء حالِك

* * *

تنبيه الغافلين إلى جنة رب العالمين

انتهز فرصة الزمان، قبل تعذر الإمكان، قبـل أن تنقل من اسم مـا زال إلى خبـر كان[1]، فمـا كل حين ممكن الفـوز بـالمنى، ولا كـل وقت يـرفـع الحجب للعبد.

إذا بَاعَدتْـك الريـح فادْفـع شِرَاعهـا | فَيُـوشك أن تـأتي العَواقب بـالحمـد
فمـا حـازمٌ من لم يُبـادر إلى العُـلا | ولاَ نافس من لم يُنافس على المجد

* * *

هذه سوق المعاملة قائمة، فأين طلاّب الأرباح.

هذه مقصورات الخيام بارزة، فأين خُطّاب المِلاح.

لو أن حوراً طلعت إلى الدنيا لملأتها نوراً وعطراً..

فهل إلى مقارنة هذا القرين الصالح مرتاح.

كيف ينفزع لخطبة الحور، من هو مخلد إلى دار الغرور، إن هجرته الـدنيا

فهـو محرور، وإن وصلتـه فهو مسـرور، قد خـدعته أبـاطيـل المنى، وغـرّه بـالله الغرور.

* * *

أيها الـرَّافـلُ[1] في ثـوب الغــرور　　أيهـا الغـافِـلُ عن يـوم النّشــور
أيـن مـا قـدَّمت لـلقبـر الـذي　　سـوف فيـه تُثـوى[2] مـا بين القبـور
أيـن مـا قـدّمت لـلْحشْـر الـذي　　فـيـه تـدعـو بثُبُـور وحُبـور[3]
أيـن مـا قـدّمْت لـلمـولى الـذي　　هـو عـدلٌ في قضـاءٍ لا يـجُـور
احـذر الـغـفـلة عـنـه فـهـي مـن　　أقـتـل الـدَّاء ومـن شـر الـشُّـرور

* * *

اللهم لا تجعلنـا عن ذكـرك غـافلين، ولا عن أمـرك زائفين، وأدخلنـا في عبـادك الذين اصـطفيتهم لوراثـة كتابـك، وأنظمنـا في سلك من أهّلته لـولائك، واغفر لنا بفضلك مغفرة عزماً، لا نخاف بعدها ظلماً ولا هضماً.

اللهم يـا من أفاض خلع الإيمـان على المؤمنين، ويا من مـلأ من عـطائـه أكف السائلين، ارزقنا إيماناً تخالط بشاشتـه القلوب، وهب لنا عـطاء غير ممنـون ولا محسوب.

اللهم يا جواد يا كريم، يا عزيز يا وهّـاب، إهد إلى حضـرة الحبيب محمد صلاتنا، وسلامنا، أفضل ما هداه المحبوب إلى حضرة الأحباب.

* * *

---

(١) «الرافل» رفل في ثيابه به أطالها وجرّها متبختراً.
(٢) «تثوى» الثواء الإقامة.
(٣) «الحبور» السرور.

عـليـك صـلاةُ الله ثـم سَـلاَمُـه سـلامٌ عـلى الأيّـام بـاقٍ دوامـه

وجَـازَاك الله عنـا أفْضـل مـا جَـزَى نبيًّـا يفـرق الفـرقـدين[1] مقـامـه

فـأنت شفيـعُ المُـذْنبيـن إذا زكـا سعيـر جحيم لا يـطاق ضـرامـه[2]

بجـاهِـك عنـد الله كن لي شـافعـاً إلى صـاحب الجود المهـون غـرامـه

فـلا زلت من فضـل الكـريم منعّمـاً بـقـرب محـل لا ينـال مـرامـه

* * *

الطريق إلى الله

إن بين العبد وبين ربه مسافة، لا تقطع إلا بقطع العلائق، ورفض العوائق.

وعلى مرآة القلب صدأ، لا يجلوه إلا نسيان الخلق في جنب ذكر الخالق.

فمن أراد أن يصل إلى ربه، فليتفرغ لمواصلة السِّرى.

ومن آثر جلاء مرآة قلبه، فليتناسى ذكر الورى.

كيف يصل إلى الله من لا يسير، وهو في قبضة العوائق أسير.

الأمر كله في حرفين:

ـ أحدهما: الإعراض عما سوى الله.

ـ والآخر: الإقبال عليه.

فمن لم ينقطع عما سواه، لم يمله الاتصال به، ولا الوصول إليه.

* * *

---

(١) الفرقدين: نجمان قريبان من القطب.

(٢) «الضرام» اللهيب.

يــا حســرةَ الغــافــل والــلاَّهي	لا كــان مــا يُــلهــى عــن الله
اطْــرحِ الــدُّنيــا وأشْغَــالـهــا	لا كــان مــا يُــلهــى عــن الله
ولا تــقُــل أَهْلي ولا عــشيــرتــي	لا كــان مــا يُــلهــى عــن الله
ولا تــقُــل ولــدي ولا زوجـتــي	لا كــان مــا يُــلهــى عــن الله
ولا تَــقُــل داري ولا ضَيْـعتــي	لا كــان مــا يُــلهــى عــن الله
ولا تــقُــل أرضـي ولا مَــوْلــدي	لا كــان مــا يُــلهــى عــن الله
ولا تــقُــل طبـعـي ولا عَــادَتـي	لا كــان مــا يُــلهــى عــن الله
ولا تــقُــل مــالي ولا قِنْيـتـي[1]	لا كــان مــا يُــلهــى عــن الله
الله يُــغــنــي عــن سِــوَاه	وسِــوَاه لا يُــغــنــي عــن الله

* * *

الصحة والفراغ

كم بين الفارغ والمشغول؟ كم بين الصحيح والمعلول؟

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد، وفي الحديث: « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ »[2]، نظير الصحة: قرينها، وكذلك الشغل نظير السقم وقرينه.

ففرِّغ إلى الله قلبك، فنعم بالله بالاً، وواصل إلى الله مسيرك، تنل من الله وصالاً.

* * *

---

(١) «قنيتي» القِنية: العطيّة والأملاك.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق عن ابن عباس وأخرجه أيضاً الترمذي في الزهد وابن ماجه فيه والدارمي في الرقاق وأحمد في مسنده [١/ ٢٥٨، ٣٤٤].

يـأتـي الـــذين تـجنّبــوا الأَشْغـــال	بـــذلُوا النُّفـــوس وأنْفَقـــوا الأمـــوال
تـــركُـــوا الـنســـاء كـــأنّـهن أرامـــلُ	قبـــل الممـــات وأيْتـمـــوا الأطفـــال
وجــوّعُـوا وتعــطّشُـوا وتضمَّـــرُوا[1]	طـلب السّـبــاق وخففـــوا الأثقـــال
فــطَمُـــوا عـن الـــدنيـــا نـفـوســـاً	طال ما كـانت تتيه على النعيم دلالا
حتى إذا بُـليتْ ضَـنَى أجسـادهـم	ولقـوا شجـونـاً في السّـرَى وكـــلالا
وردوا جَـنَــاب مليكهـم فـأحلّهـم	داراً تـفُــوق الـفَــرْقَــدَيْــن منـــالا
فـــي حيـــث لا يـــبغـــون عـــنـــه	دهـــرهم حِــوَلاً ولا يخشـــون زوالا

* * *

سبلُ الأنام إلى دار السلام

أبصـر القوم قصـدهم، وبذلـوا في الطلب جهـدهم، وعلمـوا أن العـلائق عوائق، وأن المخف هو السائق، فخففوا أنفسهم وأظهـرهم من أثقال الأشغـال، لعلمهم بأن الطريق كثير المزالق.

هذه سنة الكرام، في طلب ذي الجلال والإكرام، فأين المقتدون؟

هذه سبيل هداة الإمام، ودار السلام، فأين المهتدون؟

عـاقنا والله عن اقتفـاء آثـارهم، والتعلق بـأذيـال غبـارهم، فضـولَ الكـلام والطعام، وشغل القلب والجوارح بكسب الحطام والآثار.

استنفرنا في سبيـل الله فثبطنـا، ودعينا إلى الجنـاب العالي فـأبينا. إن لهم دنية لا تشتاق إلى العالي، ولا تنافس في طلب الغـالي، ولا تأنف من الهـواء ولا تبالي.

* * *

---

(٢) تضمروا: من تضمير الخيل أي علفها بعـد سمسانهـا أو من ضمور البـطن كنايـة عن النحافـة وقلة الأكل.

مَـالــي والـتّــفْــريط مَــالـي   قــد حَـالَ بــالتّفــريط حـــالي
كــم ذا أُعــلّل بــالــمُــنــى   كم ذا أُسوِّف بـــالـــمــحـــال
أيـن التـــزوُّد لـلرحيــل فـقــد   دَنَــا وقـــت ارْتـــحـــالـــي
يــا ليت أَحْبَــابي الــذيـن هُم   مــن الــدّنــيــا ســوالــي
يَــرْثُــون لـــي مـــن عِـلّةٍ   قــد صرت بهــا كــالخــلال
قــال الـــحـبــيــب وقــد رأى   مــا بـي من الــدّاء العضــال
مـــن داؤه الـــهُـــجـــران لا   يُشفيــه منه ســوى الــوصــال

الداء والدواء

قد ثبت في الحكمة أن شفاء الأمراض قصد أسبابها، فمن استشفى لمرضه بغير ذلك فقد أتى البيوت من غير أبوابها.

فمن كـان داؤه المعصيـة فشفـاؤه الـطاعـة، ومن كـان داؤه الغفلة فشفــاؤه اليقظة، ومن كان داؤه كثرة الاشتغال فشفاؤه في تفريغ البال.

من تفرغ من هموم الدنيا قلبه قل تعبـه، وتوفـر من العبادة نصيبـه، واتصل إلى الله مسيره، وارتفع في الجنة مصيره، وتمكن من الـذكر، والفكـر، والورع، والزهد، والاحتراس، من غوائل النفس، ووساوس الشيطان.

ومن كثر في الدنيا شغله، اسودّ قلبـه، وأظلم طريقـه، وكثر همّـه، ونصب بـدنه، وصـار مهون الـوقت، طائش العقـل، معقـود اللسـان عن الـذكـر، مقيـد الجوارح عن الطاعة، من قلبه في كل وادٍ شعبة، ومن عمره لكل شغل حصة.

فاستعذ بالله من فضول الأعمـال والهموم، فكـل ما شغـل العبد عن الـرب فهو مشئوم، ومن فاته القرب من مولاه، فهو لو جازت يداه نعيم الخلد محروم.

كـل العافيـة في الذكـر والطاعـة، وكل البـلاء في الغفلة والمخالفـة، وكل الشفاء في الإنابة والتوبة. متى أردت أن تعلم: أي الدارين أولى بك؟ فانـظر أي

الحالين أغلب عليك، فإذا أصحاب الطاعة الجنة أولى بهم، وأصحاب المعصية النار أولى بهم.

ولا تخادع نفسك في صحة النظر، فجهل الإنسان بنفسه أضر الضرر، وأعظم الخطر.

وانظر بعين التفكر والاعتبار: لو أن طبيباً نصرانيًّا، عفاك عن شرب الماء البارد، لأجل مرض من أمراض الجسد لأطعته في ترك ما نهاك عنه، وأنت تعلم أن الطبيب قد يصدق وقد يكذب، ويصيب ويخطىء، وينصح ويغش.. فما بالك لا تترك ما نهاك عنه أنصح الناصحين وأصدق القائلين؟ لأجل مرض القلب الذي إذا لم تشف منه فأنت من أهلك الهالكين.

لا تقدر على التخلص من بلوى المعصية إلا بالتخلص من سجن الغفلة ولا تتخلص من الغفلة إلا بتضمير البطن، وتفريغ القلب، ومواصلة الذكر.

فجوّع بطنك، وارفض شغلك، واذكر ربك، يعتزِلْك شيطانك.

إن الشيطان حامل على العصيان، والعصيان جنون، ومن لم يحضره الشيطان فليس بمجنون.

طوبى لمن كان كلامه مناجاة الله، وعمله معاملة مع الله، وفكره في تدبر الله، والاعتبار بصنع الله، ونيته خالصة لوجه الله، يزاحم العلماء بركبتيه، ويقبض على العلم بكلتي يديه، عبادته مؤسسة على القواعد، وعلى تصحيح العقائد.

* * *

ألا رُب من قد أنْحل الزُّهد جسمهُ كثيرُ صَلاَةٍ دائم الصوم عابد

---

(١) تضمير البطن: أي جعلها حنا مرة أي صغيرة.

يرُومُ وِصالاً وهو بالطُّرُق جاهلٌ إذا جهل المقصود قد خَاب قاصد
قليلٌ من الأعمال بالعلم نافع كثيرٌ من الأَعْمال بالجهل فاسد

* * *

فضل العلم والعلماء

من أحب أن يكون للأنبياء وارثاً، وفي مزارعهم حارثاً، فليتعلم العلم النافع، وهو علم الدين . .

ففي الحديث: « العلماء ورثة الأنبياء »[١]، وليحضر مجالس العلماء، فإنها رياض الجنة. ومن أحب أن يعلم ما نصيبه من عناية الله، فلينظر ما نصيبه من الفقه في دين الله . . ففي الحديث: « من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين »[٢].

ومن سأل عن طريق تبلغه الجنة، فليمش إلى مجلس العلم . .

ففي الحديث: « من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة »[٣].

ومن أحب ألا ينقطع عمله بعد موته، فلينشر العلم بالتدوين والتعليم . . ففي الحديث: « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له »[٤].

---

(١) البخاري في الترجمة في كتاب العلم وأحمد في مسنده وأبو داود ومسلم في صحيحه جزء من حديث.

(٢) البخاري في العلم تعليقان الاعتصام موصولاً جزء من حديث.

(٣) البخاري في الترجمة في العلم ومسلم وغيرهما.

(٤) مسلم في الوصية عن أبي هريرة.

وفي الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلمة، لا يسدها إلا خلف مثله.

وعن أبي الأسود، قال: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

وقال فتح الموصلي: أليس المريض إذا منع من الطعام والشراب والدواء يموت؟ قيل له: بلى. قال: فكذلك القلب، إذا منع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حدّث بحديث فَعُمل به، فله أجر مثل ذلك العمل.

وقال الحسن[1]: لولا العلماء لصار الناس أمثال البهائم.

فيا من خلقه الله إنساناً، لا تجعل نفسك بقلة العلم بهيمة، ونافس في إعلاء قيمتك بالعلم.

من ليس له علم فليس له قيمة.

اغتنم تعلم العلم، واحضر مجالسه، فمن ليس بعالم ولا متعلم.. فهو بمنزلة البهيمة، وليست فطرته سليمة.

* * *

يا طَالبَ المجْد والجلالةِ ... والرِّفعة والمكْرُمات والشرف
تعلَّم الْعِلْم واحْتسبه لوجْه ... الله لا للْمعاش والحِرَفْ
وخُذْه من فوقٍ فالعُلُوم لنا ... أنفعه ما رُوى عن السلف

(١) هو الحسن بن يسار البصري تابعي مشهور.

العلم دُرٌّ إذا أفادك في الدين وما لم يفيد كالصدف

* * *

إن جهلنا العلم . . فما نحن بجهله معذورين .

وان تعلمنا ولم نعمل به . . كنا على ذلك مؤاخذين .

وإن علمنا وعملنا وأخلصنا . . لم نكن بالقول واثقين .

فما لنا عن التنبه لهذا الخطر العظيم غافلين، فكأننا بصحائف أعمالنا عند حضور آجالنا وقد طويت، ثم كأننا بها يوم القيامة وقد نشرت، وكأننا بسوءاتنا يوم القيامة وقد كشفت، فيا خجلتنا يوم الوقوف بين يدي الله، ويا حسرتنا على ما فرطنا في جنب الله .

كفى بالمسيء جزاء على إساءته أن يفوته بياض وجوه المحسنين، وعلو درجات المقربين .

فكيف وقد أوجب لنفسه سوء الحساب، وأليم العذاب، والفضيحة على رءوس الخلائق، والتوبيخ على التقصير بين يدي الخالق .

واغوثاه بالله! يفوتنا الخير ونحصل على الشر، تدركنا العقوبة ولا نحصل الأجر، هذا والله هو الخسران المبين .

اللهم . . يا من لا يرضى لنا بدون رضاه عنّا، ولا يحب لنا إلا ما يحبه منّا: أنقذنا من ورطات الهالكين، وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين، ونجنا بمفازات المتقين، برحمتك يا أرحم الراحمين .

* * *

المجلس الرابـع

دعاء

اللهم. . إنك افترضت علينا ما لا نطيق أداءه إلا بتوفيقك، فوفقنـا لأداء ما افترضته. وحرّمت علينا ما لا نمتنع من مواقعته إلا بحفظك، فاحفظنا عن مـواقعة ما حرّمته، فلا نعتمد إلا عليك.

اللهم. . ارحمنا برحمة تغنينا بها عن رحمة الراحمين، وارض عنا رضـىً لا تسخط علينا بعد أبد الآبدين.

* * *

يا طالِبَ الْخيرات أيْن أنتَ ... عن بابِ الغَنيّ الحميد
يا خَائِف الشرِّ هلاَّ لجأْت ... إلى رُكن القويّ الشديد
يا من قد اعْتكرت على قلبه الهموم ... لم لا تُروِّح بذكر الحميد المجيد

* * *

استغاثة

يا من قد أخطأت وتجاوزت الحـد: استغث بمن هو أقـرب إليك من حبـل الـوريد، هـو الذي يفعـل ما يشـاء ويحكم بما يـريد، من حكم بشقـاوتـه فـذاك الشقي، ومن قضى بسعادته فذاك السعيد.

رب الآخرة والأولى، ليس لأحد سواه مولى.

إذا حكم فلا معقب لحكمه، وإذا قطع فلا مسبب لقطعه، يقضي فلا دافع، ويعطي فلا مانع، وهو الصانع لكل صنعة وصانع.

* * *

كلُّ الوُجود لعزٍّ قهرك خاضعُ والكلُّ في صدقات جودك طامعُ
يا معْشَرَ الفُقراء أُمُّوا بَابَه فهناكَ فضلُ للبرايَا واسعُ
يُعطي العَطَاء فلا يُمانع مانعُ يَقْضي القضاء فلا يُدافع دافعُ
ما للعباد عليه حقٌ واجبٌ كلَّا ولا مسعى لديه ضائعُ
يا سائلي عن رُتبة الحب الذي من حلمنا فهو الإمام البارعُ
الْزَمْ طريق الذكر عُمرك دائباً فالذكر في القلب المحبة زارعُ

* * *

من شروط الذكر

الذكر لله له شرطان: حضور القلب في تحريره، وبذل الجسد في تكثيره.
فإن أحببت أن تكون في الراسخين الأقدام في هذا المقام، فحرر الذكر على الإحسان، وكثِّره بقدر الإمكان.

* * *

يا للرجال الأقنى سمَوْا إلى نيل العُلا لا يزهيه مطامع
قدمٌ هُمام ماجد متقدم بهم جَسور فاتكُ مسارع
يغشى بصدره بنحره والوجه منه أبلغ مستنير ساطع
سمع العدو بذكره فتزعزعت أركانه وعراه ذل قامع

هذي صفات الذاكرين ونيلها صعب المرارة على النفوس وشامع
فتبلوا للذكر وانتدبوا له فالذكر درع في الكريهة مانع
ومتى عقلتـم فاعلموا وتحققوا أن العدو على حماكم طالع

* * *

اللهم . . نوِّر بصائرنا بنـور هدايتـك، حتى ننظر بعين الاعتبـار في عجائب صنعتك. فكم قد فطرت من بدائع النسم، وأبرزت إلى الوجود من بحـر العدم. فنشهد أن لا إلـه إلا أنت، كما وحّدت نفسك في قديم القدم.

* * *

وحِّدوا للَّه مَعْشَر العَارفينا فلِتوحيده الشواهد فينا
وصِفُوهُ بكل ما هو أهل أن تكونوا به واصفينا
وإذا ما رجَوْتُموه فكونوا منه أيضاً مع الرّجا خائفينا
وبأبوابِ بِرِّه لا تزالُوا فوق أقدام شكره واقفينا
لتكونوا من بَحْر مَعْروفه الزاخر مهما أردتم غارقينا

* * *

جزاء المنقطعين إلى الله

يلزم العبد مَنَابَاتُ عبدٍ مثله متردداً بسعيه إليـه، عاكفـاً بخدمتـه عليه، فـلا يلبث أن يعرف حق ملازمته، وبحقه بألطاف كرامته.

فكيف لمن انقطع إلى الله الذي له ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

لقد حاز المنقطع إلى الله كنوز الغنى، وفاز الطالب من الله بلوغ المنى.

يـا سائلي عن مـطلبها: من حـازه حاز المنى، اسـع فديتـك مــا سأوضّحه وضحاً بيناً، وجـدَّ ولا تشرك وكن بضمـان ربك مـوقناً، وانقـد لطاعتـه تَقُدك إلى المسرّة والهنا.

من أدخل الله على قلبه مسرة رضاه فقد تمت أفراحه.

ومن ستره الله بستر التوبة النصوح فقد أمن افتضاحه.

* * *

يا من له النّعم الغِزَارُ على الخلائق ليس تُحصى
هَبْ لي رضَاك فيها مَدى أَمَلي وأقْصى

* * *

معرفة الله بأصول ثلاثة

لا تطلب الحياة إلا بالعافية، ولا تتم العافية إلا بالـرضا، وإنمـا يرضى الله على من تاب من مخالفته، من أهل مرافقته.

من لم يلزم نفسه بتقوى الله فهـو لئيم، ومن لم يرض بمـا قسم الله له فهـو عديم. الشأن كله في أن تفهم عن الله ثلاثة أصول:

- أولها: أن تعرف الله بما تعرف به إليك بما هو أهله، وتعرف ما فرض الله عليك معرفته من أحكام شرعية.
- ثانيها: أن تطيعه في فعل الواجبات وترك المحرمات.
- ثالثها: أن تشتاق إلى ما شوق إليه، وتخاف ما خوف منه.

فإذاأحكمت هذه الأصول، لم يتأخر عنك الوصول.

لأن العالم بصفات الله وأحكـامه أعلم العـالمين، والعامـل بطاعـة الله فيما أمره ونهاه أعمل العاملين.

ذهب الزاهدون بالراحة، وحصل العـابدون على المثـوبة، ونجـا الورعـون من المناقشة، وتحضر المتقون من العقوبة، وفاز المتقربون من القرب، والقـرب من الله نظام رغائب الطالبين، وغاية مطالب الراغبين.

وليس للقرب من الله نهاية تنتهي إليها المساعي، فطالب القـرب على قدم الجد في الدنيا ساع، لا تستقر به دار، ولا يقر له قرار، كلما بلغ من القرب غاية علم بأن له أن وراءها عليه أخرى، فهو سائر إلى الله أبداً لا يفتر.

اللهم.. عطشنا بالشوق إلى لقائك، وأسلكنـا في سلك أوليائـك، وأعقبنا جبراً لا يعقبه كسر، واغنناغنىً ليس معه فقر، وخِر لنا واختر لنا في كل مـا تقضي من أمر، واحفظنا في أنفسنا، وأهلينا، وذرياتنا، وأهل ملّتنـا من كل مـا يسوءنـا. واجعلنا في كل انواع الطاعة إليك مقربين، وفيما عندك راغبين، وإلى ما أعددت لأوليائك متقبلين، وصل على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

المجلس الخامس

حكمة الله

الحمد لله . . الذي ما زالت أحكامه على نظام الحكمة جارية، وأقداره في جميع خلقه نافذة، وعليهم قاضية.

مكـرم من اتقاه، ومُهين من عصـاه، ويعزّ من انقـطع إليه، ويـذل من تمرد عليه. يداوي كل ذي داء بدوائه الذي هو له أوفق، ويقيم كل ذي قدر في مقـامه الذي هو له أليق.

فمن كـان السقم أنفع لقلبـه ابتلاه الله بـالإسقام، ومن كـان العُـدم أصلح لحاله ارتضى له الإعدام.

يدبر عباده بحكم التدبير في مجاري التقدير، ﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بِقَدَرٍ ما يشاء إنه بعباده خبير بصير** ﴾[1].

فلا تتهموا الله في قضائه، فإن قضاءه بزمام الحكمة مزموم.

وسلّمـوا له بـالانقيـاد لأمـره في حلو القضـاء ومُـرّه، فـإن الْمُسَلِّمْ لـه ليس بمحروم. وقابلوا إحسـانه إليكم بـدوام حمده وشكـره، وانسبوا عـدله عليكم إلى تقصيركم في القيام بواجب أمره، فإنه سبحانه على الدوام يعامـل عباده بـإحسانـه

---

(١) سورة الشورى. الآية: ٤٢.

وفضله، فإذا استعانوا بإحسانه على عصيانه أدّبهم بسوط عدله، حتى لا يزال المخلوق مراقباً لخالقه، والمرزوق شاكراً لرازقه، متأدباً في معاملته، مقتدياً في السلوك إلى ربه بأوليائه وأهل طاعته، فمن رزق ما يحب فليشكر الرزّاق، ومن أصابه ما يكره فليتهم نفسه في معاملة الخلّاق.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين: ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون** ﴾[1].

إبتلاهم الله تعالى بالقحط ليخلعوا أردية كبريائهم، ويرجعوا إلى طاعة أنبيائهم.

فالواجب على كل قوم انقطعت عنهم متصلات الأرزاق أن يعودوا باللوم على أنفسهم ولا يتهموا الرزّاق.

ويستغفروا ربهم من ارتكاب معصيته.

ويتوبوا إليه من الإصرار على مخالفته.

ويتحللوا غرماءهم من أهل المظالم.

ويأخذوا بالإنكار على يد السفيه والظالم.

ويتصدقوا من فاضل ما أنعم الله عليهم على من أحوجه الله إليهم.

ويقيموا دين الله كما أمر.

ويحذروا تمام نعمة الله فيهم فهو حق الحذر.

وينكسروا بين يدي الله عساه يجبر كسرهم.

ويبتهلوا إليه بالاستعانة والتضرع لعله يكشف ضرّهم ويصلح أمرهم.

* * *

---

(١) سورة الأعراف. الآية: ١٣٠.

يـا جَـابـر الـعَـظْم الـكَسـ ـر ومُـطلق الـعَـانـي الأسـيـر
يا مُنشيء الطِّفل الصّغير وراحم الشـ ـيـخ الـكـبـيـر وغَـافـر الأوْزار
يا شَافي الدَّنف[1] السّقيم ومُحيي الـ ـعـظْم الـرّميم وواضـع الأصّـار[2]
يـا مُنقـذ الغَـرْقَى قـد أشْـرفـوا على حـدِّ الـهـلاك بلُجّـة الـتّـيـار
يـا مَن يُغيث العبْـد وهـو فـريسـةٌ في قبضَـةِ الأَسَـد الهَـريـر الضّـاري
ارْحَمْ بفضْلك جهْلنـا واقْبـل بعـفـ ـوك عُـذرنـا يـا قـابـل الأعْـذار
وافْتـح لنـا أبـواب رِزْقـك شُـرّعـاً أبـداً وبَـذِّل عُـسـرنـا بيـسـار

* * *

جزاء المخالفين لأمر رب العالمين

مخالفة الأمر توجب سخط الآمر، والإصرار على المخالفة أعظم منها.

ما أسرع العقوبة إلى المسارع إلى المعصية، وما أبعد الفلاح عمن لا تؤدبه العقوبة.

كيف يطمع في الزيادة من هو مضيع للشكر، وكيف تدوم التوسعة لقوم كلما اتسعت أرزاقهم ضيقوا على فقرائهم.

المستعين بالنعم على المعاصي مستوجب السلب، ومن لا يتأدب بالرزية في ماله أدّبته الرزية في نفسه.

ألا ترون كيف يعاتبنا ربنا تعالى بتضييق مجاري أرزاقنا، وتسليط أقويائنا على ضعفائنا، فما لنا لا نعتب ربنا إذا عتب علينا، ولا نجيب داعيه وقد أشار بطاعته إلينا، فهل ننتظر بعد لطيف العتاب إلا عنيف العقاب.

---

(١) «الدنف» المرض.
(٢) «الإصر»: الذنب.

فتوبوا إلى الله مما أنتم عليه من العصيان تبصروا، فإنكم عما قريب إليه صائرون، فهل أنتم على عذابه صابرون، أو على رفع بأسه قادرون.

فاتقوا الله بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه، وإدامة الذكر له، واستشعار الخشية منه، ولا تكونوا ممن ينام تحت الضرب ويظهر الجلد، فإنه الله، إذا عاقب لم يقم لعقابه أحد. غضب بعض الملوك على بعض من هو تحت يده، فلم يحبسه في دار سجنه، وأجرى عليه رزقاً واسعاً، ثم سأل عنه، فقيل: إنه متجلّد غير مكترث، فأمر بنقله إلى ما هو أضيق منه وأشدّ، ثم لم يزل كذلك كلما أخبروه عنه بقلة مبالاته بعقوبة الملك نقله إلى ما هو أضيق منه وأشدّ، حتى أمر بقتله.

فكذلك العبد إذا عصى ربه وجه إليه أخف عقابه، فإن هو استقال واستغاث بربه أقاله وأغاثه . وإن هو أصر على ذنبه واستهان بعقوبته، شدّد الله عليه، وزاده مما يوجهه إليه من العذاب كذلك أبداً حتى يكون أحد أمرين: ـ إما أن يتوب إلى الله من معاصيه، ـ وإما أن يتمادى في طغيانه، ويصر على كفره وعصيانه. ففي الأول يعافيه الله ويصطفيه. وفي الثاني يخلده الله في دار نقمته، ولا يؤنسه من رحمته.

العذاب مصبوب على أهل سخط الله، والسخط حالٌ على أهل معصية الله. والمعصية لازمة لمن الشيطان له ملازم، وإنما يلازم الشيطان من غشى عن ذكر الله.

فاحذر الغفلة عن ذكر الله فإنهاأصل كل بليّة، وجالبة كل رزيّة.

* * *

أَحَبَّه قلبي لا تُخيِّب الأَمَلْ وهذا أَوانُ إقترابِ الأجل
فَوَا أَسَفا وَوَاحَسْرتا لقُبْح اقْترافي وفرط الذّلل

لقد خَاب ظنّي فيما رجَوْتُ وسُدَّتْ عليَّ وُجُوهُ الحِيَل
عسى تَرْقُمون على قصتي غَفَرْنا لِذا العبد ذاك الذّلل
وكنت أُحْمل ثِقل الغرام ولم يَبْق في عَبْدكم مُحتمل
وما كُنت أَحْسبُ أن البُعاد يَبلغ قَتْلي فَهَا قد قَتَل
فبِاللّه جُودُوا ولا تَبْخَلوا وحاشَاكُمُوا سَادتي من بخل
فَمَعْرُوفكم عَمَّ كل الوَرَى إلى كُلّ دَانٍ وقــاصٍ وصل
فمالي حُرِمْتُ وكان الوصَا لُ عليَّ حرامٌ وللغير حل

* * *

دعـــاء

اللهم: بعلمك بحالنـا، وقدرتـك على إصلاحنـا، ورحمتك التي لم تـزل تعاملنا بها منذ خُلقنا، أتمم علينا نعمتك، وأوجب لنا رضـاك ورحمتك، وأجـزل نصيبنا من جزيل لطفك، وخَفيٍّ عنايتك.

اللهم: وفقنا للعمل بموجبات رضاك، ولا تحرمنا عطاءك، ولا تقطع لنا بنا دونك، ولا تخيب رجاءنا فيك، ولا تولّنا أحداً غيرك، ولا تحـرمنا خيـرك، يا من خير الدنيا والآخرة في خزائنه وأهل السموات والأرض مفتقرون لرحمته.

اللهم: إننا ظلمنا أنفسنا، وأسأنا في معاملتنا، وغفلنا عن التيقظ من ذنـوبنا حتى غلب على قلوبنـا رينها، وقـد ندمنـا على قبح مـا فعلنا وارتكبنـا، وبدا لنـا سيئات ما كسبنا.

اللهم: اغفر لنا مغفـرة من عندك يحسن لنـا بها تـوفيقك، وتكشف بهـا عنا عذابك، وتغشينا بها رحمتك.

يـا من أظهر الجميـل وستـر القبيـح، ولم يؤاخـذ بـالجـريـرة، ولم يهتـك السريرة.

يا حي يا قيوم، برحمتك نستغيث، لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك، وأصلح لنا شبابنا كله، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلِّ على محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كبيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس السادس

سبحان الله

الحمد لله . . ما سبّحت بحمده ألسنة الذاكرين، وسبحان الله . . ما أشرقت أنوار ذكره وجوه العابدين، وما امتدت إلى عطائه أكف السائلين.

سبحان الله . . ما حنت إلى لقائه قلوب العارفين.

سبحان الله . . إله الأولين والآخرين، ورب الخلائق أجمعين، ﴿ **يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾[1]. أنزل إلينا كتاباً أوضح به منازل السالكين، وأيقظ به عقول الغافلين، أنزل به الروح الأمين، على قلب محمد سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آلة وأصحابه وسلم، صلاة وسلاماً دائماً باقياً أبد الآبدين، ودهر الداهرين.

سبحان من أذن لأوليائه في مناجاته إذا أرخى ستور الليل البهيم.

سبحان من فتح أقفال القلوب بمفاتيح الذكر الحكيم.

سبحان من عاد على رحيق فصاله أن نشر بها إلا كل حدٍّ كريم.

سبحان من أجزل نصيب أوليائه من خالصة الود القديم، فلو شهدت أيها

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

المحروم نفاسة ما وصلوا إليه لزهقت نفسك حسرة عليه.

* * *

لكن جَمِلت فما وَصَلْتَ وكل من جَهَلَ التّواصُل لا يَحنُّ إليه
ما بالُ ركْب العارفين سرُّوا إلى مولاهم وحظوا الغداة إليه
وأَرَاكَ عنهم بالتّخلف راضياً يا نقص حظِّك من نَوالِ يديه
سَهِرَ العابدُون في إحْرَاز رغائب العبادة وأنت راقد
ونَهَضَ العارفُون إلى تشييد معاقل السعادة وأنت قاعد
وذاب المُشتاقون من توقّد حرارة الصبابة وأنت جامد
فلا إلى ما وصلوا إليه أنت واصل ولا على ما وفدوا عليه أنت وافد

* * *

تأنيب للغافلين

ما الذي فاتك يا محروم من نيل مناك، أمتَّ قلباً كان حيًّا أحسن الله عزاك، فإنك إن ساعدك الدمع والافتباكا، إنما يحصد الزرع من بذر البذور فما أنت حاصد، وإنما يروج الحور من نقد المهور فما أنت ناقد، كل امرىء على ما قدم فاقدم، وفيما شيد خالد. فما الذي قدمت لنفسك يا جاهلاً في صورة عاقل، وغائباً في مظهر شاهد.

* * *

أَسَفِي ومـا أَسَفِي عليـك لأنّني ضَيَّعت من أَمْـري ولا تضييعـك
وقَعَـدت مثلَكَ عن عبـادة خَـالقي من غَفْلتي وصَنَعتُ مثـل صَنيعـك
أنـا فَدْيتُـك دماً لتفـريطي فَنُحْ يـا صاح وابْكِ دمـاً على تفـريـطك
واعلم بـأن بُكـاك لا يُغني إذا لم تمتسـك بـالطوع أمر مليكـك

* * *

لقد ألزمك الله بكتابه المنزل قاطع الحجة، وبحجج نبيه واضح المحجة.

تدعى إلى ساحل النجاة وأنت من الهلاك في لجة.

حـاسب نفسك، هـل صليت على شرط القبـول صلوةً واحدةً؟ أو حججت إلى بيته حجة.

* * *

هيا إلى مَعْشَر تَجَافُوا عن الدُّنيا وخلُّوا حرامها والحلالا
كلما أقبل الظَّلام عليهم قابلُوه بأوجهٍ تَتَلَالا
أسْقموا بالجوع والسُّهاد أجسا دهم ليصحّحوا الأعمالا
هذه حَالُ من يَرُومُ الم عالي هكذا وإلا فَلاَلاَ

* * *

مناصحة جليلة

كـل شهر في غيـر خدمـة الله باطـل، وكل بـداء على غير عنـا الله ليس له حاصل.

فنـافسوا في اقتنـاء ما يبقى ولا يـزول، وفرغـوا قلوبكم من فضـول أشغـال الدنيا وكلها فضول.

كيف يثق بالحياة الدنيا من المنية رائضه إلى جنبه؟ كيف يرجـو راحة الـدنيا من لا راحـة له دون لقـاء ربه؟ والله لـو كانت الـدنيا صـافيـة المشـارب من كـل شائب، ميسرة المطالب لكل طالب، باقية علينا لا يسلبها منا سالب، لكان الزهد فيهـا هو الفـرض الواجب، لأنهـا تشغـل عن الله، والنعم إذا شغلت عـن المنعم كانت من المصائب.

* * *

أيا رَاضِعَ الدُّنيا انْفَطمْ عن فطامها فقد آن تَنْهَاك عنها الشَّوائب
ألا عَامَل فيها سينفذ زاهدٌ ألا مُؤمن فيها سيَخْلد راغب
ألا آسفُ ذُو لَوْعَةٍ وتحرُّقٍ ألا نائح في مآتم الحزن نادب
ألا مُذْنبٌ مستغفرٌ من ذنوبه ألا خائف من خشية الله راهب
ألا خاشعٌ خوفاً من الله خاضع ألا ناحلٌ شوقاً إلى الله ذائب
ستلقون ما قدمتم اليوم في غدٍ وكل امرىء يجزى بما هو كاسب

* * *

متاع الدنيا قليل

الثواب في الدنيا قليل، ولنا عليها حساب طويل، فتهيأ للنقلة عنها قبل أن يزعجك الرحيل. ليس لك في سفر الآخرة زاد إلا ما قدمت ليوم المعاد، لا تمسك عن النفقة في طاعة الله فما يليق بالمؤمن إمساك، لقد شهد القرآن بأن الممسكين عن الانفاق قد ألقوا بأيديهم إلى الهلاك.

يا أصحاب الأسماع الواعية، والعقول الصاحية: الله هو الموجود الذي استغنى عن إيجاد موجد، الله هو الواحد الذي لا يفتقر توحيده إلى توحيد موحد، الله هو الأول الذي ليس لأوليته أول، والآخر ليس لأُخريّته آخر، الله الذي كلما ظهر فهو باطن، وكلما بطن فهو ظاهر، الله الأحد الذي لم يكن له كفواً أحد، والصمد الذي كل من سواه إليه صمد، كل معبود تحت عرشه باطل، وكل ظل تحت ظله زائل.

مستغنٍ عما سواه، وكل ما سواه إليه فقير، يجير على كل أحد، وما أحد يجير عليه.

هو القاهر فوق عباده، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، لا يتأخر عن مراده.

لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تتمثله الأفكار، كل الخلائق عن إدراكه قاصرون، وفي تيه معرفته حائرون.

لـه مقاليـد السموات والأرض، وبيـده البسط والقبض، والرفـع والخفض، نصب الجبال فأرساها وفجـر المياه وأجـراها، وسمـك السماء وأعـلاها، ووضـع الأرض ودحاها، وسخر الشمس والقمر دائبين، وجعل الليل والنهار متعاقبين.

المـلائكة من خشيتـه مشفقون، والـرسل من هيبتـه مـطرقـون، والجبـابـرة لعظمته صاغرون، وله من في السموات والأرض كل له قانتون.

سبحـان الله كما هـو أهله، تَبارك الله وتعـالى جـده، كيف يحيط المخلوق بوصف خالقه؟ متى يقوم المرزوق بشكر رازقه؟ تعالى الله عن قـول من يقول في القـرآن فـلا تحيط بـه دائـرة عقله، ستكتب شهـادتهم ويسـألـون، يـوم لا ينفـع الظالمون معذرتهم ولا هم يستعتبون.

لو أردنا وأراد أغزرنا عقلاً أن يصف نفسه التي بين جنبيـه ببعض ما جبلهـا الله عليه لخرس لسـانه، وخـرَّ جنانـه، ولم يهتد في وصفهـا إلى صواب، إلا أن يتمسك بالسنة والكتاب: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمـره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ** ﴾[1]، وليحذر المجادل في ذات الله بغير علم يوماً يسأل فيه القائل، ويجازى فيه العامل، قال الله عز من قائـل: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾[2]، يسأل الله تعالى في ذلك اليوم العود: لم خدش العود؟ فكيف لا يُسـأل المخالفين في معتقـدات أصول الـدين عما خـالفـوه في إجمـاع المسلمين.

والله لـو أن مؤمناً عـاقلاً قـرأ سورة الحـديـد، وآخـر سـورة الحشـر، وآيـة

---

(١) سورة النور. الآية ٦٣.

(٢) سورة الحجر. الآية ٩٢.

الكرسي، وسورة الإخلاص، بتفكير وتـدبّر، لتصـدّع من خشية الله قلبـه، وتحيَّرَ في عظمة الله لُبُّه.

* * *

المجلس السابع

في التفسير وفضائل القرآن وحملته

- قال الله عز وجل: ﴿ **سبّح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾[1]: لما كان الله عزيزاً حكيماً، عزيزاً في ملكه، حكيماً في أمره، استوجب على أهل سماواته وأرضه أن يقدسوه ويسبحوا بحمده.

- ﴿ **له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير** ﴾[2]: ومن قدرته على كل شيء إحياء كل ميت، وإماتة كل حي، وهو سبحانه الذي لا يموت، المتفرد بالبقاء، والدوام، والعزة، والجبروت.

- ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾[3]: أوّلٌ: سبق وجود كل موجود. آخرٌ: يدوم بقاؤه بعد فقد كل مفقود. ظاهرٌ: بعلوِّه وقهره فوق كل شيء. باطنٌ: بنفوذ علمه فلا يشذ عن إحصائه شيء.

- ﴿ **هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾[4]: في خلق السموات والأرض. آيات أكبر من أن تدركها عقول المتأملين، وأكثر من أن يحصيها ضبط الحاصرين، ولو لم يكن إلا اختراعها على غير مثال

---

(١) سورة الحديد الآية ١

(٢) سورة الحديد الآية ٢.

(٣) سورة الحديد الآية ٣.

(٤) سورة الحديد الآية ٤.

سابق، وقيامها على الدوام بلا اضطراب ولا اختلال لاحق لكان في ذلك مايحير ألباب الرجال.

- ﴿ **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** ﴾[1]: الولوج: الدخول. أي يعلم ما يدخل في الأرض من مياه أمطارها، وما يخرج منها من نابتة تنبت فيها من عشبها وأشجارها، وما نزل من السماء ملكٌ ولا صعد إليها إلا بعلم الرب الذي ليس في الوجود ذرة إلا وهو رقيبٌ عليها.

- ﴿ **وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بَصيرٌ** ﴾[2]: أي أنه تعالى معنا بعلمه وقدرته، مشاهد لأعمالنا وأقوالنا وأحوالنا، فقال تعالى: ﴿ **الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين** ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه** ﴾[4]: فمن كان موقناً أن الله سبحانه معه ومشاهده أينما كان يصير بعمله كائناً ما كان، استحيا من الله أن يخطر على قلبه، أو يجري على جوارحه ما لا شرعه الرسول ولا نزل به القرآن، واستحيا ألا يلبس معصية أينما كان.

- ﴿ **له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور** ﴾[5]: الملك كله لله وهو غني عنه، والأمر كله خيره وشره يرجع إليه يوم الجزاء، ولم يكن شيء غائباً عن علمه ولا خارجاً عن محكمه.

- ﴿ **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾[6]: سلط سبحانه الليل على

---

(١) سورة الحديد الآية ٤.
(٢) سورة الحديد الآية ٤.
(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٩.
(٤) سورة يونس الآية ٦١.
(٥) سورة الحديد الآية ٥.
(٦) سورة الحديد الآية ٦.

النهار بإدخاله فيه، وانتقاصه منه، فيسترد منه ما سلبه ومثله معه، بحكمة لا يعلم سرها غيره.

- ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾[1]: ليس في صدر مخلوق خير ولا شر إلا والله تعالى عالم ومضطلع عليه وناظر إليه.

- ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾[2]، ﴿ يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾[3]: لا يخفى عن علمه شيء، فرحم الله امرىء طَهّر باطنه مما يكره أن يطّلع عليه خالقه وبارئه.

وبعد.. فهذا بعض ما اقتضاه الكلام على تفسير أول هذه السورة (سورة الحديد) من تعظيم الحميد المجيد. فالويل ثم الويل لمن هو عن تعظيم الله غافل، وبصفاته العلية جاهل، وفي أثواب المعصية رافل، مصرّ على الخطايا غير ثابت ولا آفل.

«عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن بين الله وبين الخلق سبعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى جبريل وميكائيل واسرافيل، وبينهم وبين الله أربعة حجب: حجاب من نار، وحجاب من ظلمة، وحجاب من غمام، وحجاب من الماء»[4]، «وعنه وعن عبد الله بن عمر قالا: قال رسول الله ﷺ: دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور ومظلمة،

---

(١) سورة الحديد الآية ٦.

(٢) سورة طه الآية ٧.

(٣) سورة القصص الآية ٦٩.

(٤) قال الشوكاني: رواه الدارقطني عن سهل بن سعد مرفوعاً وفي اسناده حبيب بن أبي حبيب وكان وضاعاً. قال الحافظ الذهبي في الميزات: وهاه أبو زرعة وتركه ابن المبارك.
وقال العقيلي: في سنده موسى بن عبيدة ليس بشيء. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلا أدري لماذا استشهد به هنا [راجع الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٤٤٢].

وما تسع من نفس شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت »[1]. فإن قيل: ما الحكمة في هذه الحجب والله سبحانه وتعالى غنى عنها؟ فالجواب: إن من بعض فوائدها رأفة الله تعالى بعباده، وشفقته على خلقه. ولولا احتجاب عن عوامله إلا خرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه جلت عظمة الله وتعالى جده، فهو سلطان الله وغلب جنده.

توحدت ذات الله، وتقدست أسماؤه، سبقت مقادير الله ونفد قضاؤه، عزّ جناب الله وعزّ جلاله، صدعت حجة الله وصدق مقاله، قوله الصدق، ووعده الحق، ونوره الساطع، وحرزه المانع. سبحانه أنزل كتاباً أحكمت آياته، وأرسل رسولاً بهرت معجزاته.

فيا من أحياه الله على الإسلام اسأل أن يتوفاك مسلماً، ويا من سربله الله قميص الإيمان اجتهد أن يكون بالنقاء معلماً، ويا من استحفظه الله القرآن كن بمتشابهه مؤمناً، وبمحكمه عاملاً.

حامل القرآن حامل راية الإسلام، وفي كل خصلة من خصال الخير لأهلها إمام، لا يقنع بأداء الفرض وترك الحرام.

يشبع الناس وبطن حامل القرآن جائع، ويضحك الناس وطرفه دامع، قد درجت النبوة بين كفيه، فهو نبي غير أنه لا يوحى إليه.

* * *

ما بين من يقرأُ الكتابَ وبين من ... يُوحى إليه سوى النّبوة وحدها
للأنْبياء مراتبٌ خُصُّوا بها ... والقارئُون مراتبٌ من بعدها
طُوبى لمن يرعى أَمانة ربه ... بالبر والتقوى ويحفظ حدّها
أَنِفَتْ من الدّنيا الدَّنية نفسهُ ... فلم يَكُ قطُّ يوماً عبدها

---

(١) أورده السيوطي في جمع الجوامع وضعفه وعاب على ابن الجوزي ايراده له في الموضوعات. راجع أيضاً التعليقة السابقة رقم ٧ ص ٦٥.

وسَمَا بِهِمَّته إلى الدّار التي ربّ العباد لمن أطَاعَ أعدّها
لم يخلُق الرّحمٰـن أحسن منظراً منها سوى عبد تبوّأ كلدها

* * *

بــابٌ

القرآن يقدمنا إلى المتاجر الرابحة ونحن عنها متـأخرون، والقـرآن يزهـدنا في الدنيا الفانية ونحن فيها راغبون، ما راعينا حق نعم الله علينا حق رعايتها، ولا تلقيناها بما لزمنا لها من كرامتها. هـذا رسول الله ﷺ تـروى أخباره فليتنـا اتبعنا، وهذا كتاب الله تتلى علينا آياته فبأيها انتفعنا.

* * *

يا نعماً طالما كَفَرنَاها بها قوينا أن نعصى الله
ويا نفوساً لو أنها رَحمتْ لم نَكُ في سَهْوة أطَعْناها
ويا علوماً ما كان أنفعها لو أننا في الهُدى اتبعناها
قد حَفِظْنَا العُلوم مُتقنة لكن بأعمالنا أضعناها
طوبَى لِنَفْسٍ بعلمها عملت واتخذته دليل مسراها
فَنَادت إلى أنْ بربّها اتصلت ثم أناخت به مطاياها
وآثَرتْ قُربه فآثَرها كذاك لما ارْتضته أرضاها

* * *

بــابٌ

المسلمون قوم انقادوا لله بالدخول في دينه، فلما تمكن التوحيد من قلوبهم التـزموا بـطاعتـه وتمكنت من قلوبهم وجـوارحهم، سلت أرواحهم عن كـل حب سوى حبه، فلما أحبوه لهجوا بذكـره وتنافسـوا في قربـه، فلما قـدموا عليـه حلّوا

عرى الترحال، وألقوا عصا السفارة، لأنهم لم يكن لهم سواه مطلوب، وإنما غاية المحب الوصول إلى المحبوب.

* * *

ما لِلْمُحبِّ سوى المحبُوب مطلوبُ إذ قلبُه عن سوى ذِكْراه مَحْجُوب

فالصبرُ منتزحٌ والسر مفتضح والدم مُنْسَفِحٌ والقلب مسلوب

إن روَّحَتْه أَمَاني الوصل فقد يرتاحُ شيئاً وإلا فهو مكروب

* * *

بــابٌ

إن من أصدق الشواهد على محبة العلي الماجد: متابعة رسـوله، ومـواظبة تلاوة تنزيله. فإن الهادي الـرشيد، والقـرآن المجيد. ﴿ **لا يـأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[1]. قال الحسن البصري رحمهُ الله: التزموا كتاب الله، وتتبعوا ما فيه من الأمثـال، وكونـوا فيه من أهـل النظر.. رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله عز وجل، فـإن وافق ما فيـه حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالفه استعتب ربه ورجع إليه من قريب.

وقالت أم الدرداء: سألت عائشة رضي الله عنها عمن يدخل الجنة من قراء القرآن، ما فضله على من لم يقرأه؟ فقالت: إن عدد درجه بعدد آي القرآن. فمن دخل الجنة من القرّاء فليس فوقه أحد، وإذا لم يكن فـوقه في الجنـة أحد فينبغي له أن يحسن كلام ربه مع القرآن، ويجتهد في العمل بما فيه وإلا كان يوم القيامـة من الخاسرين.

وقد رُوي عن أبي سليمان الداراني رحمة الله عليـه أنه قـال: الزبـانية يـوم

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢.

القيامة أسرع إلى حملة القرآن يعصون الله بعد قراءته منهم إلى عبدة الأوثان، غضباً عليهم حين عصوا الله بعد القرآن.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رُبّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه.

وروي في الحديث: « من كان في قلبه آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يحيا كل حرف منها حتى تأخذ بناصيته، حتى يوقفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة فيخاصمه، ومن خاصمه القرآن خُصم »[٢].

فالويل كل الويل لمن كان يقرأ القرآن يوم القيامة وهو المصر على الزنا وشرب الخمر والرياء وظلم العباد وأكل الحرام والربا.

وقال الفضيل بن عياض: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، تعظيماً لحق القرآن.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون يختالون، وبصمته إذ الناس يخوضون.

* * *

أهلُ القرآن أَئمةٌ بهم اهتدى ... أهل السُّلُوك إلى رضا الجبار
لكن عليهم أن يقوموا بالذي ... فيه من المشروع للأبرار
صدقٌ وإخلاصٌ وحسنُ عبادة ... وقيامُ ليل مع صيام نهار
وتورع وتزهد وتعفف ... وتشبه بخلائق الأخيار
وديانةٌ وصيانةٌ وأمانةٌ ... وتجنب لخلائق الأشرار
وأداءُ فرض واجتناب محارم ... وإدامةُ الأوراد والأذكار
يا حاملَ القرآن إن تَكُ هكذا ... فلك الهَنَا بفوز عُقبى الدار

ومتى أَضَعت حُدوده لم تَنْتفع بحروفه وسكنت دار بوار

* * *

اللهم كما علمتنا كتابك فوفقنا للعمل به حتى يكون شاهداً لنا عندك، وقائداً إلى جنتك، ومؤنساً لنا في وحشة الألحاد، ومركباً لنا يوم يقوم الأشهاد. اللهم اجعلنا بالقرآن عاملين، ولأوامره، متبعين، ولنواهيه مجتنبين، واجعلنا لك كما تحب، فإنك لنا كما نحب. اللهم بدل سيئاتنا حسنات، ولا ترنا أعمالنا حسرات، وأقبل بقلوبنا إليك، ولا تخزنا يوم الوقوف بين يديك، برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثامن

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحمد لله كما يليق بحقه، والصلاة والسلام على محمد خير خلقه، الصلاة والسلام عليك يا سيد الأنام، الصلاة عليك يا نبي الإسلام، جزاك الله عن أمتك أفضل ما جزى نبيًّا عن أمته، وجعلنا ببركة متابعتك في دار كرامته.

* * *

أيها السيِّدُ الذي ليس للخَلْـ ... ـق على غير جاهه تعويل

بك نستشْفع الخلقَ يوم العر ... ض حتى موسى وحتى الخليل

أنت للَّه مرسلٌ وعلى صد ... قك عند اللبيب قام الدليل

أي عُذرٍ للجاحدين وقد دلّـ ... ـت عليك التوراة والإنجيل

إن قلباً لم يشفه طبّك المنـ ... ـجح من سقمه لقلب عليل

ليس للطّالب السبيلَ إلى ... الله سوى شرعك الحنيف سبيل

كلُّ من رام من سواه وصولاً ... ما لديه إلى الوصول وصول

أنت بابُ الخلق الذي من يَحِدْ عنـ ... ـه يَفُتْه إلى الجناب الدخول

كلُّ مدح يقال فيك وإن ... أطْنَبَ فيه لدى علاك قليل

ما عسى المادحون أن يبلغوا من ... وصف معناك ما عسى أن يقولوا

جملةُ القول فيك أنك ... للَّه رسولٌ وصفوةٌ وخليل

وعلى نسبة الجلالة والرفعة	من مرسل يكون الرسول
محمد صفوة الرحمن ما حملت	أنثى ولا وضعت شبهاً لغدته
محمد خير كل العالمين وما	بدا لنا منه مغنٍ عن أدلته
كل الشرائع مَنْسُوخٌ بشرعته	وشرعه خالد باقٍ بحدته
لو قيست الأممُ الماضون	بالفضل لكانوا دون أمته
إن كاثروا كثروا أو فاخروا فخروا	يدنون فضلاً وهذا من فضيلته
يكاد يغضب خُزّان العذاب لما	يقل حظهم من أهل ملته
ووارِدُ النار منهم بالذنوب له	سيما من الحسن لا يـذرى بخلقه
بياضُ وجهٍ وتحجيلٍ من	الوضوّ لألأ نور فوق جبهته
ولا يخلد في نارٍ معذبهم	ولو أتى بجبال من خطيته

* * *

الخير كله في متابعة الرسول، والبركة في حفظ كلامه المنقول.

ما وعظ الواعظون بمثل التخـويف من الانقطاع عن الـوصول، ولا أطـرب الحادون بمثل التشويق إلى النظر إلى جمـال وجه الله، ومـرافقة رسـول الله، ولا يسمع السامعون بمثل حسرة المحجوبون يوم القيامة عن الله، وعن شفاعة رسول الله ﷺ.

الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، الله هو الذي إليك في كل وقت ناظر، وعليك في كل حال قادر. أين يفر الفارّون من الله والكل في قبضته؟ كيف يشكر الشاكرون من سوى الله والكل على مائدته؟ إلى من يلجأ الخـائفون إلى غيـر الله والكل محفوظ برعايته؟ لو علم الـراقدون إذ نعسـوا ماذا أضـاعوا؟ وعلى خط من يخشون غير خط أنفسهم؟ عن قيـامٍ ببابـه جلسوا. تكلفـوا عنه سلوة فسـألوا، ثم تناسوا عهودهم فنسوا.

كم من قريب أبعده التبـاعد؟ وكم من قـائم أقعده التقـاعد؟ لا يـزال رجالٌ

يتأخرون حتى يؤخرهم الله يوم القيامة.

ينبغي للحاضر أن يكون سامعاً، وللسامع أن يكون واعياً، وللداعي أن يكون بما دعا عاملاً، وللعامل في عمله أن يكون مخلصاً. واعلم يا ابن آدم أنك مريض القلب من جهتين: إحداهما: مخالفتك أمر الله. والأخرى: عفتك عن ذكر الله. ولن تجد طعم العافية حتى تكون على طاعة الله مقيماً ولذكر الله مديماً. فعالج مرض المخالفة بالتوبة، ومرض الغفلة بالإنابة، وإلا فاعلم عما قليل أنك هالك، ومنتقل من أهلك ومالك إلى قبضة ملك مالك.

* * *

قـدّم لنفسـك فضْـلَ مـالِـكَ ... وامهـدْ لهـا قبـل انتقـالـك

خُـذْ للتـأهّب للرحيـل فقـدْ ... دنـا وقـتُ إرتـحـالـك

واعمل على تخليص نفسك من ... سُـبـالـة سـوء حـالـك

* * *

سبحان من أنعم على أوليائه بالعافية من أسقامنا، سبحانه مكن لهم في مقامهم وزحزحهم من مقامنا، الإصرار والغفلة مقامنا ومقامهم التوبة والإنابة: ﴿ **أصحاب الجنة يؤمئذ خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً** ﴾[1]. لو بكينا على نفوسنا حتى تجرى السفن في دموعنا، ما بلغنا ما يوجبه سوء صنيعنا. اخترنا ما يفنا على ما يبقى، واختار أولياء الله ما يبقى على ما يفنا ، يا طول حسرات الغافلين، يا فرط ندمات المفرطين.

* * *

---

(١) سورة الفرقان الآية ٢٤.

يا طول حزن الغافلينا عن ذكر رب العالمينا
يا حسرة يطوون جمر تها حيارى نادمينا

* * *

ذم الدنيا

ليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله وقلبه مصرٌ على الذنوب، وإنما الذاكر من إذاهم بمعصية ذكر مقامه بين يدي علام الغيوب. كما قال بعض السلف: ليس الذاكر من هَمْهَمَ بلسانه، وإنما الذاكر من إذا جلس في سوقه، وأخذ يزن بميزانه، علم أن الله مطلع عليه، فلم يأخذ إلا حقًا ولم يعط إلا حقًا.

فما ينبغي للعباد أن ينشغلوا عن المنعم بشيء من نعمه، ولا يلتهوا عنه بشيء من كرمه. الله أحق أن نختاره على ما سواه. الله مولانا، وما أولى بالخير من كان الله مولاه. يا ليتنا عقلنا عن الله ولو حرفاً من خطابه، يا ليتنا قربنا من الله ولو عرض شعرة من عزيز جنابه، إنما يفهم ما أقول أرباب الفطن والعقول، إنما يشرب من هذا الشمول هو برداء التوفيق مشمول.

اسمع ما أقول فهو جميل، لا يضر عنه ما يقول الجهول: كل شيء شغول فهو للنفس عول، عن ذكرٍ لمولىً ملكه ما يزول.

قال رسول الله ﷺ: «ملعونة هي الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وعالماً، ومتعلماً»[1]. كيف لا تكون الدنيا ملعونة وهي عن ذكر الله شاغلة؟ ولمن

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل (٤/٥٦١) وقال: حسن غريب وهو عنده من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان قال ابن حجر في التقريب (١/ ٤٧٤): صدوق يخطىء رمى بالقدر وتغير بآخره.
* وأخرجه ابن ماجة كذا عن أبي هريرة من طريق ابن ثوبان أيضاً ـ في الزهد باب مثل الدنيا.
* واخرجه الطبراني في الأوسط (   ) والهيثمي في مجمع الزوائد (١/١١٢) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/٣٣) وابن أبي عاصم في الزهد (٥٧) عن ابن مسعود بسند فيه مستور.

نظر إليها فاتنة، ولمن ركن إليها قاتلة، ولمن استصحبها غاشة ولمن استنصرها خاذلة.

الدنيا حَبٌ، والمعصية فخ، والشيطان صياد، والإنسان طائر. فمتى أكب الإنسان على التقاط حلالها فيوشك أن يقع في حرامها، ومتى وقع في حرامها فقد أستحوذ عليه قنّاصه، وتعذر عليه إلا من جهة التوبة خلاصه. فكيف السبيل إلى الخلاص منها، ورضيعها لا يمكنه الفطام عنها؟ والجواب عن هذا السؤال: أن تستغيث بالكبير المتعال. فالراجع إلى الله مستريح بالله مما سواه، لأنه يستريح من الدنيا وأشغالها، ومن الشياطين ووسواسها، ومن الأفكار وغمومها، ومن الأشغال وهمومها، وغير ذلك مما الناس به في هذه الدنيا مفتونون ومُعذّبون، وعليه في الآخرة محاسبون ومعاقبون. فأريدوا وجه الله بكل أعمالكم، وجاهدوا في سبيل الله بأنفسكم وأموالكم، وأقبلوا عليه يقبل عليكم، فإنه لا يعرض إلا عمن أعرض عنه. ولا تجعلوا طلب الدنيا أكبر همّكم فيطول فيها همّكم، وفي الآخرة يطول حسابكم على قدر مالكم.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ذو الدرهمين في الآخرة أشد حساباً من ذي الدرهم.

وفي الحديث: «التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غنى، ومؤمن فقير، كانا في الدنيا، فأدخل الفقير إلى الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة. فلقيه الفقير فقال: يا أخي ما أحبسك بعدي؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك! فقال: يا أخي والله لقد احتبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً، وما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو وَرَدَ ألف بعير كلها أكلت حمصا لعددت عنه رواء»[1].

---

(١) رواه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: حدثنا حسن حدثنا دويد عن سلم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس بلفظه: وفيه: دويد قال الحافظ ابن حجر في التعجيل. الخراساني مجهول (١٤٤) =

واعلموا أن لله عباداً شغلهم الاهتمام به عن الاهتمام لهم، وتلك مرتبة المقربين الذين يتبتلون إليه تبتيلاً. ومنهم من لا يرفع قصة الشكوى إلا إليه، وذلك مقام أصحاب اليمين الذين لم يتخذوا من دونه وكيلا.

اجتهد أن تكون عارفاً بالله، فإن عجزت فاجتهد أن تكون مريداً من الله، ولا تكن الثالث تكن من الخائبين.

اجتهد أن تكون واصلاً إلى الله، فإن عجزت فكن سالكاً إلى الله، ولا تكن الثالث تكن من المنقطعين.

اجتهد أن تكون عارفاً بالله، فإن عجزت فكن عالماً بأمر الله، ولا تكن الثالث تكن من الجاهلين.

اجتهد أن تكون ممن يحبه الصالحون في الله، فإن عجزت فكن ممن يحب الصالحين في الله، ولا تكن الثالث تكن من الممقوتين.

هذه وصية مناصحة، من اهتدى بهديها اهتدى. هذه سفينة سلامة، من اعتصم بركوبها نجا.

المؤمنون قوم باعوا الله أنفسهم وأموالهم، ولم يقدموا عليه بسوى افتقارهم

= وقال الهيثمي في الزوائد: دويد غير منسوب فإن كان هو الذي روى عن سفيان فقد ذكره العجلي في كتاب الثقات وإن كان غيره لم أعرفه (١٠/ ٢٦٤).

ـ وسلم بن بشير: قال الهيثمي في الزوائد (١٠/ ٢٦٤) مسلم بن بشير وهو ثقة.

وقال عن بقية رجاله: رجال الصحيح ـ

وقال ابن حجر في التعجيل: ١٤٤: في من اسمه سالم: سالم بن بشير . . . ثم قال:

قلت: هذا غلط نشأ عن تحريف وإنما هو سلم بسكون اللام بعدها ميم وقال في سلم (١٥٨) تقدم في سالم اهـ. قلت فكأنهما عنده واحد.

راجع في ذلك كله: تخريج أحمد شاكر للحديث في مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٧٢) حديث: ٢٧٧١.

إليـه، فعُوِّضـوا بما هـو أعوض عليهم وأبقى لهم، عـاملوه رغبة فيـه لا في شيء سواه، فجازاهم بجنته ورضاه.

والله لو أن محبًّا صادقاً يسأل بذل روحه وماله حتى ينال نظرة في نومه يسخو بها الحبيبِ من خياله، وجدته لنفسه مُهيناً لنعم باله. والرب تعالى يستقرض منا ربـع عشـر ما خـوّلنا من مقتنى أمـواله، فـلا نجود، ثم نـرجو حـظوة لديـه بالنعيم في وصاله. هذا هو المحال، والمحال لا مـطمع للعـاقل في منـاله. إنمـا أمركم الله سبحانه بإنفاق أمـوالكم في سبيل مـرضاتـه، ليمتحن مالـه في قلوبكم من محبته وإجـلاله وخشيتـه ومقامـه ﴿ **والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتـولوا يستبـدل قـومـاً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾[1].

وفقنا الله وإياكم لمرضاته، ووهبنا وإياكم من جزيل هباته، وجمعنا وإيـاكم في دار النعيم، وجنبنا وإياكم أفعـال أهل الجحيم، إنـه جواد كـريم، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الصلاة والتسليم.

* * *

(١) سورة محمد الآية ٣٨.

المجلس التاسع

تسبيح وحمد وثناء

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نطفة فجعله سميعاً بصيراً، وألزمه الحجة بإيضاح المحجة، إما شاكراً وإما كفوراً. فمن شكر لأنعمه لقّاه من كرمه نضرة وسروراً، وسقاه من مدام ديمه شراباً طهوراً، ومن كفر أعدّ له سلاسلَ وأغلالاً وسعيراً واستقبل به يوم حشره بعد عذاب قبره يوماً عبوساً قمطريراً. ذلك أنه اتبع غير سبيل المؤمنين، وابتدع من رأيه ما ليس من شرائع الدين، وترك الاعتصام بسنن المرسلين. فويل له إذا قام يوم حشره من حفرته حاسراً حسيراً، ولقى حساباً قد حرره عليه الحاسبان تحريراً ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً** ﴾[1].

سبحان من تسبح بحمده الحركات والسكون، وتشهد بحكمته الحياة والمنون ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾[2]: يخرجون حفاة وعراة غُرلا، يرجو محسنهم من ثوابه فضلاً، ويخاف مسيئهم من عقابه عدلا، فيومئذ لا يظلمون نقيراً ﴿ **وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً** ﴾[3] خضع لهيبته كل صعب وذلول، وافتقر إلى

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٣.

(٢) سورة الروم الآية ٢٥.

(٣) سورة الإسراء الآية ١٧.

توفيقه كل عليهم وجهول، إذا حكم فبالعدل يحكم، وإذا قال فبالحق يقول، وإذا سامح فالأمر يسهل، وإذا ناقش فالحساب يطول.

فطوبى لمن كان له من سوء الحساب مجيراً؛ لقد سعد سعادة الأبد وفاز فوزاً كبيراً.

أحمده وأشكره، ولم يزل بالحمد والشكر جديراً؛ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أشرب بها من سلسبيل الجنة عذباً نميراً؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الخلق كلهم بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كبيراً.

اللهم اهد من صلاتنا وسلامنا إليه، وإلى آله وأصحابه الذين جاهدوا بين يديه، ما يكون حسن الجزاء عندك؛ خصوصاً: على الصديق الأفضل، والخليفة الأول، والإمام المبجّل. أبي بكر الصديق الذي سبق إلى الإسلام أحراراً وعبيداً، وإناثاً وذكوراً. وعلى الفاروق الأكبر، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الذي أصبح به الإسلام ظاهراً، وقد كان مستوراً. وعلى جامع الأمة على القرآن بعد اختلافها، والباذل نفسه دون دينه حتى أوردها موارد تلافها: أمير المؤمنين عثمان بن عفان، الذي ابتلى في كتاب الله وكان على البلاء صبوراً. وعلى أبي السِّبطين السيدين، أبي محمد الحسن، وأبي عبدالله الحسين؛ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الحائز من آيات الفرقان نصيباً موفوراً ﴿ **وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً** ﴾[1]. وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وعلى سائر عباد الله الصالحين. صلاة متصلة، صباحاً، ومساءً، ورواحاً، وبكوراً.

اللهم ونحن من جملة عبادك الفقراء إلى مزيد فضلك، ودوام مدارك، فاجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً، حتى نجاورك في جنة عرضها السموات

---

(١) سورة الفرقان الآية ٥٤.

والأرض، حَشَوْتَها برحمتك، وجعلت لباس أهلها حريراً ﴿ **متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً** ﴾[1]، وأشركنا في صالح دعاء المسلمين وأشرك المسلمين في صالح دعائنا، يا من لم يزل بكل شيء خبيراً، وعلى كل شيء قديراً.

تنبيه العقول العاقلة، يورث حرث الآخرة على حرث العاجلة. وبالاستقامة على السيرة العادلة، تظهر جواهر النفوس الفاضلة. فطالب الاستقامة محتاج إلى طريق السلامة، من سلكها بعدما عرفها وصل إلى دار الكرامة. فمن عزم على سلوك طريق الجنة، فليجعل دليله علوم الكتاب والسنة. وإنما يهتدي بالعلم لمراد قائله خبير، فلهذا ألزم أئمة السلوك الاشتغال بعلوم التفسير.

* * *

---

(١) سورة الإنسان الآية ١٣.

تفسير أوائل سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **الـر كتاب أحكمت آيـاته ثم فصلت من لـدن حكيم خبير** ﴾[1] عن ابن عبـاس رضي الله عنهما في قـوله سبحـانه وتعـالى: ﴿ **آلر** ﴾ قـال: أنا الله أرى. وقـال سعيـد بن جبيـر: ﴿ **آلـر** ﴾، ﴿ **حمٓ** ﴾، ﴿ **نٓ** ﴾: هـو اسم الله الـرحمن. وقيل: (الألف) آلاؤه. و (اللام) لطفه. و (الراء) ربوبيته. وقوله: ﴿ **أحكمت آيـاته** ﴾: أي لم تنسخ بكتاب كمـا نسخت الكتب التي قبله. ﴿ **ثم فصلت** ﴾: أي بينت بالأحكام والحلال والحرام. وقوله تعالى: ﴿ **من لدن حكيم خبيـر** ﴾: أي من عند حكيم بتدبير الأشياء وتقـديرهـا، خبير بمـا تؤول إليه عـواقبها. ﴿ **ألا تعبـدوا إلا الله** ﴾ أي لا تـوحـدوا ولا تـطيعـوا إلا الله. ﴿ **إنني لكم منـه نـذيـر وبشيـر** ﴾[2]: أي قل يـا محمد إنني من عنـد الله (نذيـر) أنـذركم عقـابـه على معصيتـه وعبادة الأصنـام، و (بشير) أبشـركم بثواب الله على طـاعتـه وإخـلاص عبادته. ﴿ **وأن استغفـروا ربكم ثم توبـوا إليه** ﴾[3]: أي اطلبـوا من ربكم مغفرة سالف ذنوبكم، وتوبوا إليه بالـرجوع عن مخـالفته في بقيـة أعماركم. ﴿ **يمتعكم متـاعاً حسنـاً إلى أجل مسمى** ﴾[3]: أي إذا استغفـرتم ربكـم وتبتم إليه بسط لكم

---

(١) سورة هود. الآية ١.

(٢) سورة هود الآية ٢.

(٣) هود الآية ٣.

من الأرزاق، ومد لكم في الأعمار إلى وقت الموت وهو الأجل المسمى. وقيل: المتاع الحسن هو أن يرضيهم بما أعطاهم. وقيل: هو استعمالهم بطاعته ومعرفة حقه؛ فإن الله منعم يحب الشاكرين، وأهل الشكر في مزيد من الله تعالى، وذلك قضاؤه الذي قضى، وذلك يعني أنكم أيها المسلمون قد أطعتم ربكم في الاستغفار والتوبة وقد أنجز لكم ما وعد المستغفرين والتائبين من المتاع الحسن؛ فإنه سبحانه قد عفا عنكم في أبدانكم، ووسع لكم في أرزاقكم، وأمّنكم في أوطانكم، وأعلاكم على عدوكم، وشرفكم على أهل الملل، وعصمكم من الردة المحبطة للعمل، وستركم وجبركم، وآواكم ونصركم، فاعرفوا لله حق نعمته عليكم، وطالبوا أنفسكم بواجب طاعته. ﴿ **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾[1]. قال الضحاك: ﴿ **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ من عمل سيئة كتبت عليه سيئة، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات؛ فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات، فإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة، وبقيت له تسع حسنات؛ ثم يقول هلك من غلب آحاده أعشاره.

ثم قال تعالى: ﴿ **وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير** ﴾[2] أي وإن تعرضوا عما دعوتكم إليه من اخلاص العبادة لله والاستغفار والتوبة، فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير، أي كبير هَوْلُه وهو يوم القيامة. قال مقاتل إن لم يتوبوا في الدنيا فحبس الله عنهم المطر سبع سنين حتى أكلوا العظام والميتة. وقيل: معنى قوله ﴿ **أخاف** ﴾ بما يعلم. وإنما عبر عن العلم بالخوف لأن العلم يوجد الخوف وأشد العصمة.

* * *

---

(١) (٢) سورة هود الآية: ٣.

على قدر علم المرء يعظم خوفه فلا عالم إلا من الله خائف
فأمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف

* * *

﴿ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ﴾[1]: وصف لهم نفسه بالقدرة حتى لا يعتقدوا بجهلهم عجزه، فيخالفوا أمره فيستوجبوا عقابه، فأعلمهم بقدرته قبل حلول نقمته من جملة بره ولطفه وقدرته ورأفته؛ فإذا كان هذا لطفه بأعدائه، فكيف يكون عطفه على أوليائه.

قال الضحاك بن قيس رضي الله عنه: قال ﷺ: « يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم لله، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما خلص لوجهه، ولا تقولوا: هذا لله وللرحم، فإنه للرحم وليس لله منه شيء، ولا تقولوا هذا لله ووجوههم، فإنه لوجوههم وليس لله منه شيء »[2]. وعن أنس رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فرق ـ فرقة يعبدون الله خالصا. ـ وفرقة يعبدون الله رياءً. ـ وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس. فإذا جمعهم الله قال للذي كان يستأكل به الناس: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادي؟ قال: بعزتك وجلالك أستأكل بها الناس. قال: لم ينفعك شيء مما جمعت، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبده رياءً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال: بعزتك وجلالك أردت بها رياء الناس. قال: لم يصعد إلي منه شيء، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبد خالصاً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال: بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك مني، أردت بها وجهك وذكرك. قال: صدق عبدي! انطلقوا به إلى الجنة »[3].

---

(١) سورة هود الآية: ٤.
(٢) لم أقف عليه في الكتب التي اطلعت عليها.
(٣) لم أقف عليه في الكتب التي طالعتها.

وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال: «يا رسول الله أوصني. قال: اخلص دينك يكفك القليل من العمل»[1].

وقال يحيى بن معاذ: كونوا عباد الله بأفعالكم، كما زعمتم أنكم عبيدالله بأقوالكم. وقال البناجي: ما التنعم إلا في الإخلاص، ولا قرة العين إلا في التقوى، ولا راحة إلا في التسليم.

حدث القوم عن حقيقة الأمر فصدقوا، ونظروا في علل الأعمال فدقّقوا، ونصحوا لنا في وصاياهم، وعلينا أشفقوا، وتأدبوا بالعلم والعمل، فلم أحكموه فضلوا، فإن تقتدوا بهم تهتدوا، وإن تسابقوهم تسبقوا، أين البطال من الأبطال؟ متى يدرك الأطفال مساعي الرجال.

بلغ الرجالُ نهاية الآمال ... في سيْرهم بالشّد والترحال
نالوا المنى لما سَمَتْ لمناله ... من عَزْمهم هم هناك عوال
لم يَنْكلوا في قصدهم ومسيرهم ... حتى أنَاخُوا بالجناب العالي
هذا هو الأمْرُ الرّشيد ومنـ ... ـتهى المرمى البعيد وغاية الآمال

* * *

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي العباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر حدثنا عبدالله بن وهب أخبرني يحي بن أيوب المصري عن عبيدالله بن زهر عن الوليد بن عمران عن عمرو بن مرة الجملي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن وساق الحديث بنحوه.
ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. (٤/٣٠٦).
قال الذهبي في التلخيص (٤/٣٠٦ بهامش المستدرك). قلت: لا. أي لم يوافق الحاكم.
وأخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا في الاخلاص وابن أبي حاتم.
وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية بسند الحاكم نفسه إلا أنه قال بدلا من الوليد بن عمران «ابن أبي عمران» وساق الحديث موافقاً للفظ المؤلف. (١/٢٤٤).
(جمع الجوامع: ١/٢٨)

مدح التواضع وذم الكبر

ألا ذو طبع كريم يسمو إلى هذا الفضل العظيم؟ ألا ذو قلب سليم يراعي حفظ العهد القديم؟ إنما يقدر على الوفاء بعهد يوم الميثاق من كان سليماً من النفاق، إنما يحن إلى مرافقة الرفيق الأعلى من كان طبعه كريماً. من نسي عهود ربه فقد استحوذ الشيطان على قلبه. من خالف سنة نبيه فقد نظمه الشيطان في حزبه.

قال الإمام أحمد رحمه الله: ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان. قيل: ولم؟ قال: ظهرت بدع فمن لم عنده حديث وقع فيها. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إن لِلَّه تعالى ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، فلا يكون مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم؛ وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة. لو أن المبتدع تواضع لكتاب الله وسنة نبيه لا أتبع ما ابتدع، ولكنه أعجب برأيه فاقتدى بما اخترع، فالتواضع أصل كبير يتفرع منه شيء كبير.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « ما من رجل يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كِبْر تحل له الجنة أن يريح ريحها ولا يراها »(١). وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: « ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل ينازع الله رداءه الكبرياء، وازاره العزة. ورجل في شك من أمر الله. ورجل يقنط من رحمة الله »(٢). وعن سليمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » الايمان باب تحريم الكبر وبيانه حديث ٢٤٩ وأخرجه أيضاً أبو داود في اللباس باب ما جاء في الكبر (٤/ ٥٩) وابن ماجة في مقدمة سننه (١/ ٢٣) والترمذي في جامعه كتاب البر والصلة باب ما جاء في الكبر والدارمي في سننه في المقدمة منها وأحمد في مسنده ولم أقن على الحديث بنفس رواية المؤلف له.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد كاملاً ولفظه « ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصياً فلا يسأل عنه وأمة أو عبد أبق من سيده وامرأة غاب عنها زوجها وكفاها مؤنة =

رسول الله ﷺ: « أرأيتم سليمان بن داود عليه السلام، وما أعطاه الله من الملك، فإنه لم يكن يرفع رأسه إلى السماء تخشعاً حتى قبضه الله »[1].

وقال الفتح بن شخوف رحمه الله: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام، فسمعته يقول: التواضع يرفع الفقير إلى الغنى، وأحسن من ذلك تواضع الغني الفقير. إنما جعل ترفع الفقير على الغني من التواضع، لأن الفقراء قوم فرّغ الله قلوبهم، وجعل رحيق محبته مشروبهم، وأطال على باب خدمته وقوفهم، وجعل رضاه وقربه مطلوبهم، وغضبه وبعده مخوفهم؛ فهم من خشيته مشفقون، ومن هيبته مطرقون؛ إن تواضعوا فلرفعته، وإن تذللوا فلعزته، وإن طعموا في صدقته، وإن خضعوا فلعظمته، إلى الله افتقارهم، وبالله افتخارهم، وإلى الله استنادهم، هو كنزهم وعزهم وفخرهم وذخرهم ومعبودهم ومقصودهم.

ومن كان بهذه الرتبة فمتى تواضع لغير الله أخل بمركز الأدب، واستبدل الخزف بالذهب. من كان رب العباد مقصوده فهو لكل العباد مقصود. قل للعاملين لغير الله: يا عظم خسرانكم!

وقل للواقفين بغير باب الله: يا طول هوانكم! وقل الآملين لغير فضل الله: يا خيبة آمالكم! وقل للعاملين لغير وجه الله: يا ضيعة أعمالكم!

= الدنيا فتبرجت وتمرحت بعده وثلاثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله رداءه فإن رداءه الكبرياء وإزاره عزة ورجل شك في أمر الله والقنوط من رحمة الله.. رقم: ٥٩٠ وراجع فضل الله الصمد (٢/٤٦).

وأخرجه أيضاً أحمد تاماً (٦/١٩) وابن أبي عاصم رقم ٨٩ راجع السنة بظلال الجنة (٤٣) والألبان في السلسلة الصحيحة رقم ٥٤٢: وفي صحيح الجامع رقم ٣٠٥٤ وصححه وأخرجه أيضاً الحاكم دون الشطر الثاني (١/١١٩).

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته ولم يخرجاه ولا أعرف له علة ووافقه الذهبي. قلت: قال الألبان: وقدوهما في بعض ما قالا فإن أبا على الجنبي لم يخرج له الشيخان في صحيحهما وأبو هاني واسمه حميد بن هاني لم يخرج له البخاري.

وقال: أيضاً قال ابن عساكر: حسن غريب تفرد به أبو هاني ورجال اسناده ثقات (رقم ٥٤٢).

(١) لم أقف عليه في الكتب التي طالعتها.

الأسباب كلها منقطعة إلا أسبابه، والأبواب كلها مغلقة إلا أبوابه.

جناب الله أعلى مرتقى تسمو إليه همم المرتقين، ليس دونه مقنع للطالبين، ولا وراءه مذهب للسالكين.

سلام الله ورحمته وبركاته على همم لا يرضيها إلا قرب الله ومرضاته، ما حلا لها غير ذكره، ولا انقادت لسوى أمره، فهي الدهر في طاعته وشكره، على حلو العيش ومره، ويسر الأمر وعسره.

أولياء الله لا يحبون ولا يبغضون إلا في الله، ولا يشتاقون ولا يحبون إلا لِلَّه، ولا يتوكلون ولا يعتمدون إلا على الله.

إذا صفا مشرب معاملة الله لم ينالوا كدر المشارب، وإذا أينع لهم مذهب السلوك إلى الله لم يهتموا لضيق المذاهب، وإذا ظنوا أن الله عنهم راض لم يكترثوا بغضب غاضب، وإذا لم يكن رسول الله ﷺ عليهم عاتب لم يشغل قلوبهم عتب عاتب.

رضا رسول الله ﷺ علامة على رضا مرسله، والعمل بالقرآن دليل على الإيمان بمنزله، فاتلوا كتاب الله وتدبروه، وعظموا رسول الله ﷺ ووقروه.

اللهم صل على سيدنا محمد وآله الكرام، ما نسخ النور الظلام. واضرب سرادقات حفظك علينا، ولا تقطع عنا مواد إحسانك إلينا، واحرسنا من فوقنا ومن تحتنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن خلفنا ومن بين أيدينا، إفعل اللهم بنا ذلك وسائر المسلمين، ولا تخلنا وإياهم من رحمة تذكرنا بها، يا أرحم الراحمين.

* * *

المجلس العاشر

غوائل الشيطان

الله أكبر، ما تعاقبت الأيام والليالي.

الله أكبر، في كل مقر، وفي كل سافل، وعلى كل شرف عالٍ.

الله أكبر، ما أقبل عام، وأدبر عام.

الله أكبر ملء بياض النهار وسواد الظلام.

الله أكبر، في بطن كل واد، وعلى ظهر كل شرف.

الله أكبر، تكبيراً يوجب النجاة، وينقذ من التلف.

كل العباد إلى رحمته فقير، وفي نعمته مغمور، محتاج إلى خفي لطفه وخفي عنايته. هل لكم من إله سواه، يجبر كسركم، ويكشف ضركم، ويمدكم بأموال وبنين، ويحييكم على تعاقب السنين، حتى تبلغوا من العمر غاية آجالكم، وقد أراكم عجائب الآيات في تصرف أحوالكم فليس منكم من نزل به نازله مماته إلا وقد عرف ربه في تصرف حالاته؛ فارحموا أنفسكم من متابعة هواها، ومساعدتها على نيل مشتهاها.

* * *

بُليت بنَفْسٍ لا يزال هَوَاها يقود إلى نارٍ تدورُ رحاها
ومال النَّفْس للشيطان إلا مُسَاعدٌ على عصمتي حتى تحل عراها

ومن يُحلِل الشيطان عِصْمة دينه هَوَى في سَعير لا يُطاق لظاها
أخي إن أَرَدْت النَّجْحَ والفَوْز بالمنى فخالف من النّفس الكَنُودِ[1] هواها
ولا تتبعها في السّلوك فإنها تضلّل عن نهج الهُدى بعماها

* * *

ما احترس الإنسان من غوائل الشيطان بمثل نهي النفس عن الهوى، ولا استعان على قمع هوى النفس بمثل الزهد في الدنيا.

متى أردت أن تعرف أن الدنيا والآخرة ضُرّتان فاعتبر ذلك بجوارحك، لأنها أبواب دنياك؛ فإن دخلت عليك من لسانك: أطلقته في الباطل وفيما ليس له حاصل، وشغلتك عن التلاوة والذكر، وأوقعتك في لغو الكلام والزور وقول الفجور؛ وإن دخلت عليك من بصرك: أرسلته في النظر إلى المحرمات المردية، وشغلتك عن النظر في المصحف وكل ما فيه عبرة للناظر ونور للخاطر؛ وإن دخلت عليك من سمعك: أمالته إلى سماع كل لهو وباطل، وشغلتك عن سماع ما نفعه إلى القلب واصل؛ وإن دخلت عليك من بطنك: كسلت عن الطاعات، وأبسطت إلى الشهوات، وأعمت عن الفكر والذكر بصيرة قلبك، وقادتك إلى كل ما فيه سخط ربك؛ وإن دخلت عليك من فرجك: فإن كان حلالاً: أوهن القوة، وبلّد الفطنة ـ وإن كان حراماً: ما زاد على ذلك إلا زوال النعمة وحلول النقمة.

وجملة القول في ذم الدنيا: أنها لا تدخل على أحد قط إلا أدخلته بحرامها في عقاب، ومنعته بحلالها عن ثواب.

سبحان الله.. ما أهون الدنيا عليه، وما أبغضها إليه. أهل الدنيا بحرامها مغرورون، وبخدعها مغبونون، وبتحصيلها عن الآخرة مغمورون شاغلون

---

(١) «الكنود» كَنَدَ: كفر النّعمة.

﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾[1].

* * *

أهلُ المَشَاغِلِ بالدّنيا وزينتها	عن ذكر ربّهم ساهون لاهونا
لو أنّهم قنعُوا مما يبلغهم	لعجّلوا راحةً مما يقاسونا
تفوتُ ذي الدار الأُخرى وهي فانيةٌ	يا ويلَ عُشّاقها مما يُلاقونا
لا دارهُمْ لهم في الدّهر باقية	كلاّ ولا هم لما في الدهر بَاقونا

* * *

أسباب الغفلة

اغتنم مواسم الأرباح فقد فاتت أسواقها، وداوموا ما دامت أبواب التوبة مفتحة فقد حان إغلاقها، وانتهزوا فرصة اليسار في دار القرار ففد آن من أقمار الأعمار محاقها، وبادروا هجوم الآجال فشمس المنية قد أزف إشراقها، وأعدوا ليوم الحساب صواب الجواب فإنما يحاسب الخليقة خلاّقها.

واغوثاه بالله من ثقل هذا الرماد، ما أخوفنا أن تستمر غفلتنا إلى يوم التناد.

أعظم الأسباب في توليد الغفلة أمران: أحدَهما ـ امتلاء البطون. والآخر ـ معاشرة البطّالين. فعليك بالجوع والعزلة إن أردت العتق من رق الغفلة.

إذا أردت أن يعتزلك الناس فاصمت عن محادثتهم، فإن أكثر مواصلات الناس بينهم بالكلام، فمن صمت عنهم اعتزلوه.

لا أضر على العبد من أمرين: ـ غفلته عن ذكر الله . ـ ومخالفته لأمر الله.

---

(١) سورة الروم الآية: ٧.

الغفلة تحرم الربح، والمعصية توجب الخسران. الغفلة تغلق أبواب الجنة، والمعصية تفتح أبواب النار.

خلق الله سبحانه تعالى الجنة والنار للأبد، وخلق السماء والأرض إلى أمد؛ فمن عوفي من رقاد الغفلة وسقام المعصية خرج عن النار وأدخل الجنة؛ ومن بقي برقاد غفلته فليس له في الجنة ولوج؛ ومن بقي بسقام معصيته فليس له من النار خروج. فأما السماء والأرض فمحكوم لهما بالبوار، وليس لأحد في واحد منهما قرار. ففروا إلى الله مما يشغل عنه كل الفرار، واستجيروا به من الغفلة والمعصية، فهما فوات الربح وإلحاق الخسران.

* * *

يا طول حزن الغافلينا ... عن ذكر رب العالمينا
يا هضمهم يوماً يرون ... ثواب ذكر الذاكرينا
ستطول حسرتهم لما ... كانوا به متشاغلينا
يتحسرون على فوا ... ت من فعال الطائعينا
هذاك حال الغافليـ ... ـن فكيف حال الخاملينا
يا ويلهم يوماً يجازي ... الله فيه العالمينا
يا حسرة يصلون جه ... رتها خزايا نادمينا

* * *

يتلهفون على فوات دخولهم في الصالحين. يا سامعاً هذا الكلام اسمع مصاب الهالكين، واعمل على تخليص نفسك من شباك القانصين[1].

نبهنا الله وإياكم من رقدة الغافلين، ورزقنا وإياكم مجاورة الصالحين، ونوّر

---

(١) جمع قانص وهو الصياد.

بصائرنا وبصائركم بما نور به بصائر الموقنين، وزودنا وإياكم التقوى فأن العاقبة للمتقين.

ونسأله سبحانه أن يضاعف صلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين.

* * *

المجلس الحادي عشر

ذكر الموت

اللهم صلى على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالدين القيوم الصواب، واختصه الله بالكتاب المنير الثاقب، وجباه بالفضل المبين الراتب، وأحله من منازل الشرف في أعلى المراتب.

بمحمد تصفو الموارد هماءً على الصماء المقارب، عبدٌ حباه ربه بنفيس مخزون المواهب، أعطاه من إحسانه فأفاق همه كل طالب، وحمى أباه وأمه من كل ما للعرض ثالب، آباؤه من عهد آدم كلهم في المجد راتب، يتنزهون عن الفواحش والمعايب والمثالب، حتى أقروه بأشرف منصب من آل غالب، قوم لهم شرف يفوق المناسب والمناصب، حملت به البكر بطالع في السعد ثاقب، حتى إذا ما حان مولده المفرج للكرائب، جاءت به بدراً أضاءت له المشارق والمغارب، وجلا بطلعته المنيرة دجى الكفر الغياهب، وتباشرت بقدومه الأفلاك حافلة الكواكب.

يا رب بلغنا به ولجميع من في الخير راغب:

عفواً ومغفرة وفوزاً بالمواهب والرغائب، حتى نرافق أحمد بالخلد في أعلا المراتب.

سبحان من كتب الموت على من تحت عرشه. سبحان من تفرد بالوجود الأزلي، والبقاء السرمدي، دون خلقه.

سبحان من ساوى بين البرية في ورود حياض المنيّة، فلا القويّ يعتصم منها بقوته، ولا العزيز يرتفع عنها بعزّته، قضاء وفضل سبقت به إلا إلاهيته والأقدار، وحكم عدل حكم به من كل شيء عنده بمقدار؛ فمن سخط فله السخط، ومن رضي فله الرضا، لأن القدير إذا طلب أدرك، وإذا حكم أمضى.

سكرة الموت لا تحيا إلا بالحق، والرضا بالحق واجب على جميع الخلق.

إن لملك الملوك قدرة دائرتها محيطة لا يخرج عنها دودوح من سكان البسيطة.

فالحمد لله على رحمته فيما منّ به من الحياة، وعلى حكمته فيما حكم به من الممات، والحمد لله الذي يحيينا بعد الوفاة، ويجمعنا بعد الشتات؛ إن عامَلَنا بما نحبه فمن خزائن الرحمة والفضل، وإن فعل بنا ما نكرهه فمن باب الحكمة والعدل، فشكره واجب علينا إذا ذكرنا بفضله، والرضا عنه لازم لنا إذا عاملنا بعدله، وكل ذلك مما سطّرته أقلامه وشرّعته أحكامه.

تقدس الذي صنع فأتقن ولم يكن له في صنعته مشير، وخلق فأحسن ولم يكن له على خلقه ظهير، **﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير. الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾**[1].

- أما بلوى الحياة: فإن راميّها يصلح لكسب الخير والشر، فكاسب الخير صابر على مصير أهله، وكاسب الشر سيجزى على فعله بمثله.

(١) سورة الملك. الآية ١ ـ ٢.

ـ أما بلوى العباد: فإذا حضرتهم الـوفاة إنقسمـوا إلى محب وكـاره للفناء، وراض وساخط للقضاء؛ فمن مـات على حال من هـذه الأحوال خُتم عمله بهـا وألحق بأهلها. فقوله: ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ معناه ـ يختبركم فينظر أيـكم لـه أطوع، وإلى رضاه أطلب وأسرع.

وفي الحديث: عنه ﷺ أنه كان يقول: « إن الله أذل ابن آدم بالموت »[1].

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿ الـذي خلق الموت والحيـاة ليبلوكم ﴾ قال: أذل الله ابن آدم بـالموت، وجعـل الدنيـا دار حياة ودار فنـاء، وجعل الآخـرة دار جزاء ودار بقاء.. فقد اتضح بهذا الحديث والأثر أن في الموت حكمـة لمن أراد التدبر، وعبرة لمن اعتبر.

ـ فمن الحكمـة في الموت: وضـع عماد المتكبـرين، وتنغيص حيـاة المتـرفين، وتكذيب ظنون الآملين، وتنبيه عقول الغافلين، وإزعاج قلوب المطمئنين، ورفع أيدي المتسلطين، وتخفيف أثقال العبادة عن العاملين، وفـوز المحبين بلقاء من كانوا إليه مشتاقين.

ولو لم يكن في الموت إلا أنه قضاء رب العالمين، لكان الـرضا بـه فرضـاً لازماً لجميع المؤمنين.

الموت انقطاع عن دار الفناء، واتصال بدار البقاء، وخروج من دار العمل، ودخول في دار الجزاء.

الموت راحة المسيء والمحسن؛ أما المسيء فينقطع عنه استمرار طغيانه، وأمـا المحسن فيفضي إلى دار الجزاء على إحسـانه. المـوت فيه لقـاء الأحباب، وإحراز الثواب فليس يكرهه إلا مريب مرتاب.

* * *

(١) لم أقف عليه في الكتب التي طالعتها.

الموتُ فيه تواصلُ الأحباب و به حياةُ المؤْمن الأوّاب
يشتاقه البرُّ المطيعُ لأنه يفضي إلى زُلفى وحُسن مآب
يحلُو المماتُ لمن رَجَا بمماته لُقيا الكريم الماجد الوهاب
ويحيد منه كافرٌ أو فاجرٌ قد يشرده سّخطه وعقاب
فامهدْ لنفسك قبل موتك موقناً أن الممات مقطع الأسباب
واعلم بأنّك عن قريب خالدٌ في دار خلد أو أليم عقاب

* * *

سيصحو السكران من سكره، حين لا يمكنه تلافي أمره.

سيندم المضيّع على تضييعه، إذا قابله أمر صنيعه، سيقصر الأمل من أمله، وقت هجوم أجله، ونفاد أكله، وتعذر الزيادة في عمله، والخروج من أهله وماله؛ هنالك يستحيل حلو العيش مُرًّا، وينقلب عرف الأمر نكراً، ويعلم جامع الحطام أن الباقيات الصالحات أنفع ذخراً.

ليس في ظل الدنيا مقيل، ولا على هذه الحياة تعويل، كيف يطمع في الإقامة في دار الرحيل؟ كيف يضحك من هو محفوف بموجبات العويل.

أسمعنا الغير فتصاممنا، وأيقظتنا الغِيَرُ فتناومنا، ورضينا بالحياة الدنيا من الآخرة، واشترينا ما يفنى بما لا يفنى، فتلك إذاً صفقة خاسرة.

أين الآذان الواعية؟ أين الأعين الباكية؟ قول بلا فعال، وأمرٌ بلا امتثال؛ رسل ملك الموت على أنفسنا في كل نَفَسٍ واردة، وأجساد أحبتنا تحت أطباق الثرى هامدة، قد أوحشت منهم ديارهم، ودرست رسومهم وآثارهم، وحالت في اللحود أحوالهم، وتقطعت بالبلاء أوصالهم، ومحت أيدي الحوادث والغِيَرِ والقبور محاسن تلك الصور، وأطبقت عليهم ظلمات تلك الحفر، فلا شمس فيها ولا قمر ونحن عمّا قريب إلى ما صاروا إليه صائرون، وبالكأس الذي شربوا منه شاربون، ثم مع هذا اليقين إلى دار الغرور راكنون! فإذا الذنوب قد رانت

على القلوب، وقلة حياء من مراقبة علام الغيوب.

فيا ويح نفس عما يراد بها غافلة، لا تستعد لما هي إليه صائرة، وعليه حاصلة، ولا تزهد فيما هي له مفارقة، وعنه زائلة.

نور العارفين

* * *

إلى من أشكُو أَلومُ نفسٍ شحيحةٍ على الخير قد أضنى فُؤادي علاجها
إذا سأَلَتْني شهوةً مَنَعتُها أدامت سُؤالي واستمرّت لجاجها
وإن سُمتها خيراً تفوزُ بنفعه غداً نفرت منه ودام أمر انزعاجها
فقد ضقتُ يا مولاي ذرعاً وأظلمت على الأرض الفضاء فجاجها
فهَبْ لي يا نُور السموات فطرةً يضيء لعيني في السلوك شراحها

* * *

الله نور السموات والأرض، فمن لم يستر قلبه بالله فهو في ظلمات بعضها فوق بعض.

من كثرت رؤيته الأنوار في منامه فالغالب عليه الذكر، ومن كثرت رؤيته المصابيح النارية فالغالب عليه الفكر.

أهل الذكر يستمدون من العقل، والإيمان أشرف من العقل، فمزيّته عليه كمزيّة ضوء النور على ضوء النار في الفضل.

قال بعض العارفين: نمت ليلة وعندي قنديل مسرّج، فرأيت النبي ﷺ وقد جاء في صورة المنكر عليّ وهو يقول: أما علمت أن النور للمحمدي والنار للموسوي، ثم أشار إلى القنديل بيده فأطفأه، فانتبهت والقنديل قد أطفىء؛ فاشكروا الله يا أتباع محمد المصطفى، فنوركم بمتابعته نور لا يطفأ.

جعــل الله دينكم أسهـل الأديــان وأسمحهــا، وكتــابكم أوضــح الكتب وأحكمها، ونبيكم أرحم الأنبياء بأمته وأنصحها.

جعلنـا الله من أتباعـه المفلحين باتبـاعـه، وجعلنـا من العـاملين بكتـابـه، وحشرنا في جملة أحبابه، فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا به.

* * *

المجلس الثاني عشر

الميثاق

في قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾[1]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الميثاق) العهد. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه العهد بأنه إن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخذ الميثاق على النبيين وأممهم، فاكتفى ربكم بالنبيين.

وأما: ﴿ **الإصر** ﴾ فهو العهد.

وقوله: ﴿ **فاشهدوا** ﴾ أي فاشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم بذلك فالمستشهدون هم الأنبياء. وقيل: الملائكة.

فصلوات الله على صاحب المقام المحمود، المأخوذ على الأنبياء بنصرته العهود، والله وملائكته على ذلك لشهود.

وهذا من أقوى البراهين، على تفضيل محمد ﷺ على سائر الأنبياء

---

(١) سورة آل عمران. الاية ٨١.

والمرسلين. ومن كان أفضلهم فهو أفضل الخلق أجمعين.

* * *

زار في جُنحِ الدُّجى طيف الخيال من بديع الحُسن فتّان الجمال
زورةٌ أحيت كئيباً شفّهُ مضضُ العذل وتبريح المطال
عاش بالوَصْل وقد كان قضى وقتيل الهجر يحي الوصال
يا لهُ من زائرٍ حلَّ الدجا منه إشراق جبينٍ كالهلال
مثل ما حلَّ بأنوار الهُدى مولدُ الهادي دياجيرُ الضلال
أحمد المختار ذُو المجد الذي سَادَ بالعزّ منيفات المعال
شرّع الشّرع لنا من بعد ما لم نك نَدْرِي حراماً من حلال
نَسَخَتْ ملّته ما قبلها وأحا لت حَالَ أصْحاب المحال
بكتاب حَيَّرت آياتُه بالكَلاَ م الفضل ألباب الرجال
كان أهل الأرض في سجن العمى من ظلام الكفر والدَّاء العضال
فتبدّت لهم أنوارهُ كما البدر بدا عند الكمال
فلهذا قُلت في مدحي له عزٌّ لا يشبه منظوم الهلال
زار في جُنح الدجا طيف الخيال من بديع الحسن فتّان الجمال

* * *

المجلس الثالث عشر

يوم الوعيد

الحمد لله ما انتظمت بتدبيره الأمور، واعتقبت بتصريفه الدهور، ووسع المقترفين عفوه وغفرانه، وعم المفتقرين بفضله وإحسانه. خرّت لعظمته جباه العابدين، فطوبى لمن عَبَد. واعترفت بوحدانيته قلوب العارفين فويل لمن جحد.

لا راتق لما فتق، ولا فاتق لما رتق، ولا رازق لمن حرم، ولا حارم لمن رزق.

فإذا افتقرت إلى الرزق فقل: يا مغني المفتقرين. وإذا ضللت فقل: يا دليل المتحيرين. وإذا تعاظمت عليك أهوال القيامة فقل حسبي أرحم الراحمين.

الإيمان بيوم القيامة يخف به النطق على اللسان، ويثقل العمل به على الجوارح، ويسهل الإقرار به على من يدّعي الإيمان، ويعسر استقراره بين الجوانح.

كم من مقر بالعرض على الديان وهو مرتكب للقبائح، يزحف إلى الطاعة زحفاً بطيئاً، ويجري إلى المعصية جرياً حثيثاً، ﴿ **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾[1].

---

(١) سورة النساء الآية ٨٧.

لو كنت من المصدقين بيوم القيامة لكنت من أهواله خائفاً، ولو سلكت سبيل طلاب السلامة لم تكن للأمر مخالفاً، ولو رغبت فيما أعد الله لأوليائه من الكرامة لم تزل في الخدمة واقفاً، ترجو رجاءً طيباً وتعمل عملاً خبيثاً. ﴿ **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾.

المصدقون بيوم القيامة أكياس دانوا أنفسهم وعملوا لما بعد الموت؛ ثبتت عقائدهم في قلوبهم بالنص والقياس، فشمّروا خشية الموت؛ أيقظوا عقولهم من رقدة النعاس حين أسمعهم الصوت، علموا أن ما بأيديهم من الدنيا سيصبح تراثاً موروثاً، وهباء مبثوثاً ﴿ **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾.

* * *

خليليَّ أمَّا مطايا الرحيل ... وَسَيْروا إلى الله سيراً حثيثاً
وإيّاكم أن تكُونا كمن يُبدِّل ... بالطيّبات الخبيثا
ولا تُخدعَا بأماني النفوس ... فقد صدق الناصحون الحديثا

* * *

من لم يكن شغله بأمر آخرته، ولا مصلحة دنياه فشغله فضول.

فإياك والتفرغ لثلب أعراض الناس، فالعاقل عن ذكر الخاطئين مشغول. العاقل عن ذكر الورى مشغول، قد أيقن أنه غداً مسئول.

من أيقن أن ربه سائله، فالصارم فوق رأسه مسلول.

إذا أحببت أن تعلّم العبد لا تسمعه التفرغ لغير ذكر ربه ونفسه، فتأمل أحوال العباد يوم القيامة، الكل في ذلك مهتمون بنفوسهم، ومحمد ﷺ مشغول بربه، يسجد السجدة بعد السجدة بين يديه، يمكث في كل سجدة ما شاء الله

يحمده ويثني عليه، وسادات المرسلين ينادون نفسي نفسي، ومن سواهم مشغول بكربه، لا يعيد ولا يبدي.

كم في القرآن من ذكر يوم الوعيد، ولو لم يكن إلا سورة التكوير والانفطار، لكان كافياً لذوي الأسماع والابصار. فليت شعري، هل أنتم بالقيامة مصدقون؟ أم الموعود بها قوم آخرون؟ وأن عليها صدأ الذنوب، ومن ران الذنب على قلبه فهو من الآخرة محجوب.

* * *

عينُ جُودي بدمْعِكِ المسكوب قد	أمات القُلُوب كَسْب الذنوب
كيف ترجُو الحياة للقلب والعبـ	ـدُ مُصرٌّ على ارتكاب الحوب
أدّعى باللّسان أني آمنت	وحالي تُومي إلى تكذيب
أي عُذرٍ عَدَدْت يا نفسُ	للموقف يوم الفقر والتكريب
يوم يـجثو مُوسى وعيسى وابرا	هيم من هول تلك الخطوب
يظهر الحقُّ ذلك اليوم للخلق	خَـفَايا مستودعات القلوب
يومَهُمْ بـارزون لا شيء يَخفى	من بعيد منهم ولا من قريب
كيف يَخْفى شيءٌ على الله منّا	ومنهم علاّم خافيات الغيوب
يتولى الحساب ربّ البرايا	غير مستور ولا مستنيب
يا حَيَاء المقصّرين المسيـ	ـئين يوم فَضْح الغيوب
حسبُنَا رّبنا وليس سِوَى	يُرجى لفاقة المرنوب

* * *

إن كنت أيها العاصي ساقطاً عن غير الله، فيكفيك سقوطك من عين ربك؛ وإن كنت من أهل الكرامة على الله، فبقدر كرامتك عليه يمقتك على دينك؛ وإن كنت من أهل القربى، إشتد عتبه عليك من أجل قربك؛ وإن كنت من أهل البعد

اشتد هوانك عليه من أجل بعدك.

* * *

ما اشتد عليكم في جفاكم عتبي إلا لعلو قدركم في قلبي
الحب حرام عند أهل الحب ما أوجع سوط البعد بعد القربي

* * *

من خصائص الذكر

بـذكر الله تستنيـر القلوب وتحيا، فكـل غافـل عن ذكر الله فهـو في ظلام. الليل أغشى ولو أشـرقت لعينه شمـوس الضحى ﴿ **الله نور السمـوات والأرض** ﴾ فلهذا لا تستنير إلا القلوب التي هي بذكره ملأى.

* * *

صبّ تقلبُه على فَرش الضّنا مُذْ غِبتُم عدم المسرة والهنا
ما اشتدّ عنكم بعد بُعد مَزاركم إلاّ الصبابة والكآبة والعنا
لكن أماني الوَصْل تنعشُ قلبهُ فيعيشُ أحياناً بترويح المنا
وتهبُّ من ذكراكُم لفُؤاده نسماتُ ألطافٍ تفرجُ ما عَنَا
فالذّكرُ أغنى ما لَفَاقَة قلْبه ما لليتيم من تذكركم عنا

* * *

كيف يستغني المحب عن ذكر الحبيب زمان البعد والحجاب؟ والـذكر هـو العوض لفقد الأحباب عما فقده من نعيم الرؤية ولذيذ العتاب.

المحب الصـادق إما أن يكـون إلى المحبوب نـاظراً مـا دام لـه عن وجهـه

سافراً، وإما أن يكون له ذاكراً إذا لم يكن له في حضرته حاضراً.

* * *

كنتُ من قُرب دَارِهم في نعيم   وأنا اليوم في العَذَاب الأليم
أنا أشكُو إليكم حُرقة الذّكرى   فأنا من وقودها في جحيم
أجمعُ لكم من طبيبٍ خبيرٍ   ولبيب وناصحٍ وحكيم
إنّ هجر الأَحْباب سوطُ عذابٍ   ووصلُ الأَحباب رأس النعيم

* * *

عباد الله.. اذكروا الله ذكر من هو إلى وجهه الكريم ناظر، جنابه العزيز حاضر، فخير الذكر ما كنت فيه غائباً كحاضر، ومحجوباً كناظر.

لو تحقق الذاكر بما هو له من الأدب لازم عليه واجب، لنظر إلى شيطانه **﴿ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصبٌ﴾**(١)

ذاكر الله لا يستطيع الشيطان في ذكره مقيلاً. ذاكر الله لا يجد الشيطان إلى إغوائه سبيلاً. ذاكر الله لا يزال شيطانه مدحوراً ذليلاً. ذاكر الله قد تكفل الله بحفظه، وكيف يضيع من كان الله يحفظه كفيلاً.

اذكُرُوا الله بكرةً وأصيلا   وتبتل لذكره تبتيلاَ
اذكُرُوا اللّه ذكْر صَبٍّ مشوقٍ   واجعل الذكر للوصال سبيلاَ
ارض بالله مُؤْنساً وجليساً   واتخذه دون العباد وكيلاَ
فِرَّ مما سواهُ والجأْ إليه   واسمحه تجده برًّا وصولاَ
الْزَمِ الذّكر واتّخذه تجد   الذّكر بالوصال كفيلاَ

* * *

---

(١) سورة الصّافات الآية ٨، ٩.

فضل الاستغفار

المعاصي سلسلة في عنق العاصي، لا يفكه منها إلا الاستغفار والتوبة.

والصراط كثير الاضطراب تحت أقدام السالكين، لا يسكنه إلا قول رب سلّم سلِّم. والنار مسعرة الضرام، لا يطفىء لهيبها إلا نور الإيمان. والموقف شديد الحر، لا يكن منه إلا ظل العرش. والقبر مطبق الظلمة، لا ينوره إلا مصباح اليقين. والجنة مغلقة الأبواب في وجوه طلابها، لا يفتحها إلا كلمة الإخلاص وشفاعة الرسول [بغية كل مريد، لا تنال إلا بالتوحيد][1] والشيطان جاثم على قلب الإنسان لا يمشي عنه إلا بالذكر.

اذكر البر الرحيم كما يذكر الأحباب العشاق، مسّة الشيطان ليس لها غير ذكر الله ترياق.

يا فرسان ميدان ذكر الله أطلقوا الأعنة، يا فرسان ميدان ذكر الله أشرعوا الأسنة، وأسقطوا الأجنة.

لا تطمعوا في وجدان حلاوة الذكر، وقلوبكم مشغولة بوسواس الفكر. كيف يكون حبيب الرحمن، من هو للشيطان سميرٌ. كيف يطمع في الوصول، من لا يجدُّ في المسير.

* * *

لا ينالُ العُلى رخيُّ البال ... إنما تلك رتبة الأبطالِ
خاطرُوا بالنفوسِ والأموالِ ... هكذا هكذا تُنال المعالِ
واعلمُوا أن في حدودِ جِنَانِ الـ ... ـخُلد حُوراً لها مهور غوالِ

(١) هنا سقط في الكلام وما بين القوسين من كلامي سلكته على طريقة المؤلف في الحديث لأتمم به المعنى.

ووراء السُّـور سَجْف سُتُور — مُسْبلات على قصور عوالي
فوق تلك القُصُور وادي التجلّي — والكراسي منصوبة للرجالي
هم رجالٌ لم يُلههم عن مجا — لس الذكر شيءٌ من هذه الأشغال
فانْفُضُوا عن قُلُوبكم كل همٍّ — من هموم الأولاد والأموال
واحملوا حَمْلة الْهِزَبْر[1] إذا — حامى حذار الردى عن الأشبال

* * *

من لوازم الذكر

أول ما يحتاج إليـه العازم على ذكـر الله التفرغ من الشـواغل الـظاهـرة، ثم تسكين جوارح البدن عن الحركات الشاغلة، ثم قطع الفكـر عن قلبه، ثم إشعـار نفسه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه، ثم استفراغ الـوسع في تجـويد الـذكر، ثم إطالة المجلس مـا أمكنه إطـالته، ثم التحفظ بـالحالـة التي استفادها قلبه من الرقة باجتناب الملهيات من حين يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه؛ فهذه الشرائط السبع، من راعاها حق الرعاية، بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية.

من أحب شيئاً أكثر ذكره، ومن أجلّ أمراً أعظم قـدره، ولا حبيب أحب من الله إلى أهل ولايته، ولا جليل أجل عنـد الله من أهل معـرفته؛ فـاذكروا الله ذكـر المحبين، وأجِلّوه إجـلال العـارفين، لتشـربـوا كؤوسـاً من رحيق شـرابـه رحيقـاً مختوماً، ثم تلحقوا بمن رفعهم الله عن الرحيق حتى صار كل شرابهم تسنيماً.

* * *

لعلك تَشْتهي صرفاً حلالا — لا صداع ولا خُمارا
شرابُ المسلمين فلا يهودٌ — حَوتها في الدِّنان ولا نصارى

---

(١) «الهزبر» الأسد.

عليكَ بقُرْب مجَالِسِ أَهل ذكر تجد قوماً من الذكر سكارى
تدورُ عليهم كاساتُ خمرٍ من التوحيد قدس من أوزارا
فَزْرهُمْ لا تخفْ فليس يشقى طوال الدَّهر من للقوم زارا
عساك تُصيب بينهم نصيباً من الحس إذا ما الكأس دارا

* * *

أهـل ذكر الله وقت صفاء الأوقات يشـربـون من شـراب المصـافـاة كؤوسـاً متـرعات، ويجنـون من غروس الـذكر ثمـاراً يانعـات، ويخلع عليهم من ملابس القرب حلل فاخرات ﴿ **يطوف عليهم ولـدان مخلدون* بأكـواب وأباريق وكـأس من معين* لا يصدّعون عنها ولا ينزفون* وفاكهة مما يتخيرون* ولحم طير ممـا يشتهون** ﴾[1] كل هذا يناله أهل مجالس الـذكـر، والنـاس ينظرون إليهم، وهم لا يبصرون.

* * *

أهلُ ذكر الله قد يُتْحِفُونَا بِنَوالاَتٍ بها يكرمونا
فتراهُم مُنَعَّمين وهم فيما اشْتَهَت أَنْفُسهم رَاتعينا
تعرُجُ الأرواحُ منهم إلى العرش وهم بين الورى قاعدونا
وحسانُ الحُور تجلا على أبْصارِهِمْ والناس لا يُبصرونا
وكؤُوس دَائراتُ بها الولدان يسقُونَ فلا يُنزفونا
وثمارٌ يانعاتُ بأَطباق لُجَيْنٍ[2] هم بها يَطوفونا
والرّياحينُ تميدُ اهتزازاً برياض هُم بها يَمرحونا
وبحارُ الخمر والماء والشَّهد ومـا يَـفْـنَى لواجدونا

---

(١) سورة الواقعة الآيات من ١٧ ـ ٢١.
(٢) «لجين» الفضّة.

وثيابُ السُّنْدُس الخُضْر عَاليهم فهمُ في حُسنها يرفلونا
كل هذا وهم بعدُ في دنياهم بين الوَرَى يُرزقونا
كيف لو فارقُوا هذه الدار إلى دارٍ لها يعملونا
قومٌ جدُّوا في اللّحاق بهم كيف تحوَّزُوا ما هم حائزونا
واذكرُوا الله على كل حال وانظروا كيف تذكرونا
لا يتمُّ الذّكرُ حتى تكونوا كلما في وسعكم تبذلونا
فأذيبُوا الأَنْفُس في طلب العيش بدارٍ لا ترون فيها المنونا
والزمُوا ذكر الجليل فبا لذكر إليه وصل الواصلونا

* * *

اللهم إنا نسألك يا من جاد على عباده الصالحين بالقوة والمعونة حتى قاموا لك بحق القيام بالطاعة، أن تمن علينا بما مننت عليهم. ونسألك أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأن تجمع بيننا وبينهم في دارك، دار النعيم، إنك جواد كريم.

وصل اللهم على محمد وآله وصحبه، وسلّم تسليماً كبيراً.

* * *

المجلس الرابع عشر

التقوى

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يجب على العبد في عبوديته، وكما يحبه الرب ويرتضيه، أنعم بما لا يحصره الحساب ولا يحصيه، ولا يسعه الكتاب ولا يحويه.

كم ذنب قد غفره، ولولا الغفران لحاق العذاب بجانبه.

أحمده على اللاحق والسابق من أياديه، حمداً يوجب المزيد من كرم الحق لحامديه.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أزاحم بها على باب الجنة داخليه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه الله من خلقه، فسبحان مصطفيه؛ وارتضاه لتبليغ رسالته فتعالى جد مرتضيه، فشمّر عن ساق الجدّ في مجاهدة أعداء الله ومعانديه، حتى اتّسق قمر الإيمان في فلك الإسلام، ووضح الحق لناظريه.

صلى الله عليه وعلى آلة وصحبه وحزبه ومحبيه، خصوصاً على الإمام أبي بكر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ على أمته، وصديقه ومواليه.

وعلى الإمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولي رسول الله ﷺ ومصافيه.

وعلى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان، صهر رسول الله ومواسيه.

وعلى الإمام علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ ومواخيه.

وعلى سائر الصحابة، وتابعيه.

* * *

قال الله تعالى في كتابه أمراً لعباده المؤمنين بالتقوى بقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾[1].

جاء في التفسير معناه: أن يطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا ينسى.

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: يا كعب، حدثني عن التقوى. فقال: يا أمير المؤمنين، هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فما صنعت؟ قال: حذرت وشمّرت. قال: فكذلك التقوى.

وقال النبي ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالاً بأس به حذر إلى ما به بأس»[2].

لباس التقوى أحصن جنة يحصن بها الخائفون، وخشية الله أوثق عروة يمسك بها المتمسكون، وأداء فريضة الله، واجتناب محارم الله أنجح وسيلة توسل بها إلى الله المتوسلون.

طوبى لمن كانت الجنة مثابه، وهي مثاب المتقين.

وشراب الرحيق والتنسيم والكافور والزنجبيل شرابه، وهو شراب الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهم رفقاؤه وأصحابه.

---

(١) سورة آل عمران. الآية ١٠٢.

(٢) لم أقف عليه في الكتب التي طالعتها.

إنما يجازي بمثل هذا الجزاء من هو من المتقين، الذين أقاموا الدين بشرائطه المشروعة، واقتدوا في الملة الإسلامية بآياتها المتبوعة؛ فإذا صلى أحضر قلبه مع بدنه في تذكر وتدبر أذكاره، وأحسن أدبه بين يدي عالم أسراره، وإذا تصدق أخرج الطيب من كسبه، لا يريد عليه جزاءً إلا ابتغاء وجه ربه، وإذا حج أخلص النية لله في قصده قبل الخروج من أهله، وأنفق إلى مرجعه من طيب المال وحِلِّه، واجتنب الحرام، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: « من حج بمال حرام فقال: لبيك. قال الله له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك، حتى ترد ما في يديك »[1]. وإذا صام صان نظره عما لا يحل عليه النظر، وصان لسانه عن الكلام الزور والهذر، وصان سمعه عما يحرم الاستماع إليه، وصان لسانه عن تمزيق أعراض المسلمين.

فكم أفسدت الغيبة من أعمال الصالحين، وكم أحبطت من أجور العاملين، وكم جلبت من سخط رب العالمين، فالغيبة فاكهة الأرزلين، وسلاح العاجزين، مضغة طالما لفظها المتقين، نغمة طالما مجَّها أسماع الأكرمين. فرحم الله إمرءًا لم يفسد عبادة يهديها إلى حضرة العزيز الرحيم، بلقمة حرام تعقب طعام الزقّوم وشراب الحميم، فهي كلمة ما استحلاها إلا طبع لئيم؛ وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »[2]؛ في

---

(١) أخرجه الشيرازي في الألقاب وأبو مطيع في أماليه عن عمر وليس فيه « حتى ترد ما في يديك » وأخرجه الديلمي عن أنس بلفظ « من حج من مال حلال أو من تجارة أو من ميراث لم يخرج عن عرفة حتى تغفر ذنوبه وإذا احج من مال حرام قال الرب لا لبيك ولا سعديك ثم تلف فيضرب بها وجهه. ا. هـ.

(جمع الجوامع: (١/ ٧٧١)

(٢) أخرجه البخاري في الصوم باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم والترمذي في الصوم باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم وقال: حسن صحيح.
وأبو داود في الصوم باب الغيبة للصائم. وأيضاً أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألبان في صحيح الجامع وأشار إلى أن أحمد أخرجه في المسند.

هذا الحديث دليل على أن العامل قد يكون بصلاح ظاهره معموراً، وقد سقط عن عين الله حتى ما يزن عنده نقيراً، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من أمره ما كان مستوراً، وظهرت مخبآت الصدور على صفحات الوجوه رقماً مسطوراً، **﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾**[1].

* * *

ليت شِعْرِي ماذا أقُولُ إذا ما	وَقَفْتُ في القيامة مكَبّلاً مأسُورا
ثم قُدِّمتُ للحساب ذَليلاً	وأُتيت كتاباً مسطَّراً منشورا
وأُتي بالأعمال تُوزن بالذّر	فما غادرُوا هناك فقيرا
وبَدَا لي من فوق وجهي	سُوء فِعْلِي مُحرّراً مَسْطُورا
ثم نُودِيَ عليَّ هذا فلانٌ	كان لِلّه عاصياً مَستُورا
فَضَحَتْهُ اليوم الذّنوب	وحسابٌ محررٌ تحريرا
وأتى بالسَّعير أسمعُ منها	تغيُّظاً وزفيرا
ما احتيالي في ذلك الموقف المُهول	ومن ذا يذُودُ عنّي السعيرا
ليس لي غير حُسْن ظَنِّي بربِّي	خائفاً من عذابه مستجيرا
وتعطَّفْ بِجَبْر كسرى فقد	أصبح قلبي مما جَنَا مسكورا

* * *

صفة جهنم

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام

---

(١) الإسراء ١٣.

سبعون ألف ملك يجرونها»[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يؤتى بجهنم يوم القيامة وهي تمايل على الخزنة، حتى توقف عن يمين العرش، ويلقى عليها الذل، فيوحى الله إليها ما هذا الذل؟ فتقول: يا رب.. إني أخاف أن يكون لك فيّ نقمة. فيوحي الله إليها: إنما خلقتك نقماً، وليس لي فيك نقمة. فتزفر زفرة لا تبقى دمعة في عينٍ إلا جرت، ثم تزفر أخرى فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا صعق، إلا نبيكم نبي الرحمة يقول: يا رب.. أمتي، أمتي[2].

عباد الله.. فاستجيروا بالله من شر هذه النار التي لا يرحم ولايغاث باكيها، واسألوه الإقالة من ذنوبكم قبل أن لا يقال غيره، وتوبوا إلى الله من قريب، واستحيوا ممن هو عليكم رقيب، واحذروا أن يأتيكم الموت وأنتم على المعصية مصرّون، ولا تخلدوا إلى الدنيا فإنكم عنها منقلبون ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾[3].

وأكثروا من ذكر الله تعالى واستغفاره، واسألوه أن يرزقكم الفوز بالجنة والنجاة من ناره، واغتنموا العمل الصالح في نهار العمر وليله، وتمسكوا بما في أيديكم من حواشي ذيله، وتزودوا ما أطقتم من البر فستجدونه يوم توفية الأجر، واستحيوا من الله حق الحياء فهو رقيب عليكم في كل ما أنتم له عاملون فإنكم على بساط كرمه قاعدون، وفي بحار نعمه عائمون، وإلى دار جزائه صائرون، ولكريم عفوه وجميل صفحه آملون.

فاذكروه يذكركم، واشكروه يزدكم، واتقوا الله لعلكم تفلحون، اتقوه حق

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب شدة حرِّ جهنم وبعد قعرها...

وأخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود من طريق حفص بن غياث في كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة جهنم وأيضاً أخرجه فيه من طريق سفيان عن العلاء بن خالد الكاهلي به. قال الترمذي سفيان لا يرفعه.

(٢) لم أقف عليه في الكتب التي طالعتها.

(٣) سورة الزمر. الآية ٥٤.

تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

اللهم.. يا من ليس في الوجود سواه، يا من عليه يعتمد، ومن فضله يُسأل، وإليه يستند، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا كثير الخير، يا دائم المعروف، يا من الملائكة في خدمته صفوف، وعلى طاعته عكوف.

يا جار المستجير، ومن هو على كل شيء قدير.

يا غيّاث الملهوف، يا من بيده القبض والبسط، وبيده تقوم السموات والأرض.

يا من امتدت لمسألته أكف السائلين، وخرّت لعبادته وجوه الساجدين، وعجّت بتلبيته أصوات الملبّين، وطمحت إلى معروفه أبصار الآملين. يا عالم السر والنجوى، يا من إليه المشتكى. يا من عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات.

يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. يا من إذا انتهت الشكوى إليه فقد بلغت المنتهى. يا فالق الحب والنوى.

اللهم. نشكو إليك ما نحن فيه من طاعتك مقصّرون، وعلى معصيتك مصرّون، وبعظمتك جاهلون، وبحكمك مغترّون، وعن القيام بما يلزمنا في حقك عاجزون.

اللهم اجعلنا من الذين يعاملونك بما تحب، وتعاملهم بما يحبون، وينصرفون عما تكره، وتصرف عنهم ما يكرهون. وألحقنا بالذين وجهوا إليك وجوههم، وأخلصوا لك أعمالهم، ولم يعتمدوا على أحد إلا عليك، ولم يستندوا إلا إليك، ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠١.

واختم لنـا بخير، ولجميـع المسلمين برحمتـك يا أرحم الـراحمين. وصـل على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس الخامس عشر

جزاء التّائبون

الحمد لله، بجميع ما حمد به الحامدون، على كل نعمة وصل إليها من كرامته الواصلون، لدى خلقه كلهم من نحن به عارفون أو جاهلون.

ومن أولى بالحمد من منعم من بحر أنعمه أنعم المنعمون، ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون** ﴾[1].

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من لم يزل عبده، ولا رأى إلا رفده، ولا خاف إلا وعيده، ولا رجا إلا وعده.

عسى بكلمة الإخلاص أن نحصل على الإخلاص، ولات حين مناصٍ إلا للموحدين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عبده حتى أتاه اليقين، ورسوله الذي جاء بالحق وصدّق المرسلين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، رضوان الله عليهم أجمعين؛ خصوصاً على الخلفاء الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، الأئمة الهداة المهتدين؛ وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) سورة الروم الآية ١٧.

اللهم . . ونحن من جملة عبادك المفتقرين إلى نوالك، الباسطين أكفهم لسؤالك، منتظرين ما تذكرنا به من إحسانك، وتغمرنا به من أفضالك.

اللهم . . فأجرنا بما تجير به المنكسرين، واغننا بما تغني به المفتقرين، وأشركنا في دعاء الداعين، وأشرك في صالح دعائنا إخواننا فيك من المسلمين.

معاشر الإخوان الحاضرين بظواهر الأبدان، احضروا ببواطن القلوب عسى تمطر سحائب الرضوان، بتفسير شيء من القرآن، نستدعي به كرم الكريم، ورحمة الرحمن الرحيم: يقول الله عز وجل في كتابه المبين: ﴿ **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** ﴾[1].

سبب نزول هذه الآية: أنه لما نزل قبلها ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾[2] قال رجل: يا رسول الله، وإن زنا وإن شرب الخمر وإن سرق؟ ونزل بعدها ﴿ **التائبون** ﴾ فكأنه تعالى يقول: الجنة حاصلة للمؤمن ولو أتى الكبائر وغشى الفواحش. ولكن إذا تاب. لأن المؤمن إذا عمل الذنوب فلا بد له ولو عند موته أن يتوب، وهذا من كرم الله تعالى بعبده المؤمن أنه إذا تاب إليه قَبْل موته قَبِل الله توبته، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** »[3].

* * *

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٢.

(٢) سورة التوبة الآية ١١١.

(٣) أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عمر في كتاب الدعوات باب فضل التوبة وقال حسن غريب.

وأخرجه ابن ماجه عن ابن عمر أيضاً في كتاب الزهد باب ذكر التوبة قال في الزوائد: في إسناده الوليد بن مسلم وهو مدس وقد عنعنه وكذلك مكحول الدمشقي. قلت: مكحول هذا يوجد في رواية الترمذي السابقة.

ورواه أحمد في مسنده (٢/١٣٢، ١٥٣) وفيه مكحول.

وأخرجه أحمد أيضاً بسنده عن زيد بن اسلم عن عبد الرحمن بن البيلماني قال: أجتمع أربعة من =

كريمٌ إذا يَممت بالصِّدق بَابَهُ فإنّك لا تلقى على الباب حاجبا
وإن كنتَ ذا ذَنْبٍ فَتُبْ منه واعتذرْ كأنّك لم تُذْنب إذا جِئْت تائبا

* * *

مصير من مات على غير توبة

فأما من مات عن غير توبة من أهل الكبائر فقلّ أن يسلم من العقوبة، لكنه لا يخلد مع الكافرين. وفي الجملة: من دخل النار ولو ساعة من نهارٍ فقد ذاق العذاب الأليم. وليجرب العاصي بنار الدنيا فهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم: هل له طاقة أن يضع فيها أصبعه أو شيئاً من لحظة واحدة؟ فالواجب على العبد العاصي أن يبادر إلى التوبة قبل هجوم أجله وانقطاع أمله.

* * *

إذا كنتَ يا عَاصي على النار لاتقوى فبادِرْ إلى التّوبة واستعمل القوى
ونُحْ أَسَفاً من أجل ذَنْبِك دائماً فما في غَدِي يُغني نواحُ ولا شكوى

* * *

وقد رُوي في أثرٍ أن أكثر استغاثة أهل النار من سوف كانوا يقدمون على المعصية ويؤخرون التوبة ويقولون سوف نتوب، فاختطفهم الموت على شرحالةٍ،

= أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم» فقال الثاني أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة» فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه» [٣/ ٤٢٥].

فألقوا في نار الجحيم، ونعوذ بالله منها.

ـ تفسير آية من سورة التوبة ـ

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ **التائبون** ﴾ أي الراجعون عما يكرهه الله ويسخطه، إلى ما يحبه ويرضاه.

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿ **التائبون** ﴾ قال: تابوا إلى الله من الذنوب كلها. وقيل: تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق.

والتائبون على ثلاث طبقات:
ـ فأدناهم: التائبون من الكفر.
ـ وأوسطهم: التائبون من المعصية.
ـ وأعلاهم: التائبون من الغفلة.

وأما ﴿ **العابدون** ﴾ فقال ابن جرير: الذين ذلّوا لله خشية وتواضعاً له، وجدُّوا في خدمته.

وقال قتادة: ﴿ **العابدون** ﴾ قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم وعدادهم.

وعن ابن عباس: إنهم المقيمون الصلاة.

وقال الحسن: هم الذين عبدوا الله باتباع أمره.

والعابدون أيضاً على ثلاث طبقات:
ـ أدناهم: الموحدون.
ـ وأوسطهم: المطيعون.
ـ وأعلاهم: المتبتلون.

وأما ﴿ **الحامدون** ﴾ فعن ابن عباس: إنهم الذين يحمدون الله على كل حال.

وقال الحسن: ﴿ **الحامدون** ﴾ على الإسلام.

والحامدون أيضاً على ثلاث طبقات:

- أدناهم: القائم بالحمد الواجب، كقراءة سورة الحمد في المكتوبة.
- وأوسطهم: الحامد في كل موضع يشرع فيه الحمد، كالفراغ من الأكل والشرب والعطاس.
- وأعلاهم: الحامدون على كل حال مثلما[١]، كان نوح عليه السلام، فسمّاه الله عبداً شكوراً.

وأما ﴿ **السائحون** ﴾ ففيهم أربعة أقوال: قيل: هم الغزاة. وقيل: المهاجرون. وقيل: طلاب العلم.

وقال الأكثرون: هم الصائمون.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ﴿ **السائحون** ﴾ هم الصائمون »[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام[٣].

وقال الحسن: الصائمون شهر رمضان[٤].

وقالت عائشة رضي الله عنها: سياحة هذه الأمة الصيام.

وهو مروي عنه ﷺ قال: « سياحة أمتي الصيام »[٥].

---

(١) لعلها ساقطة فأضعتها ليستقيم الكلام.

(٢) رواه ابن جرير الطبري قال حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ واسامة (مج ٧ ج ١١/ ٢٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (مجلد ٧/ج ١١/ ٢٨) وأخرج أيضاً عن ابن عباس بسنده قال « السائحون الصائمون». رواه أيضاً الطبري في تفسيره نفس الموضع.

(٤) رواه أيضاً الطبري في تفسيره (مج ٧/ج ١١/ ٢٩).

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

وأما ﴿ الراكعون الساجدون ﴾: فقال الحسن: هم المصلّون الصلوات المكتوبات.

وأما ﴿ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴾: فقال ابن جرير: الذين يأمرون الناس بالحق، ونهوهم عن كل قول أو فعل نهى الله عنه. والناهون عن المنكر: عن الشرك. وعنه: الآمرون بالمعروف، قال: إما أنهم لم يأمروا الناس بحسنة[1] حتى كانوا من أهلها. والناهون عن المنكر، قال: إما أنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه. وقال أبو العلية: كل ما في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي عن عبادة الأوثان والشياطين.

وقال عطاء الأمرون بالمعروف: بفرائض الله وحده وتوحيده. والناهون عن المنكر: ترك فرائض الله وحدوده وعن الشرك به.

وأما ﴿ الحافظون لحدود الله ﴾: فقال إبن عباس: يعني القائمين على طاعة الله، وهو شرط شرطه الله على أهل الجهاد، إذا وفّوا له بشرطه وفّى لهم بشرطهم. أي أن بعض المجاهدين يرتكبون المحرمات من زنا وشرب خمر وغير ذلك، فإذا أنكر عليهم قالوا: نحن مجاهدون، والجهاد يطهّرنا. فردّت الآية عليهم: أي كونوا مع الجهاد في سبيل الله، حافظين لحدود الله.

قال تعالى: ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ أي المصدّقين بوعد الله لهم. وقيل معناه: وبشّر من فعل التوبة، وسائر هذه الأفعال، وإن لم يكن من المجاهدين.

عباد الله.. فصححوا الأعمال تلحقوا بالرجال، واحذروا الرجاء الكاذب فإنه محال، أترجو أن تكون من الرجال بقول أو بفعل أو بحال.

* * *

---

(١) ـ هكذا يستقيم بها السياق

وأنت من المَفَاسِد في جميع الأَوَامر والنَّواهي غير خال
ومن طَلَبَ الوُصُولَ بغير سَيْرٍ على نهجٍ فَذَاكَ من المُحال

* * *

اللهم.. ياذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، يا بديع السموات والأرض، ويا من بيده القبض والبسط: نسألك أن تتوب علينا وعلى العاصين، وأن تجعلنا من عبادك المتقين، وأن تجنبنا أفعال الفاسقين، وأن تختم لنا بخير ولجميع المسلمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس السادس عشر

صلاة القاعد

هذا تفسير حديث متفق على صحته من الأحكام، اتفق على صحته علماء الإسلام، وهو ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: « صلاة أحدكم وهو قاعد مثل نصف صلاته وهو قائم »[1].

القائم في الصلاة له مزية على القاعد فيها من سبعة أوجه:

- الأول: المشقة؛ لأن القائم يلحقه من التعب ما لا يلحق القاعد.

- الثاني: الأدب؛ لأن القائم في الخدمة أحسن أدباً من القاعد.

- الثالث: النشاط؛ لأن القائم أنشط في الخدمة وأبعد من الكسل والنعاس.

- الرابع: التمكن؛ لأن القائم أقدر على فصاحة الكلام في المناجاة وتحسين

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها. ١٦ باب جواز النافلة قاعداً وقاعداً (ج ١٢٠) قال: عن عبدالله بن عمر وقال حُدثت أن رسول الله ﷺ قال: « صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة» قال فأتيته فوجدته يصلي جالساً فوضعت يدي على رأسه فقال: مالك يا عبد الله بن عمرو وقلت: حُدثت يا رسول الله أنك قلت: صلاة الرجل قاعداً على نصف الصلاة. وأنت تصلي قاعداً قال « أجل. لكني لست كأحد منكم».

ورواه أيضاً ابن ماجة رقم ١٢٢٩ - ١٢٣١، النسائي في قيام الليل والدارمي في كتاب الصلاة والترمذي في الصلاة ومالك في الموطأ بكتاب الجماعة باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد وأحمد في مسنده [٢/١٦٢، ١٩٣، ٢٠٣]، [٣/ ١٣٦، ٢١٤، ٤٢٥]، [٦/ ٦١، ٧١، ٢٢٠، ٢٢١].

هيئات العبادة.

- الخامس: كثرة التنوع في فنون الخدمة؛ لأنه إذا صلى قائماً فقد عَبَدَ ربّه بالقيام والركوع والسجود والقعود، وإذا صلى قاعداً فات نوع من الأربعة.

- السادس: أن من صلى قائماً أخذ نصيباً من ترويح القلب، بسبب تنقله من حال إلى حال، أكثر نصيباً من القاعد، وترويح القلب يعين على جودة الذكر.

- السابع: أن من صلى قائماً فقد أطاع الله تعالى بقوله: ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾[1]، وطاعة الأمر موجبة الأجر، ولو لم تكن حكمته مفهومة فكيف؟ وقد ظهرت الحكمة في القيام في الصلاة من وجوه كثيرة.

[واعلم أن ورود هذا في صلاة النافلة]

وأما الفريضة: فلا تصح صلاتها قاعداً مع القدرة على القيام ومن صلى قاعداً في الفريضة مع قدرته على القيام فهو عاصٍ، واختلف العلماء في كفره، وأما النافلة فجائز فيها الجلوس مع القدرة على القيام، لكن القيام أفضل، لما تقدم من الوجوه، وأجره نصف أجر القائم، وإن كان عاجزاً عن القيام لم ينقص أجره لأنه عاجز عن القيام.

وأنشد بعضهم في الحض على عبادة الله تعالى تطوّعاً:

* * *

اعبُدُوا الله رُكّعاً وسُجوداً وقياماً طوراً وطوراً قعودَا

واذكروهُ في كلّ حالٍ فزادُ من ذكر اسمه يلاقي السعودَا

إن في اسم الحبيب في القلب طمعاً من يَذُقْهُ يَوَدُّ منه المزيدَا

لا يزالُ الحبيبُ غَيْباً فإن أنت ذكرته اسمه يرى مشهودَا

فترنم باسم الحبيب لأسما ع محبيه واتخذهم عبيدَا

* * *

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٨.

الذكر المقبول

لـو جرى ذكـر العزيـز الحكيم كما ينبغي لـه من الإجلال والتعـظيم لسعى بـذكره كـل سقيم، ولكن عزّ على أكثـر الخلائق تـوفية الإجـلال عنـد ذكـر اسم الخالق.

فلذلك ترى أكثـر المتعبديـن، لـذكر الله مـديمين، ولا تراهم إلى المـذكور واصلين، ولا على وصاله بحـاصلين؛ لأنهم يذكـرون بألسنتهم من ليس بقلوبهم عارفين.

نُديم الذكر، والذكر عظيم الشأن والقدر، وما بنصر للذكر على الذاكـر من أثر. وما الآفة إلا جهل من يذكر بالأمر، إذا لم يعرف المذكور، ما يصنع بالذكر.

كل مطلوب لا يعظمه الطالب لا يبلغ منه شرف المراتب. عبـادة الله حرفـة لا يحـذّق فيها إلا المتبتلون إليهـا، ومعرفـة الله غايـة لا يبلغها إلا المقبلون بكـل وجوههم عليها؛ وكيف لا تكون سلعة غالية، وجنة الله عالية، وإليه في كل شرف المنتهى الذي ليس وراءه مرمى.

* * *

ابذل الروح إن أردت الوصال	فوصال الحبيب أغلى وأغلى
ليس من يُلتقى إذا زار بالطرد كمن	يلتقي إذا زار بأهلا وسهلا
من شفيعي إلى الحبيب كلـ	ـما رمت وصله قـال كلا
لو رآني أهلاً لجاد ولكن	ما رآني لما رمت أهلا

* * *

إذا نفـع الـوعظ ـ وأسفـاه ـ كـلام من لا إلـه سـواه: **﴿ قـل لمن مـا في السموات والأرض قل لله كتب على نفسـه الرحمـة ليجمعنكم إلى يوم القيـامة لا**

ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾[1].

إذا أعضلتكم الحاجة ولم تجدوا معطياً بهبة ولا قرض، فاسألوا من له ما في السموات والأرض؛ الذي كتب على نفسه الرحمة فهي لعباده على نفسه فرض ﴿ **وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم** ﴾[2].

كان رسول الله ﷺ من الحطام الفاني فارغ اليد، ومن كنوز المعرفة مملوء القلب؛ فلما نظر الجاهلون بالله إلى تجرد ظاهره ظنوا أنه بحاجة إلى دنياهم. فقال لهم كفار ملة: قد علمنا إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه؛ فنزلت هذه الآية: ﴿ **وله ما سكن في الليل والنهار** ﴾[2] أي إذا كان الذي له ما يحتوي عليه الزمان، فكيف تكون محتاجاً إلى عطية إنسان؟

* * *

عِلمُكَ يا سيِّدي بحالي أَغْنَى لساني عن المقال
جَبَرْتَ كَسْرى كَشَفْتَ ضَرِّي أَغْنَيْتَ فقري سترت حالي
لا تجعلْني عبداً لمولاً سِوَاكَ يا سيّد الموالي

* * *

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢.
(٢) سورة الأنعام الآية: ١٣.

من كلام المصطفى (ﷺ)

في فضل الدعاء وبعض الأدعية

قد استنزلنا الرحمة بتلاوة شيء من محكم التنزيل، فلنستدع البركة بذكر أحاديث من كلام الرسول: قال ﷺ: « أقرب مايكون العبد من الرب في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»(1) [مخرّج في الصحيح].

وقال ﷺ: « من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرب فليكثر الدعاء في الرخاء »(2).

---

(1) أخرجه الترمذي في الدعوات وقال: حسن صحيح غريب من حديث عمرو بن عبسة وغزاه الحافظ المنذري إلى أبي داود والحاكم وقال قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم [الترغيب ٢/٢٧٦] وقال الألباني في [صحيح الجامع: رقم ١١٨٤]: صحيح وعزاه إلى النسائي أيضاً. قلت: بحثت عنه في المستدرك في كتاب الدعاء فلم أجده فليراجع هناك.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك بسند فيه أبو صالح وقال: حديث صحيح الاسناد اصبح النجاري بأبي صالح ووافقه الذهبي [١/٥٤٤]. قال الألباني: وفيه نظر فإن ابن صالح فيه ضعف من قبل حفظه.

يقول محمد: في السند اثنان كل منهما هو ابن صالح وهما: عبدالله بن صالح كاتب الليث ويكنى أبا صالح ومعاوية بن صالح شيخه والأخير منهما قال فيه ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام [٢/٢٥٩] وأما الأول وهو أبو صالح كاتب الليث فأرجح أن الحاكم كان يقصده بكلامه فهو ذكره بكنيته بينما قال الالباني « ابن صالح » وقد استشهد به البخاري وأخرج له تعليقاً وقال الحافظ في التقريب [١/٤٢٣] صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة. فلعله المراد أيضاً بكلام =

وقال لمعاذ بن جبل: « يا معاذ لا تدعنّ أن تقول في دبر كـل صلاة: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1].

وقـال: من قال حين يـأوي إلى فراشـه: « أستغفر الله الـذي لا إله إلا هـو الحي القيّـوم، وأتوب إليـه ـ ثلاث مـرات ـ غفرت ذنـوبه، وإن كـانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا »[٤].

وقال: « ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب »[٣].

= الألباني السابق. وقد نقل ابن حجر في التهذيب [٥/٢٥٦] عن أبي حـاتم أنه قـال: سمعت أبا الأسود النضر بن عبد الجبار وسعيد بن عفير يثنيان على كاتب الليث وعنه أيضاً قـال: سمعت عبد الملك بن شعيب بن الليث يقول أبو صالح ثقة مأمون قد سمع من جرى حـديثه وكـان أبي يحضره على التحـديث وكان يحـدث بحضـرة أبي. وقـال الـذهبي في الكـاشف [٢/٩٦] كـان صـاحب حـديث فيه لين. قـال أبو زرعـة: حسن الحـديث لم يكن ممن يكـذب وقـال ابن عـدي: مستقيم الحديث له أغاليط وكذبه جزرة. والحديث بهذا لا يمكن الحزم بصحته فهو يكاد يكـون حسناً والله أعلم.

قلت: وللحـديث طريق آخـر أخرجـه الترمـذي في الدعـوات باب دعـوة المسلم مستجابـه وقال: غـريب. قلت وفيه عبيـد بن واقد قـال ابن عدي في الكـامل (٥/١٩٩٠) بعـد ان سـاق الحـديث بسنده: وعبيد بن واقد عامة مـا يرويه لا يتابع عليه. وقـال الألبان: [الصحيحـة: ٥٩٣]: أشار الترمذي إلى تضعيفه بقوله غريب.

(١) أخرجه أبو داود عن معاذ في كتاب الصلاة باب الاستغفار (٢/٨٤ رقم ١٥٢٢) والنسـائي في كتاب الصلاة باب الدعاء بعد الذكـر (٣/٥٢) وأحمد (٥/ ٢٤٥، ٢٤٧)، والحـاكم في المستدرك (١/ ٢٧٣) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجـاه ووافقه الـذهبي وأخرجـه نور الـدين الهيثمي في زوائـد ابن حبان (ص ٥٨٣) وابن القيم في زاد المعـاد (١/ ٣٠٥) قال شعيب أرناؤوط أسناده صحيح وصححه ابن حبان. قلت قال الألباني: صحيح (صحيح الجامع (رقم ٨٧٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أدى إلى فراشه وقـال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوصافي عبيـدالله بن الوليـد. وأخرج الحـاكم في المستدرك [١/٥١١] عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: « من قـال استغفر الله بعـظيم الذي لا إلـه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفرت له ذنوبه وإن كان نار آمن الزحف هذا حـديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورافقه الذهبي.

(٣) أخـرجه التـرمذي في كتـاب البر والصلة مـا جـاء في دعـوة الأخ لأخيـه بـظهـر الغيب. وفيـه عبـد الـرحمن بن زياد بن أنعم الأفـريقي. قـال التـرمـذي: يضعف في الحـديث. وقـال ابن حجـر في =

وقال: « اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »[1].

وقال: « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعْوة قلب غافل لاهٍ »[2].

= التقريب [١/ ٤٨٠] ضعيف في حفظه. وقال في تهذيب التهذيب [٦/ ١٧٣] : قال أحمد: منكر الحديث. وكان يحيى ولا عبد الرحمن لا يكتبان حديثه وضعفه ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة وان كانوا يفضلونه عن غيره من الضعفاء من أمثال ابن طيعة. ونقل عبارة الترمذي السابقة وذكر توثيق بعض العلماء له فليراجع.

وأخرجه أيضاً أبو داود وسكت عنه: وفيه عبد الرحمن هذا.

(١) هذا جزء من حديث بعث معاذ إلى اليمن وهو حديث طويل أخرجه البخاري ٢٤ كتاب الزكاة ٦٣ باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا. وأخرج هذا الجزء في ٤٦ المظالم ٩ باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم وأخرجه كاملاً في ٦٤ المغازي ٦ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع.

وأخرج معناه في حديث هُنى ٦ كتاب الجهاد ١٨٠ باب إذا اسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم. وكذا أخرج مالك في الموطأ حديث هنى هذا وكذا أحمد في المسند.

وأخرجه بلفظه مسلم في الإيمان ٧ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الاسلام فالحديث متفق عليه وذكره محمد فؤاد عبد الباقي في اللؤلؤ والمرجان هذا الجزء فقط.

كما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة وأحمد.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الدعوات (٥/٥١٨) وقال هذا حديث غريب لا نعرف من لها من هذا الوجه.

والحاكم [١/ ٤٩٣] وقال: مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد أهل البصرة ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: صالح المري متروك. وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٢٧٧): صالح المري لا شك في زهده لكن تحركه أبو داود والنسائي. وقال الذهبي في المغني (١/ ٣٠٢) تركه أبو داود والنسائي وضعفه غيرهما. وقال ابن حجر في التقريب: [١/ ٣٥٩] ضعيف وحكى في التهذيب [٤/ ٣٨٢]: عن كثيرين تضعيفهم له منهم ابن معين وعلي بن المديني وعمرو بن علي وأبو داود والنسائي وابن عدي والدارقطني وابن علية.

قلت: عزاه الألباني في الصحيحة [رقم ٥٩٤] ابن عساكر وإلى أبي بكر الكلاباذي في مفتاح معاني الآثار وهو كتاب جاء مع الاحاديث ذات موضوعات مختلفة ويشرحها يقوم بتحقيقه الاستاذ/ نصر بن عبد السلام وسوف يطبع قريباً لدى دار الكتب السلفية. وقال الألباني أيضاً: لكن له شاهد بسند ضعيف رواه أحمد (٢/ ١٧٧) عن ابن عمر وفيه عبدالله ابن طيعة. وهو ضعيف. قلت =

وقال: « ما من عبد يرفع يديه، حتى يبدو بياض إبطيه، يسأل الله مسألة، إلا أتاه إياها، ما لم يعجل». قيل: يا رسول الله، كيف تكون عجلته؟ قال: « يقول قد سألت ربي، وسألت، فلم أُعط شيئاً »[1].

وقال رسول الله ﷺ: « من لم يسأل الله، غضب الله عليه »[2].

وقال: « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله الملح لأهله، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع »[3] .

وقال: « الدعاء مخ العبادة »[4] أو قال: « هو العبادة » ثم قرأ قوله تعالى:

= الحديث يرتقي إلى مرتبة الحسن بمجموع طرقه ولذا أورده الألباني في الصحيحة وقال في صحيح الجامع: حسن (٢٤٣).

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات عن أبي هريرة وأخرج أيضاً حديثاً في معناه عن عبادة بن الصامت ولفظه ما من على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله اياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم مالم يعجل يقول: قدعوت ودعوت فلم يستجب لي.. وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه حديثاً عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل» قيل: وكيف يعجل؟ يا رسول الله! قال: « يقول: قد دعوت الله فلم يستجب الله لي» وأخرجه أحمد ومالك في الموطأ ايضاً.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب الدعاء والذكر عن أبي هريرة وفيه أبو صالح الخوزي وأبو المليح الفارسي قال الحاكم: حديث صحيح الاسناد فإن أبا صالح الخرزي وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بالجرح إنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث.

وأخرجه الترمذي في الدعوات ما جاء في فضل الدعاء عن أبي هريرة أيضاً وكذا أخرجه ابن ماجة في كتاب الدعاء باب فضل الدعاء بلفظ من لم يدع الله سبحانه غضب عليه.

وأخرج أحمد في المسند: ٢/٤٧٧.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات عن ثابت البناني مرسلاً (جمع الجوامع ١/٦٧٦)

وأخرجه أيضاً بلفظ ليس فيه ليسأله الملح لأهله عن أنس وهذا اللفظ أخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان وابن حبان في صحيحه وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٣٥٦ ـ ٣٥٨ (جمع الجوامع ١/٧٦٧).

(٤) أخرجه الترمذي عن أنس في الدعوات باب فضل الدعاء (ح ٣٣٧١) وقال هذا حديث غريب لان هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن طيعة.

﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾[1].

الدعاء باب من الأبواب المدخلة على العزيز الوهاب، وطريق من الطرق الموصلة إلى ذلك الجناب، ووسيلة من أنجح الوسائل، ورسالة من العبد إلى حضرة الرب، من أبلغ الرسائل؛ فإن كان مدادها الدمع السائل، فهو الدعاء الواصل.

* * *

لا أسمعُ الدَّهر عذْلُ عازِلٍ	في حبِّ من ماله مماثل
يشهد لي أنني مُحبٌّ دمعٍ	على الوجنتين سائل
والوجدُ بين الضّلوع نازكٌ	والنوم عن مقلتي راحل
راسلْهُم بالدّموعِ دهراً فما	أرى أغنت الرسائل
وكنت أعتاضُ بالطَّيف في منامي	إذ كان ذاك غير باخل
قَدْ حَنَا النوم جَفْن عيني	صَار لي الطَّيفُ غير واصل
عساكُم ترحَمُونَ صبًّا	ما فاز من قُربكم بطائل
ليس له حاصلٌ سوى	أن العُمْر وَلَّى بغير حاصل

* * *

---

(١) سورة غافر الآية ٦٠ والحديث:

أخرجه الترمذي وابن ماجه من طريق الأعمش عن ذر بن عبدالله الهمداني عن يسيع الكندي عن النعمان بن بشير في الدعوات عند الترمذي والدعاء عند ابن ماجه.

وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث ذر وهو ثقة.

وأيضاً أخرجه أحمد من هذا الطريق (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦).

وأخرجه أبو داود وأيضاً من هذا الطريق كتاب الصلاة باب الدعاء.

حكم ومأثورات

- حسرة الفوت أشد من سكرة الموت.

- أوجع الألم حرقة الندم.

- أشد العذاب فرقة الأحباب.

- ما طرق أسماع السامعين أقطع من: ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾[1].

- لا أستر للعورات من لباس التقوى، ولا أغنى للفاقات من القناعة والرضا.

- مجالسة العقلاء تزيد في العقل، ومجالسة الجاهلين تزيد في الجهل، ومخالطة المساكين تذهب الكبْر.

- الترياق المجرب لزوم الاستغفار، ووصل الحبيب اسم الترياق، وقربه الأسير البعيد إطلاق.

* * *

فديـنٌ لا أدينُ به وكيف ... يسلُوا عن الأَحْباب عشاق

وكيف يُحمدُ بي سلُو جمالكم ... وبيَنَنا في الهوى عهدٌ وميثاق

قلبي القريحُ عليكم حشوُه حرقٌ ... ولوعةٌ وصباباتُ وأسواق

لا غَرْوَ أن كان قلبي شيّقاً قلقاً ... قلب المحب إلى الأحباب توّاق

إن أبعدُوني فأهلٌ للبعاد أنا وإن ... هُمُوا أقربوني فإنّ القلب مشتاق

* * *

الواجب على كل عبد أبعده المولى عن جنابه أن يعترف بذنبه لربه، ويعتقد أن البعد أولى به.

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١٠٨.

من كـان مؤمنـاً بـأن الله هـو العليم الحكيم، علم أنمـا أخّـره الله فحقّـه التأخير، وما قدّمه فحقّه التقديم؛ فالحمد لله على كل حال، ونعوذ بـالله من سوء المآل، ونسأله الاستقامة في جميع الأحـوال، وأن يبلغنا بفضله أشـرف المنازل، إنه جواد مفضال.

* * *

المجلس السابع عشر

كَلَامُ السَّلَفْ

في ذكر نبذة من كلام السلف الأعلام، ففي كلامهم جلاء الهموم وشفاء الأسقام:

- من أراد أن يسلم له دينه ويستريح قلبه وبدنه فليعتزل الناس، ومن لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز.

- من قلة الصدق كثرة الخطأ، ومن علامة الاستدراج الحمى عن عيوب النفس، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

- قلوب المغترين معلقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم.

- من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه.

- من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه.

- ثلاث من كن فيه استكمل الايمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق.. وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل.. وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

- وكان بعضهم يقول: اللهم ما عذّبتني به من شيء فلا تعذبني بذل الحجاب.

ـ احذر أن تكون ثناء منشوراً، وعيباً مستوراً.

ـ أمس أجل، واليوم عمل، وغداً أمل.

ـ حرامٌ على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع، وحرام على عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذوه المتقون إماماً.

ـ إليك أشكو بدناً غُذِّي بنعمك، ثم توثّب على معاصيك.

ـ المؤمن إذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

ـ أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يهنأ بعيشه.

ـ معاشر الفقراء.. إنما عُرفتم بالله، وإنما مكرمون لله، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه.

ـ علامة إعراض الله عن العبد، أن يشغله بما لا يعنيه.

ـ الطريق إلى الله مسدود على الخلق، إلا على المتقين.

ـ أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه.

ـ إذا نزل بك أمر من الله فاستعمل الرضا، فإن لم تجد إلى الرضا سبيل فاستعمل الصبر، فإن لم تجد فعليك بالتحمل.

ـ من علم أن الله هو الضار النافع، أسقط مخاوف المخلوقين.

ـ اتقو الناجد من العلماء، والجاهل من العبّاد، فإنهما فتنة لكل مفتون.

ـ يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه.

ـ إذا بكت عين الخائفين فقد بايعوا الله بدموعهم.

ـ إنما حملا كلام السلف في مذاق الأسماع، وعظمت فيه البركة وحَسُن به

الانتفاع، لأنهم كانوا به عاملين، وفي نشره مخلصين.

اللهم. , فعمّنا ببركة أعمالهم الصالحة، وانفعنا بمقاصدهم الصادقة، فهم القوم لا يضل من اهتدى بهداهم، ولا يضيع من تمسك بعراهم.

* * *

كيف ضَلَالي عن سواء السّبيل   وأنت لي في طريق سلاِى دليل
يا فرحةَ القلب ويا منية الصَّ   ب ويا بَرْد غليل الغليل
وصفك لا تبلغهُ مِدحتي   ففهمي بليدٌ ولساني كليل
كيف لي بصبْرٍ جَميل وقد   حَجَبْتَ عن مرآى المحيا الجميل
مَالي إذا غُيّبت عن ناظري   غير مخيِّبي والبكاء والعويل
جُدْلي ولو بالطيف إن كان لي   إلى غُموض الجفن يوماً سبيل
وابذلْ ولو وعداً ولو نظرة   فما قليلٌ منك لي بالقليل

* * *

رب العزة أعظم في صدور العارفين من أن يناجوه في مخاطبتهم بأشعار المتغزّلين، ولكن ما خلا قلب من حرقة، ولا سلم مواصل من فرقة، وكل مسلم له نصيب من محبة مولاه على قدر معرفته بما أولاه. فإذا ترنم المنشد بما يناسب أغراض المحبين، تحركت القلوب على قدر ما فيها من الشوق إلى لقاء حبيب العارفين، وتحرقت النفوس حزناً على التخلف عن مرافقة الصالحين.

* * *

إلى متى أنت في تواني   تجري إلى اللهو في عنان
الموتُ حقٌ لا ريب فيه   مالك في رَفْعِه يدان
والبعثُ من بعده تراه في   غاية البُعد وهو داني

يوم يقومُ العبادُ كل عليه في الحشر شاهدان
إلى حسابٍ قد سطّر ته الأقلام يمليه حافظان
ثم يضمُّ العبادُ بعد الحسـ اب في الحشر منزلان
منزلُ خوف لا أمن فيه ومنزلُ الأمن والأمان

* * *

الإيمان بيوم القيامة لصدقه على أهله علامة التسارع إلى اكتساب الحسنات، والتورع عن ارتكاب السيئات، وانسكاب العبرات ندماً على ما فات.

* * *

أيها المدّعي المحبة مهلاً أين آثار صدق ما تدّعيه
أين سفحُ الدُّموع فوق خُدودٍ حذراً أن يفوت ما ترتجيه
أين وقد الأحشاء[1] شوقاً إلى ما كنت من لذة التواصل فيه
أين بَذْلُ المجهود في طاعة المحبُو بِ من فعل كلما يرتضيه
تدّعي حُبَّهُ ومَالَكَ من دعْوَ اكَ غير المحال والتمويه
تدَّعي الحُبَّ عارياً عن شهود حظِّه منه ما يقول بِغيِه

* * *

طالبوا أنفسكم بالصدق في دعواها محبة الله، واصمدوا بكل وجوهكم فيما يوجهكم إلى الله.

كل النعيم في التلذذ بمناجاة الله، كل الراحة في التعب بخدمة الله، كل الغنى في تصحيح الافتقار إلى الله.

---

(١) وقد الأحشاء: ألتهابها حرقةً.

كل مطالب الدنيا والآخرة في خزائن غيب الله، ومفاتيحها بأيدي رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

* * *

وحقُّ هواهُ ليس لي عنهُ مذهبٌ ولا لي فيما دُون لُقْياه مطلبُ
يقول اجتَنِبْ بابي ولا تَغْشَ مَرْتَعي وهل حَشْدٌ عن روحه يتجنبُ
إذا لم تكن لي عند غيرك حاجةً فكيف إلى أبواب غيرك أذهبُ
وإذا لم أجدْ معطٍ سواكَ بمطلبي فكيفَ سِوَى معروفِ جُودك أطلبُ
عذُولي فيه ما أرى ما رأيته فيكثُر من لومي عليه ويطنبُ
سلكتُ سبيلاً ما أهتدى لسلوكه فأعجبُ منه وهو مني يعجبُ
وكيف سلوى عن جمال محجب أياديه عن كل الورى ليس يحجبُ
إذَا دارت الكَاسَاتُ من خَمر حُبّه على كل أهل العقل فالكل شربوا
وان زمزَمَ الحادُون للركب باسمه فكلهم حتى الركائب تطربُ
يطيبُ ويحلُو للمحبّين ذكرهُ فلا طيبَ إلا وذكرُهُ أطيبُ
فإن قلتُ شهداً فهو أحلاً مذاقه وان قلتُ ماء فهو أصفى وأعذبُ
سألتك يا حادِيَ الرّكائب حاجةً إذا ما بدت يوماً لعينك يثربُ
فبلِّغْ سلامي من حَوتْهُ قِبابُها وشِرْعَتهُ في الكون تُملى وتكتبُ
نبيُّ الهدى شمسُ الضحى قمرُ الـ ـهدى لمنصبه فوق السِّماكين منصبُ
محمدُ المختارُ والماجدُ الذي إلى فخره كل المناسب تنسبُ
بنهجه كلُّ الأئمة تهتدي بموْرده كلُّ الموارد تُعذبُ
هو الصّادقُ الدّاعي إلى الله وحده فمن لم يُجِبْهُ فهو في الحشر يُندبُ
فصلُّوا عليه دائماً فصلاتُكم جزاؤُكم فيها على الله واجبُ
وأكثرُكم يا أَهْلَ ملّةِ أحمدٍ عليـ ـه صلاةٌ منه في الحشرِ أقربُ

* * *

اللهم صلي على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، وصلى عليه كلما تعاقبت الليالي والأيام، وصلي عليه ما دامت الشهور والأعوام، وعلى صحبه السادة الكرام، وسلم تسليماً كثيراً لا انقضاء له ولا انفصام.

* * *

موعظة في تعليم القرآن

الحمد لله الذي جعل القرآن لقلوب أهل الإيمان ربيعاً، فكل من لا يغذى القرآن في الدنيا كان غذاؤه في الآخرة ضريعاً.

لا يزال الإنسان صريعاً تحت الشيطان حتى يذكر الله ويتلو القرآن، فحينئذ يستوي الإنسان قائماً ويخرّ الشيطان صريعاً.

فمن شاء أن يكون العدو عن لحاقه بطيئاً، فليكن إلى الذكر والتلاوة سريعاً.

استظهر بشرب ترياق القرآن على سُم أفعى الشيطان قبل أن تموت لسقياه؛ ما زال أبو البشر آدم ﷺ من سكنى الجنات في حصن حصين، حتى دخلت عليه الجنة وقد اختبأ في فمها الشيطان اللعين، فخرج على آدم من شدقها ذلك الكمين، فضربه ضربة بقي من حرّها ألف سنة في البكاء والأنين، ثم لم يكن خلاصه وخلاص عشر العشر من ذريته إلا بكتاب الله الذي جاءت به المرسلون ﴿ **وقلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى ممن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[1].

متابعة الكتاب مُنْقِذَةٌ من العذاب، وتعظيم الحرمات مخرج من الظلمات، ورعاية الأدب رفعة في الرتب.

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٨.

لولا العلم لكان الإنسان بهيمة، ولولا اللطف لكانت البلية عظيمة.

فاسألوا الله لطفه في جميع الأحوال، وليكن تعظيم القرآن منكم على بال؛ فبوجود اللطف وعدمه سعد من سعد، وشقي من شقي، وبالتقصير لقي المقصر ما لقي.

* * *

لا تسألُوا عبدَكم ماذا لَقَى	من البُكَاء والأَسَاءة والحرق
ليس عجيباً ما لقى بعد النّؤى	من الأنِين والبُكاءِ والأرق
بل العجيبُ أن من فَارَقكُم كيف	حَيى من بعدكم كيف بقي
إذا توجّهتُ إلى غيرك تعثَّرَتْ	بي قدمي في طرقي
إن السَّعيدَ من رَجَا فَضْلَكُم	ومن رَجَا غيركم فهو الشّقي
قد كان شَمْلي كـلـه مجتمعاً	قد بعدتم آهٍ واغرقي
يا ليتني مِتُّ ولم أبق إلى	أن ذُقْتُ طعْمَ الْهَجْرِ والتفرُّق
يا لائمي لو ذُقْتَ ما ذُقْتُ	من الحنين والأنين والتشوُّق
ولو رأت عينَاكَ ما رأيتُه	من الجلال والجمال المُونِق
عذَرْتَني في قلقي ولُمْتني	على بقايا ما بقي من رَمَقي

* * *

العجب ممن يسمح بصفة الجنة وهو مخلد إلى الدنيا، وأعجب فيه من صدّق نعيم الحضرة ثم يعمل لجنة المأوى، والعجب ممن يسمع نوازل البلوى وهو مخدر في دنياه منها، وأعجب فيه من خوّفه الله بغضبه عليه، واحتجابه عنه، ثم هو يخاف الجحيم واللظى.

كل عزيز وإن عز وجل، فالله أعز منه وأجل؛ وكل فائت وإن عظم وكثر، فهو بالنسبة إلى ما يفوت من الله أصغر وأقل.

* * *

حتى متى ذا الْقَلْبُ ساهِي　　عن كلِّ ما مُغْنيه لاهي
والنفسُ مُعْرِضَةٌ عن القر　　آن سامعةُ الملاهي
إن الملاهي سوف ترْ　　مي سامعها بالدَّواهي
كم ذا تَنَافَسَ في الحط　　ام وجمعه كم ذا ساهي
ما عُذْرُ من شَابَ العَذَارُ منـ　　ـه وقُبْح سيرته كما هي
إن قيل دَعْ عنك التّكبر　　قال أَخْنَى هدم جاهي
قد خالف القرآن في　　كل الأَوَامِرِ والنّواهي
من كان لا ينهاهُ عن　　فِعْلِ القَبائحِ ذَجَرْناهي
العمرُ منهُ قد وَهِي　　والدِّين أيضاً منه واهي
فاصبرْ لهُ فالأُمُّ هاويةٌ　　وما أدراك ما هي

* * *

يا من سلب الملك الكبير ولم تشعر بسلبه، يـا من أمره ربـه بالتـوبة وهـو مصر على ذنبه، قد خلت صحيفته من الحسنات لما خلا صدره من تعـظيم ربه، وتخلت الملائكة عن نصرته فقد استحوذ الشيطان على قلبه.

يا غافلاً عن ذكر ربه، يا مغفـلاً لصلاح قلبـه، يا من سبـاه عدوه يـوماً ولم يسعد بسلبه، هذا جزاء مقصر جهله في حق ربه.

من رام خصالاً لا تحل فجائع الأعـداء بجنبه، فليعتصم بـالله وليعمل على السكن بقربه.

العارف بركن الله في حصن حصين، والـلائذ بجنـاب الله في حرمٍ أمين، والعامل بكتاب الله متمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين، والمقـاتل تحت لـواء رسول الله مؤيداً بالنصر العزيز، مضمون له الفتح المبين.

حصّن بحصن التقـوى نفسـك من أسبـاب الـردى، حصن التقـوى غيـر

حصين[1]، وامتسك بحبل القرآن في الشدائد كلها فكل حبل سوى هذا الحبل فهو غير متين. لله أهلون وهم جملة أهله، وكل من لا يكرم أهل القرآن فهو مهين.

* * *

احذر تُهين فقيراً	لِأَجْلِ رِثَّةِ هيئَةٍ	أكثر مُلُوكِ الجنَّة	في هيَّئة المسكين
متى أردتَ أن يعلُوَ	قدرَك وتعلُو في الرُّتب	في حضر الله معظّم	أهل التُّقَا والدّين
ولا يغُرَّكَ ذُلُّ الـ	ـفقير في دار الفناء	دار البقى هي دارُهُ	في العزِّ والتمكين
ترى الفقير في الدّنيا	كأنه طيرٌ حَذِرٌ	وفي القيامة وافي	قريرَ عين أمين
خذ لك أيادِيَ معهم	غداً ترى الدّولةَ لَهُمْ	مُقبلٌ أحدهم وجاهُهُ	عند الملك متين
لا فخر كالفقر هذا	الرسُولُ بالفقراء	مُفْخَرُ وهو الذي	دفينٌ في الطين
ومع جلالة قَدْرِه	دَعَا بأن يَحْيَا هُنَا	مِسْكينٌ ويُقبر ويحشر	مع المسكين[1]

* * *

اللهم . . ارزقنا ما رزقت أولياءك وفقراءك ومساكِنك من الاستغناء بك، والافتقار إليك. وأكرمنا بما تكرمنا به من كرامة أوليائك يوم القدوم عليك، يا كريم.

* * *

(١) لعل صواب هذه العبارة: وكل حصن غير التقوى غير حصين.

المجلس الثامن عشر

تفسير آية

الحمد لله . . وأنجح ما توسل به إليه المتوسلون إدامة حمده، وأقرب ما تقرب به إليه المتقربون أداء فرضه.

من أدى فرائض الله فهو عبد الله حق عبده، ولا يزال عبده يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه أدخله في حزبه، وأيده بجنده.

فسبحان من كل الخير في يده، وذا الفضل من عنده، إذا رفد فلا تسأل عن حسن حال عمره من رفده، وإذا طرد فيا كسرة القلوب من ذل طرده، وإذا حد حدًّا لم يسع أهل سمائه وأرضه تجاوز حده.

* * *

أُتُرَى أَفُوزُ نَبيْلِ رِفْدِهِ ... أتُرَى أَحُوزُ كريم وعده

أُتُرَى بمن بقُرْبه ... من بعد بَلْوَاهُ يُبْعده

يا بَهْجَتي بِوُصَالِهِ ... يا وَدْعتا من ذكر صده

أنا عبدُهُ ومحبُّهُ ... ما شاء فليصنع بعبده

* * *

قد دلت الأدلة القاطعة على أن صرخة البين لأكباد المحبين قاطعة، وإنما

يحس بوجعة فراق المحبون أولوا الألباب وأرباب القلوب.

فأما مَنْ نور الهدى عن بصيرته محجوب، فكيف يعرف إعراض الرب عن المربوب، فسبحان من كل أحد من خلقه إلى عطفه فقير، وشكره واجب على القليل والكثير، والجليل والحقير.

كل جليل وحقير في قبضته أسير **﴿ له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴾**[1].

* * *

يا واحداً ما لَهُ نظير	يا قاضياً ما له مشير
بذكره تُشْرَحُ الصدور	بأمره تُصْلَحُ الأُمُور
أَحَاطَ علماً فلا صغيرَ	يَعْزُبُ عن علمه ولا كبير
ما أحدٌ دُونَهُ غَنِيٌّ	فكلٌّ من دُونِهِ فقير
ما أحدٌ دونهُ كبيرٌ	فكلٌّ من دُونِهِ صغير
إن نحن نِلْنَا رِضَاهُ يوماً	فكلٌّ ما فاتنا حقير

* * *

أحمده وأشكره، وأحق عباده بمزيد فضله، الحامد الشكور، أرضى بقضائه، وأصبر على بلائه، وما ذاق طعم العيش إلا الراضي الصبور.

وأشهد أن لا إله إلا الله العلي الكبير؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى أهل السهول والوعور، والشفيع المشفع يوم يتأخر عن الشفاعة كل مقدام جسور، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وكل من في حضرته حضور، خصوصاً على

---

(١) سورة الحديد الآية ٢.

الشيخين الإمامين المفضلين، والصهرين المخصصين، والعمّين المبجلين، والسبطين الريحانيَن الحسن والحسين، صلاة يتصل تكرارها بالرواح والبكور.

اللهم.. إذا قسمت في عبادك الصالحين ما تقسمه من خير الدنيا والآخرة، فاجعل لنا منه الحظ الأكبر والنصيب الموفور، وبارك لنا فيما تحيينا له مدى الليالي والأيام والشهور والأعوام، إنما فائدة أقطرت البركات لمدركيها أن تغتنموا بركتها بطاعة الله فيها، وكل من لا يعظم حرماتنا ولا يراعها فقد حرم بركة مساعيه، يوم تعود على الفرقة الناجية بركات مساعيها.

* * *

نستفتح بركة هذا المجلس الكريم، بتفسير آية من الذكر الحكيم: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. قال الله عز وجل في كتاب المبين: ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾[1].

ما من مجعول إلا والله له جاعل، لأنه هو الخالق لكل صنعة وصانع، وعمل وعامل! فلهذا قال: ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل** ﴾ أي هو الذي أضاء الشمس فجعلها ضياءً بالنهار، وهو الذي أنار القمر فجعله نوراً بالليل، فسوّاه ذا منازل لا تجاوزها ولا يقصر عنها. و﴿ **المنازل** ﴾ هي الثمانية والعشرون منزلاً، المنقسمة عن اثني عشر برجاً، قدر الله سبحانه مسير الشمس والقمر في تلك البروج والمنازل، لينتظم بمسير الشمس فيها أمر الفصول اربعة؛ ولولا تنقل الشمس فيها لم يكن للأرض صيف ولا شتاء، ولا ربيع ولا خريف؛ ولولا اختلاف الهواء بتعاقب هذه الفصول لفسد نظام الحيوان

---

(١) سورة يونس الآية ٥.

والنبات والمعادن؛ ولولا تنقل القمر فيها لفسد نظام الشهور القمرية، ومطالع الأهلة، والبذور، والأقمار المسخرة في الليالي الطوال الشتوية، القصار الصيفية، وكم في خلال تدابير ذي الجلال من حكمٍ جلية، وألطافٍ خفيّة.

* * *

الـرب أسـرارهُ خـفـيـة	تعجـز عن فهمهـا البـرية
في كـل شيء ممـا تـراه	من صنعـه من حكمة جليـة
ودون مـا قـد بـدا أمـور	تخفى عن الفطنة الذكيـة
إذا عجـزنـا عن فهم أدنى	حكمـة أجسادنـا الدنيـة
فكيف نـرجو عـرفـان شيء	من أمـر أوصافـه العليـة

* * *

ـ قـوله تعـالى: ﴿ **لتعلموا عـدد السنين والحسـاب** ﴾ قـال ابن عبـاس رضي الله عنهمـا ـ يقول الله تعـالى: لو جعلت شمسين، شمسـاً بالنهـار وشمساً بـالليل، ليس فيها ظلمة ولا ليل، لم تعلموا عدد السنين والحساب.

قال الكلبي: يعني حساب السنين والشهور والأيام والساعات.

ـ ثم قـال تعالى: ﴿ **مـا خلق الله ذلك إلا بـالحق** ﴾ أي لم يخلق الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالعدل؛ لأنه سبحانه هو الحق، وكل ما جاء من عنده فهـو الحق، وكلما صنعه وخلقه ودبره فهـو حق. وقيل معنـاه: ما خلق الله ذلـك إلا للحق. أي لإظهار قدرته الخافية عليكم، بإظهـار صنعته البـادية لكم، وإقـامة الـدلائل على وحدانيته عندكم، ليقطع في إشراككم به عذركم.

* * *

كلما قد بدا وما هو خافي	في ثبوت التوحيد شافٍ وكافي

أي عذر لشرك وجميع الكون للشرك بالدليل نافي

* * *

ثم قال تعالى: ﴿ **كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ أي نبين الأدلة للمستدلين على الصانع بصنعته.

فإن قيل: ما الحكمة في تخصيص القمر بالذكر دون الشمس في قوله تعالى: ﴿ **قدره منازل** ﴾؟ فالجواب: أن القمر يقطع المنازل في كل شهر، والشمس لا تقطعها إلا في كل سنة، فلما كان القمر أسرع منها في طي المراحل، كان أولى منها بتخصيص الذكر في تقدير المنازل.

* * *

تبتغي الوصُولَ بِسَيْرٍ فيه تقصيرُ — لا شكَّ أنَّكَ فيما رُمْتَ مغرور
قد سار قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فما بَلَغُوا — هذا وفي سيرهم جِدٌّ وتشميرُ
يا مدّعي الحُبَّ في شرعِ الغرام وقد — أقام بيّنَةً لكنّها زُورُ
أفنيتَ عُمْرَكَ في لهوٍ وفي لعبٍ — هذا وأنت بعيد الدار مهجورُ
لو كان قَلْبَكَ حيًّا ذبت من كمدٍ — ما للجراح بجسم الميّت تأثيرُ

* * *

يا من قد شغلت عن ذكر ربه الشواغل، يا من كلما أيقظته العبر فهو غافل، يا من هو في رتبة الطاعة ناقص، وفي مرتبة المعصية كامل، أما تستحي ممن سرّك إليه صاعد، وخبره إليك نازل ﴿ **الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل** ﴾، أيامك تمر مرّ السحاب وأنت إلى البطالة جائع، لا تضيف إلى الموعظة من واعظ، ولا تقبل النصيحة من ناصح، وأنت عما قليل من سكان الضرائح، فما أنت قائل لمن هو لحقوقه منك مطالب، وعن حقوق عباده

سائل؟! ﴿ **الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل** ﴾، لو عبرت قنطرة التبصرة والاعتبار لقطعت ثلث الطريق، ولو اقتحمت عقبة الخشية والفرار لخلصت من حلق المضيق، ولو سلكت سبيل أهل اللجوءإلى العزيز الغفار لوصلت مع أكرم رفيق إلى بلاد حسن التوفيق، حتى تنظر إلى وجه من لا يشاكله مشاكل، ولا يماثله مماثل، ﴿ **الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل** ﴾.

* * *

هذه مزارع المؤثرين حرث الآخرة على حرث الدنيا، فأين الزراعون؟.

إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾[1].

والله لو أن العباد سمعوا هذه الآية كما ينبغي لهم أن يسمعوها، لو كان بينهم وبين الله بحار النار لخاضوها، شوقاً إلى ما شوّقهم مولاهم إليه، من لذة بهجة القدوم عليه.

كم قد أُهللنا من شهر شريف الميقات، ثم ينسلخ عنا، ونحن من قشرنا ما انسلخنا؟

كم قدم علينا من موسم تُغسّل فيه أوساخ القلوب بمياه العبرات، ثم يرحل عنا وما تطهرنا، بل اتّسخنا؟ في مثل هذه الأوقات المباركة يتوب العاصي، ويلين القلب القاسي، وينشط العامل، ويتنبه الغافل. الحسنات فيها مضاعفة لعامليها، وأبواب الرحمة مفتحة لوالجيها،وابواب الخيرات ميسرة لطالبيها؛ من قرع فيها أبواب العطايا بأنامل الدعاء توشك أن تفتح في وجهه؛ ومن استمطر سحائب النوال بأكف الإبتهال فجدير أن تسحّ على أرضه؛ ومن

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٨.

رفع قصة السلوى إلى عالم النجوى فما أولى منح قصده.

مثل الأزمنة الكريمة المحترمة عند الله مثل السنين المخصصة للزارعين، والليالي المقمرة للمسافرين، تخسف عنادها، وتقل حركتها، وتكثر بركتها؛ فكذلك العامل لله في الأوقات والأماكن الشريفة، تزكو أعماله فيها أضعاف ما تزكو فيما سواها؛ لأن الله سبحانه وتعالى اصطفاها لعباده على سائر ما عداها، يعطي ويمنع ما يشاء كما يشاء.

* * *

باب

إن أبلغ ما بلّغه واعظ إلى موعوظ، وأنفع ما هو بالألسنة ملفوظ، وفي الصدور محفوظ، كلام من كل شيء تحت قدرته مقهور، وبرعايته ملحوظ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد. الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للذين كفروا من عذاب شديد. الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد ﴾**[1].

- أما كتاب الله فبيّن ليس فيه غموض، وأما دين الله فهو متين لا ينهض به مخلوق حق النهوض، فلم يبق لنا عذر في حق الجهل بمراض رب العالمين، ولا قوة لنا على إقامة هذا الدين المتين؛ فالواجب علينا أن نستغيث بمراحم العزيز الرحيم، ونستشفع إليه بجاه نبيه الكريم، الذي أذن له في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فمن أجاب دعوته فله النظرةوالسرور، ومن تخلف عن إجابته دعا بالويل والثبور.

---

(١) سورة إبراهيم الآيات من ١ ـ ٣.

- قيل: الظلمات والنور، هما: الكفر والإيمان. وقيل: الضلال والهدى. وقيل الشك واليقين.

- وقيل: ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ أي بأمره، وقيل بتوفيقه.

- وقوله: ﴿ **الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ يعني الذين يؤثرون الفاني على الباقي، لا يبالون ما نقص من دينهم إذ زادت دنياهم، ولا ما فاتهم من رضى مولاهم، إذا أدركوا من شهوتهم ﴿ ﴿**أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم يُنصرون. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾[1].

* * *

تطالِبُني النّفْسُ بالمُشْتَهى	وتنْسَى القيامة والمُنْتَهى
وتسعى لإِحْكَامِ عَهْدِ الْهَوَى	وعقد ديانَاتِها قد وَهَى
وتتركُ صُحبةَ أَهْلِ النُّهى	وتصحبُ من قُدْسها[2] أو لها[3]
فإن دام هذا التَّنادي بها	فويلٌ لها ثم ويلٌ لها

* * *

(١) سورة الروم الآية ٧.

(*) لعل الصواب: الجمل بمراد رب العالمين.

(٢) سها: غفل من السهو.

(٣) لها: لعب من اللهو.

ذكر نبذة من كلامه ﷺ

في الاذكار والدعوات

إن أشفى الكلام لصدور السامعين، بعد كلام رب العالمين، كلام من كان نبيًّا وآدم بين الماء والطين.

● قال ﷺ: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو تُرى له»[1].

● وقال: «إذا ركع أحدكم فليقل في ركعته: سبحان ربي العظيم ثلاث مرّات، وذلك أدناه. وإذا سجد فليقل: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً، وذلك أدناه»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود من حديث عبدالله بن عباس قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: فذكر الحديث بتمامه وفيه زيادة على ما أورده المؤلف ـ ألا إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمت «أن يستجاب لكم» وقمنٌ: أي حرى وحقيق وجدير.
وأخرجه أيضاً أبو داود والنسائي في الصلاة والنسائي أيضاً في السنن الكبرى وابن ماجة في الرؤيا.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١) كتاب الصلاة باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود من حديث عون بن عبدالله بن عتبة عن ابن مسعود. قال الترمذي: وفي الباب عن حذيفة وعقبة بن عامر وقال أيضاً: حديث ابن مسعود ليس إسناده بمتصل. عون بن عبدالله بن عتبة لم يلق ابن مسعود.
والعمل على هذا عند أهل العلم: يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات.
قال أحمد شاكر معلقاً: وعون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ثقة وكان كثير الارسال وعبد الله بن

● وقال: « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول.. اللهم إني أعوذ بك من عـذاب جهنم، ومن عذاب القبـر، ومن فتنة المحيـا والممات، ومن فتنـة المسيخ الدجال »[1].

● وقال: « من سبح في دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة، وهلل مائة تهليلة، غفرت ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر »[2].

● وقال لرجل: « إذا انصرفت من صلاة المغرب فقـل: اللهم أجرني من النـار ـ سبع مرات ـ قبل أن تكلم أحداً، فإنك إذا قلت ذلك ثم قمت من ليلتك كتب لك جوار منها، وقال: وإذا صليت الصبح فقل ذلك، فإنك إن مت من يومـك كتب لك جوار منها »[3].

= مسعود عم أبيه.

ورواه أيضاً البغوي في شرح السنة ونقل كلام الترمذي عليه وقال شعيب الأرناؤوط وهو منقطع كما قال الترمذي.

وروى الحديث أيضاً الشافعي في الأم ٩٦/١ وابن ماجه (٨٩٠) في إقامة الصلاة باب التسبيح في الركوع والسجود وأبو داود (٨٨٦) في الصلاة: باب مقدار الركوع والسجود.

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب ما يستعاذ منه في الصلاة عن أبي هريرة وأخـرجه أحمـد عنه أيضاً ٤٧٧/٢ والنسائي في السهو عنه أيضاً.

(٢) أخرجه النسائي في التسبيح بعد التسليم (٣/ ٧٩) ورجاله رجال الصحيح فقد روى لهم البخـاري ومسلم إلا أن أبا الزبير المكي وهو محمـد بن مسلم قال ابن حجـر: يدلس ونقـل في التهذيب عن أحمد أن أيوب كان يضعفه وعن ابن أبي حـاتم عن أبيه قـال: يكتب حديثـه ولا يحتج بـه كما فعـل أيضاً توثيقه عن ابن معين والنسائي وقال ابن عدي روى عنه مالك وكفى بمن يروي عنه مالـك لأن مالكاً لا يحدث إلا عن ثقة وقال ابن عدي أيضاً: لا أعلم أحداً من الثقـات تخلف عن أبي الزبيـر إلا وقد كتب عنه وهو في نفسه ثقة إلا إن روى عنه بعض الضعفـاء فيكون ذلـك من جهة الضعيف ووثقه الكثيرون أيضاً.

ونقل عن ابن حبان أنه أورده في الثقات وقال: لم ينصف من قدح فيه لأن من استرجـع في الوزن لنفسه لم يستحق الترك. راجع فيه [تقريب التقريب: ٢٠٧/٢، تهذيب التهذيب: ٤٤٢/٩].

قلت: رواية الترمذي عـن أبي الزبير عن أبي علقمة وهو مدلس كما قال ابن حجر.

(٣) رواه أبـو داود عن الحارث بن مسلم بن الحـارث عن أبيه بلفـظه (٤/ ٣٢١) كتاب الأدب بـاب ما يقول إذا أصبح. ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة والمنذري في الترغيب (١٦٧/١).

● وقـال: « من قـال حين يصبـح: بسم الله الـذي لا يضـر مـع اسمـه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميـع العليم (ثلاث مـرات) لم يُصبه في نـومه فجأة بلاء. ومن قالها حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء في ليلته »[1].

● وقـال: « من قال إذا أصبـح وإذا أمسى: رضيت بالله ربًّـا، وبـالإسـلام دينـاً، وبمحمد رسولاً ونبيًّا، كان حقًّا على الله أن يرضيه يوم القيامة »[2].

● وقال: « من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثانٍ رجله قبل أن يتكلم: لا إلـه إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كـل شيء قدير - عشـر مرات - كتب لـه عشر حسنـات، ومحي عنه عشـر سيئات، ورفـع عشر درجـات، وكان يـومه ذلـك في حرز من كـل مكروه، وحُـرِسَ من الشيطان الرجيم، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم، إلا الشرك بالله عـز وجل »[3].

---

(1) رواه المنذري في الترغيب بلفظ ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومسـاء كل ليلة بسم الله الـذي لا يضـر مع اسمـه شيء في الأرض ولا في السماء وهـو السميع العليم ثـلاث مرات فيضـره شيء ٢٢٦/٧ وعزاه إلى أبي داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غـريب صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد. وهو كما قال. وذكره الالباني في صحيح الجامع (رقم ٢ . ١٣) وصححه وغزاه إلى أبي داوود ابن حبان والحاكم. والحديث عن عثمان بن عفان.

(2) قال المنذري في الترغيب (١/ ٢٢٨): عن أبي سلام محـطور الحبش أنه كـان في مسجد حمص فمر به رجل فقالوا هذا خدم رسول الله ﷺ فقام إليه فقال حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لم تتداوله بينك وبينه الرجال فقـال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «من قال إذا أصبـح وإذا أمسى رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ إلا كان حقـاً على الله أن يرضيـه». رواه أبو داود واللفظ له والترمـذي وقال حـديث حسن غريب. قلت هـو في الدعـوات من الترمـذي باب مـا يقول حين يصبح وحين يمسي. ثم قال: وفي بعض النسخ حسن صحيح وهو بعيد وعنده وبمحمد نبيـاً فينبغر أن يجمع بينهما فيقال وبمحمد نبياً ورسولاً ورواه ابن ماجه وأحمد. قلت ورواه الحاكم (٥١٤/١) أيضاً وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(3) قال المنذري في الترغيب (١/ ١٦٦) رواه الترمذي وقال: حسن غـريب صحيح والنسـائي. وزاده بيده الخير وزاد فيه ايضاً «وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة ورواه النسائي أيضاً من حـديث معاذ وزاد فيه» ومن قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك في ليلته. قلت: وهو كما قال.

● وقال: «من قال حين يصبح: ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض وعشيًا وحين تظهرون** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **وكذلك تخرجون** ﴾[1] أدرك ما فاته في ليلته». [2].

أيها الناس.. احرصوا على درك ما فات، وهيهات أن يدرك الفائت هيهات. كل وقت له وظيفة، فمن فاتته وظائف الأوقات، فعمره كله فوات، ونعم الله عليه معرضة للآفات.

* * *

يا خارجاً عن حِمَانا بمن تعوَّضْتَ عنّا
جَمْعَ ما شَطَّ عنَّا قد حُفَّ بالآفات
لو كنتَ عاقلاً ما اعتضْت البُعْد عنَّا بقربنا
عَزَى فؤادك فماذا يلقى من الحسرات
ارجعْ إلى ما كُنَّا عليه أوقات الصَّفَا من
قبل أن تتمنى يقل لك هَيْهَات
لا في شُهورِ التَّصافي تَصْفُو ولا في غيرها
في أي وقت تَصافى قد مرَّت الأوقات
القلب رَبْعُ التّواصُل إذا خلا من غيرنا قد
انقضى العُمْرُ والرَّبْعُ مُوحش العرضا
ما دام سُؤْلَك يُبْذَل من التواصل فاغتنم
يا ربّ يوم تُسأل يقول سُؤْلك فات

* * *

من أقوال السلف

العمر ثلج، والأجل شمس، ولا يزال حرها يشتد كلما دنت، فهي تلتمس الثلج فلا عين ولا أثر.

---

(١) الآية من سورة الروم والحديث: في عمل اليوم والليلة «لابن السُّني» (٥٤، ٧٧).

(٢) قال المنذري في الترغيب (١/ ٢٢٥) رواه أبو داود ولم يضعفه وتكلم فيه البخاري في تاريخه.

(٣) الربع: بفتح الراء وسكون الموحدة هو محلة القوم ودار إقامتهم.

العمر يذوب، فافطني يا نفسي، ما أشبهه بثلجة في شمسي، يومي يمضي كما يقضي أمسي، يا رب مصبح وقد لا أمسي.

العجب ممن يدعي العقل والتمييز، وهو جاهل بنفاسة الوقت العزيز، يفرح بربح الفانيات وهو مغبون، ويعد في عرف أهل الدنيا عاقلاً وهو عند أهل الآخرة مجنون، كم ورعٍ للعقل منا وهو مجنون، يعتقد الربح وهو مغبون، يعد بين الحذاق منتقداً وكل ما في متاعه دون، متبع للهوى وكل هوى قد ألحقت في هجائه نون. ترى في جمعنا هذا مَنْ فطرته ذكية، ترى بيننا مَنْ يفهم الإشارات الخفية، ترى حفرْنا شهم له همة علية، تحمله الأنفة من الرضا بالرتب الدنية.

لله ذوو نفوس تسمو إلى الرتب العلية، قوم أبت لهم الدناة أنفس لهم أبية، لم يصمهم ما راق غيرهم من الدنيا الدنية، رمقوا بأبصار القلوب معارج الرتب السنية، فتعاهدوا عهداً تؤكده المواثق القوية، لا ينكلون عن الفرات بمرهفات مشرفية، حتى تخلى عنهم العمى وأوجههم مضية.

قد شرحنا بعض شيء من أحوالهم فلنذكر شيئاً من سديد أقوالهم:

- قالوا رحمهم الله: الفقر له حرمة وحرمته سَتْرُهُ والغيرة عليه، فمن أظهره وبذله فليس هو من أهله.
- الصبر ترك الشكوى، والرضا استلذاذ البلوى.
- من علت همّته على الأكوان وصل إلى مكوّنها، ومن وقف مع شيء سوى الحق فإنه الحق لأنه أعزّ من أن يرضى معه بشريك.
- من ألزم نفسه بآداب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة.
- أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأحوالها.
- علامات الولي أربع: ● صيانة شره فيما بينه وبين الناس.
  ● وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله.

● واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله.
● ومداراته للخلق على قدر عقولهم.

- من استولت عليه النفس صار أسيراً في سجن الشهوات، محصوراً في حكم الهوى، فحرم الله على قلبه الفوائد.

- الحر عبدٌ ما طمع، والعبد حرٌّ ما قنع.

- البريء جريء، والخائن خائف.

- من كان يَسُرّه ما يضرّه، متى يفلح؟

- إن الله نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرهم أهلاً لمعرفته، فشغلهم بخدمته، إلا شاربٌ بكأس العارفين، إلا مستيقظ من رقدة الغافلين، ستقدم فتعلم، ويكشف الغطاء فتندم.

- مَكَرَ بك في إحسانه فتناسيت، وأمهلك في غيّك فتماديت، وأسقطك من عينه فما دريت ولا بليت.

- يا ليت شعري.. ما اسمي عندك يا علّام الغيوب؟، وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب؟، وبم يختم عملي يا مقلب القلوب.

- من عرف الله لا يكون له غم.

- إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها، فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا؛ وإن أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفًّا من تراب، فإنك منه خلقت، وفيه تعود، ومنه تخرج؛ وإن أردت أن ننظر ما فيك، فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء؛ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز له أن يتطاول ولا أن يتكبر.

- ليس للأعمى من رؤية الجوهر إلا مسّها، وليس للجاهل من معرفة الله إلا ذكره باللسان.

- من نقر على الناس قلّ أصدقاؤه، ومن نقر على ذنوبه طال بكاؤه، ومن نقر

مطعمه طال جوعه.

ـ احذر أن تخاصم من إذا نمت كان منتبهاً.. معناه: لا تعادي أولياء الله فإنك تنام وهم مستيقظون، فربما دعوا عليك، فاستجيب فيك وأنت لا تشعر، إحذر سهام الله حين تنام والمظلوم ساهر.

* * *

يدعُو عليك وأنت في غمضٍ وربُّ العرش ناظر
لو بِتّ في حِضْنٍ سما في الجو لا يعلُوهُ طائر
من حوله الأبْطَالُ في أيديهم البيضُ البواتر
وعليك أدرعةُ الحديد وحولك الأُسْد الكواسر
ودعا عليك مظلومٌ لم يلق غير الله ناصر
لأصَابَ سَهْم دُعَائِه منك الفُؤادُ وأنت صاغر

* * *

دعوة المظلوم

كثيراً ما يستهين الناس بالظالم، وينسون يوماً يأخذ فيه الله من المظلوم للظالم، لا سيما الغيبة، فإنها من أربا الربا وأغث المطاعم.

هل فينا من تحلل خصماه؟ هل فينا من أرض غرماءه؟ ما قدرنا الله حق قدره، ولا فرّقنا بين حلو العيش ومرّه، كأنك بالزارع وقد حصد زرعه، فطوبى لأهل العبادة والتقى والورع.

* * *

لم يزل للزّارع مُزْدَرَع إلا التُّقى والزُّهْدُ والورع

وعبادة في سنّة خلصَت لله ليس يشوبها طمع
هي أربعٌ إن أنت قُمْتَ بها خُلِعَتْ عليك من الرضا خُلع

* * *

من مهمات المطالب

أربع من مهمات المطالب، لا ينبغي أن يهتم بغيرها الطالب حتى يحوزها قبل كل مستحب وواجب:

المطلب الأول: التقوى وهي: أداء الفرائض، واجتناب المحارم.

الثاني: الورع، وهو: تحرير مقام التقى بترك المحرمات والمشتبهات التي تدق وتخفى.

الثالث: الزهد، وهو: ترك ما ليس إليه ضرورة، ولا فيه عند أهل الله مصلحة.

الرابع: العبادة، وهي: استعمال القلب والجوارح في الخدمة.

فكل طالب طلب أن يعد من الرجال، بدون إحكام هذه الخصال، فهو طامع في نيل مالا يُنال.

* * *

من رَجَا أن يَنَالَ ما لا يُنَال فحال رجاؤه وضلال
لا يُنالُ العُلى بغير عناء من رجا نَيْلُها براحةٍ مُحال
سرتُ زحفاً إلى المعالي وقد أرخت إليها الأعنة الأبطال
منهمُ الحائزُ المرامُ ومنهم من أتت دُون قصده الآجال
كنت أرجُو بهم لِحَاقاً فَخَانَتْني المعاصي وخانت الآمال
ربّ فاجبر كسري بما لم تزل أهلاً له يا جواد يا مفضال

* * *

حسرات المحرومين

ثلاثة من المحرومين حسرتهم أوجع حسرات المتحسرين:

- عبد كان يرجو الوفاة على الإسلام، فأدركه عند الموت سوء الخاتمة.
- وعبد كان يرجو التوبة، وهو مصرٌّ على الخطيئة.
- وعبد يرجو اللحاق بأولياء الله، فحرمته المقادير بلوغ ما رجا.

* * *

حُرِمَتْ مُقلتي طيب الرُّقادي ... وحُلْتُم بين خدّي والوسادي
أريدُ القربَ منكم تُبعدوني ... وأنتم قادرُون على مُرادي
وحقُّكُمْ لقد أسْلفتموني ... بطردَى عنكم شرّ البلادي
فيا حَسَرَات ما يلقاه قلبي ... ويا حَرَقَات ما يَغْشى فؤادي
قِلَاكُم قد شفَّ بالإسلام حمى ... وخالف بين جَفْني والسُّهَادي
وشرَّدني عن الأوطان حتى ... بقيت مهيماً في كل وادي
وكيف يَقَرُّ مهجورٌ قضيتم ... عليه بالصُّدود وبالبُعادي
محبٌّ لم يُطعْ فيكم عذُولا ... ولم يسمع وشايات الأعادي
ويطوى سرَّكُم عن كل حَيٍّ ... وينشر ذكركم في كل نادي
فلو حدَّثتموه ما سَلاَ عن ... محبتكم إلى يوم التنادي
فَدَتْكُمُوا اجْبُرُوا كسرى وفقرى ... ولو أن تَمُنّوا باليسير من الرقادي
عسى طيف يلُم فإن طرفي ... إلى رؤياكم في النوم صادي

* * *

المجلس التاسع عشر

تفسير آية من سورة التوبة

الحمد لله . . الذي ما علت أقدار عباده إلا بتعظيم حرماته وشعائره، ولا حظى بولاية أهل العرفات إلا بالتوبة إليه من ركوب العصيان وكبائره وصغائره.

فذلك العبد هو الذي دلت استقامة ظواهره على استنارة بواطنه، وأشرقت بواطنه على صفحات ظواهره.

لكل ذي نسب حسيب، من شرف نسبه نصيب، ولا كشرف أنساب المتقين؛ ولكل ذي تقي على تقواه ثواب، ولا كثواب المعظمين لحرمات الدين؛ يعظمون حرمة الزمان والمكان، وكلما ينسب إلى الملك العظيم الشان.

أحمده على ما أرانا من واضحات قرب المناسك، وأنقذنا من غامضات حفر المهالك، حمد معترف بأنه لمقاليد السموات والأرض مالك، ليس له في مثقال ذرة من جميع الممالك، قسيم ينازعه ولا مشارك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، أغلى علم يقينها عن علم القياس.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الجنة والناس، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تكثر عدد الأنفاس، وعلى سائر عباد الله الفطن الأكياس، المطهرين بمياه التقى من جميع الأدناس، خصوصاً على الخلفاء الأربعة الذين شيدوا أساس الدين على أقوى أساس.

كم لله من عتقاء كانوا في رق الذنوب والإسراف، فأصبحوا بعد ذل المعصية بعزّ الطاعة من الملوك والأشراف، أكرموا مولاهم أن يراهم حيث أراهم، فأفادهم ذلك التعظيم والاحترام، جلالة وكرامة عند ذي الجلال.

* * *

سَلامٌ على أهل دَار السَّلام ... سلام مَشُوقٍ براه السقام
يَبيتُ يُراعي نُجومَ الدُّجا ... كأن الرّقاد عليه حَرَام
وكيف يَلَذُّ الكرى مغرم ... يذوب احتراقاً بنار الغرام
يظلّ من الدَّمع في لُجَّةٍ ... ومن وَقْدِ نارِ الأمس في ضرام
فات عنه دار أحبابه ... شموسُ الضُّحَى وبدور التمام
وقد كان من حِزْبِهِمْ في حِمَىً ... وأصبح من نَاصِرٍ في حِمَام

* * *

تفسير آية من القرآن المجيد

نستكمل بها بركة الوقت السعيد، قوله تعالى:

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرمٌ ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾[1].

كان الكفار بجهلهم عن أحكام الدين، وتكبّرهم عن متابعة المرسلين، يتصرفون في شهور السنة بتقليب أحكامها، وتحويلها عن مكانها، بتحريم حلالها، وتحليل حرامها.

فأعلمنا سبحانه أن تصرفهم مسوق بما سطرت في الألواح والأقلام، قبل

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٦.

خلق الليالي والأيام. وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ **في كتاب الله** ﴾ أي في اللوح المحفوظ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: في الإمام الذي عند الله، كتبه يوم خلق السموات والأرض.

وأما [الأربعة الحرم]: فهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. فيجب على العبد المسلم أن يكون بفضلها عارفاً، وعلى تعظيمها عاكفاً، ولمضاعفة ثواب الله فيها راجياً، ومن مضاعفة عقاب المعاصي منها خائفاً.

* * *

شَمِّرُوا للحرب عن ساقٍ ما   لما قد حُمَّ من واقي
إن كأس الموت دائرةٌ   ليس تُبقى منكم باقي
والمنايا للفتى رصدٌ   كل حيّ حَتْفَهُ لاقي
فابذلوا لله أَنْفُسكم   واكشِفُوا للحَرْب عن ساقي
إنما هذا العدوُّ لكم   كَجُرُوحٍ فوق أماقي
لَسْعَةُ الشيطان ليس لها   غيرُ ذِكْرِ الله ترياقي

* * *

ثم قال تعالى: ﴿ **واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أنه تعالى مع أوليائه الذين يخافونه فيما كلفهم من أمره ونهيه.

وقال الزجاج: إنه تعالى يريد أنه ضامن لهم النصر والتأييد، وهم قوم لم يزالوا معه بالعبادة والتوحيد، وكيف لا يرفع الله أقدارهم وهم الذين لم تزل كلمة التوحيد بجهادهم مرتفعة، كيف لا يقيم الله الوجود في خدمتهم وهم الذين لم

يـزالوا قـائمين في خدمتـه، إن وجههم في أمر تـوجّهوا إليـه، وإلا لم يزالـوا في حضرته يحنون إلى لقائه كما يحن المشتـاق إلى قرب الـديار، وينيبـون إلى ذكره كمـا تنيب النسور إلى الأوكـار، وإذا ترنم لهم الحـادي باسمـه هتـك عن قلوبهم الأستار، وأي محب يسمع باسم حبيبه ثم يقر له قرار.

* * *

مشوّقٌ لا يقرُّ له قرارُ	وكيفَ يقرُّ وقد نَأَتْ عنه الديارْ
إذا ذُكِر اسمُ من يَهْوَاهُ يوماً	يكادُ القلب منه يُستطارْ
وما في موتِ صبٍّ مُسْتَهامٍ	إذا ذُكر اسم من يهواه عَار
ترنَّم باسم من أَهْوى لِسَمْعِي	جَهاراً فَأَعْذَب الذكر الجهارْ
وبَرِّدْ باسمه حرقي فإن	اسمه بردٌ وحرّ الشوق نارْ

* * *

أهل المحبة

لا يزال بين جوانـح المحب لواعـج الاشتياق، فـإذا ذكر اسم الحبيب بـرد بعض ذلك الاحتراق، والهجر سم قاتل والوصل ترياق.

* * *

مـا يسُم الـهجـران من تِـرْيَـاق	غيـر وصلٍ يـروي صـدى المشتـاق
لـو وَجَـدْنـا إلى الـوصـال سبيـلاً	لَـسَـقَـيْـنـا إلـيـه بـالأحـداق
آقـتلوا عَـبْـدَكم فـفي قـتـلِهِ راحـةٌ	مـن لَـوَائـح الأشـواق
أيُّ عـيسٍ لـمن يُـفـارق إلـفـاً	ألـفَ مَـوْتٍ ولا قـلـيـل فـراق

* * *

السالكون على قدم أهل المحبة يختارون الموت على الهجران، والعاملون على طريق أهل الخشية يؤثرون عذاب النار على ركوب العصيان، وأهل المعرفة بالله بما هو أهله مشغولون به عن نصيبهم منه لا يرون الاشتغال بشيء سواه، وهم في ذلك يعظمون الحرمات والشعائر، ويتقون كبائر الذنوب والصغائر، ويوفون الأدب في سياسة الظواهر، وحراسة السرائر وقلوبهم معلقة بمن لا تدركه الأبصار، ولا تكفيه البصائر.

* * *

لو رقَّ لي سُكَّان حاجرٍ	لم تُقْرِح الدّمعُ المحاجرُ
لا غَرْوَ أن هَجر الكرى	صباً له المحبوب يُفاخرُ
مَالي كُسِرْتُ	وأنت يا مولاي للمكْسُور جَابرُ
هَبْ أن عبدَكَ قد أتى	كل الكبائر والصَّغائر
أنت الذي سمَّيْتَ نَفسك	في صَريح الذِّكر غافر

* * *

يا مصرًا على الذنوب، أما آن لك أن تتوب. يا غافلا عن ذكر مولاه إلى متى أنت محجوب.

كم قد أهللت من شهر حرام، وهمله إلى الحرام منصوب. ليس في صدرك من خشية ربك ما ينبغي أن يكون للرب في صدر المربوب.

* * *

روِّح القلب بذكْر الحبيب	والسقمى فيه من طبيب
هو أُنْسي هو راحة قلبي	هو رُوحي هو مُفرج الكروب
هبّت الريحُ جنوباً فأهْدت	لي من ذكْركُم رُوح القلوب

لـــذذتني مـنـــه فـــلا أزال الـــدَّهـــر أرتـــاحُ لـــريـــح الـــجـنـــوب
كلمـا نُسب إلى الجُنون فهـو جُنـون وكلمـا أدى إلى المـطلوب مـطلوب
جيمـعُ الـذي يُعـزى إليكم ويُنسب على كـريم وهـو عـنـدي مُجـيب
جُنـوني غـرقتـه بـانسفـاح مـدامعي وقلبي على جمـر الخَصَـا يـتقـلّب
إذا كان هجري مُدنياً من رضاكم فهجـركُم عندي من الـوصـل أطيب

* * *

الرضا عن الله لازم لكل مخلوق، ولو حمله الله ما لا يطيق، لأنـه سبحانـه لا يقضي إلا بالحق، ومن لا يرضيه الحق فهو بالغصب والعقوبة محقوق.

سخط المقـدور يزيـد في المحذور، ومنـازعة القضـاء تـزيـد في الشقـاء، والتواضع رفعة، واليأس راحة، والإساءة وحشة.

إذا استحـوذت الغفلة، فقد استحكمت الشقـوة. كراهيـة العبد لقـاء الرب دليل على ألاّ خبيّة بينه وبينه.

أفضل العبادة صحة الارادة. أعرف الخلق بـالله أقربهم منـه، وأطوعهم لـه أعرفهم به. العبادة بغير معرفة، كسِرٍ على غير جادة.

لو انتبهت من رقادك، لوصـلـت إلى مرادك؛ ولو أيقنت بمعادك لاستكثـرت من زادك.

* * *

أيـن مـا أعْـدَدْتَ مـن زادٍ قـد حَـدَا بـالأيْنُقِ[1] الحـادي
مـا بـقـي إلا الـقـليـل وقـد جَـدَّ سيـرُ الـرَّائـح الغـادي

(١) «الأنيق» جمع ناقة.

فتأهَّبْ للمَسير إلى دار قومٍ سكن الوادي
وارتقبْ من بعدها سفراً ثالث يجدونهم حادي
لا يزال السير يزعجهم بين إصدارٍ وإيرادي
فإذا تم السرى نزلوا في خلودٍ خلداً وأيادي

* * *

هذه مواسم الأرباح قائمة، فهل من رابح فيها رضا مولاه؟ هذه نعم الله سابغة فهل شاكر لله على ما أولاه؟ كم من مؤمل بلوغ ما بلغتموه من الصحة والفراغ والمهل، قبل أن يبلغ عرى العافية الانفصام، ومجنح شمس الحياة الى الطفل، ويقول القائل: مالي لا أرى فلاناً؟ فيقال انتقل.

* * *

سُرُوري سَرَى واصْطِباري رَحَل وقد رغبْتُم نَجْم سَعْدي أَفَلْ
وضاقت بي الأرضُ من بعدكم تنكَّر لي سهْلها والجبلْ
وما كنتُ أحسبُ أن البعادَ سَلع قلبي فها قد قتلْ
وكنتُ أُؤمل لقياكُمْ فعزَّ عليَّ بُلُوغُ الأملْ
فلا تسمعوا قول من قد وَشَاكُم لم أُطِعْ فيكم من عذل
ورِقُّوا لمن قد براهُ السَّقام فلا يبق في عَذْكم مُحْتمل
وإن كان في الحبِّ لي من ذلك فما زلتمُوا تغفرُون الزَّلَلْ

* * *

تعالى الله، وما أجل ذكره في أسماع المحبين، من علو شأنه في قلوبهم، يزجرون نفوسهم عن دعوى حبه، وهم يعلمون أن حبه أقرب الوسائل المدْنية من قربه، ولكن لمعرفتهم به علموا أن مهور محبته غالية على قدرهم، فأمسكوا عن

تعاطي المحبة وهم يعلمون أن رتبة المحب فوق كل رتبة.

* * *

حالتي تقتضي اعترافي لربِّي بذنوبي لربِّي وافتقاري
سوءُ حالي اقتضى رضايَ بإذني ما عسى أن يجبر الكساري
أرتجي العفو والوفاة على الإسلام والعتْق من عذاب النَّار
آيستني الذُّنوب من كل مجدٍ وسناءٍ ورفعةٍ وفخار
ما لمثلي أن يدعي حبّ ربّي إنما الحبّ رُتْبة الأطهار

* * *

كان ابن الجلا رحمة الله عليه إذا سئل عن المحبة قال: مالي وللمحبة، أنا أريد أن أتعلم التوبة. اذا ادعت نفسك محبة الله فطالبها بصفات محبته، لتعلم أصادقة هي أم كاذبة فيما تدعيه. إن أيسر ما يكرم الله أهل محبته أن يظهر عليهم خوارق العوائد، ويطلعهم على أسرار الخلائق، حتى تكون عليها كشاهد.

كان جماعة عند الجريري فقال: هل فيكم من إذا أراد الله أن يُحدث في المملكةُ حدثاً، أبدى علمه إلى وليّه قبل إبدائه في كونه؟ قالوا: لا. فقال مرّوا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً من هذا، لما أكرموا مولاهم أن يراهم حيث نهاهم، صافاهم ووالاهم، ولمولاته ارتضاهم. وكيف لا يرتضيهم وقد أطاعوه؟ وكيف لا يطيعونه وقد عرفوه؟.

سئل الشبلي عن: أي شيء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه، إنما كانت معصية العارف من العجب العجيب لأنه من الجناب العزيز قريب، وعليه من الله في كل حال رقيب؛ فهو لقربه من الله كأنه يراه، أما العين محجوبة ولكن القلب يتملاّه.

دخل على الشبلي جماعة في داره وهو بهيج، ويقول: على بعدكم لا

يصبر من عادته القرب، ولا يقوى على حجبكم من قيمة الحب، فإن لم تَرَكَ العين فقد يبصرك القلب. لما أخلوا له القلوب مما سواه أضاءت قلوبهم وإن كانت لا تراه، كأنها تراه. ولأجل ما هم فيه من مقام القرب واقفون، ومن عظمة ربهم خائفون، طالبوا بها الناس به مسامحون. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يا بلال إلق الله فقيراً، ولا تلقه غنيًّا ». قال: يا رسول الله كيف لي بذلك؟ قال: « هو ذاك، وإلا فالنار »[1].

أصحاب العناية مطالبون بما لا يطالب به المهملون، والمقربون يناقشون على ما تسامح به المتعبدون، لأنه سبحانه اصطنعهم لنفسه، وجعلهم جلساءه في حضرة قدسه، فكيف يسامحون في الإخلال بحسن الآداب، وبحسن الأدب استحقوا ساميات الرب. لما استشفعت الخليقة بسادات المرسلين يوم القيامة، تأخر آدم بسبب الشجرة التي نهى عنها، وهي خطيئة قد غفرت له، وقد تاب منها. وتأخر نوح بالدعوة على قومه، وما أراد بها إلا هلاك أعداء الله، وتطهير الأرض والبلاد، وإراحة العباد. وتأخر الخليل بالديات الثلاث، وكلها كانت في ذات الله وطلب مرضاته. وتأخر الكليم بالنفس التي قتلها، وإنما كان المقتول كافراً باغياً، أراد كليم الله كفّه ولم يعتمد قتله، وكان في ذلك الوقت من أهل النبوة والرسالة. وتأخر المسيح خجلاً مما قالت النصارى فيه، وذلك ذنب ما جناه ولا إرتضاه. علموا أن مقام الشفاعة مقام لا يسامح، تقدموا إليه فناقش كل منهم نفسه بأدق ما يلزم ويجب عليه، كلما بلغوا من القرب والأنس مقاماً ازدادوا لله إجلالا وإعظاماً.

* * *

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٣١٦/٤) ولفظه « يا بلال اتق الله فقيراً ولا تلقه غنياً. قال قلت: كيف لي ذلك يا رسول الله قال: « إذا رزقت فلا تخبأ وإذا سئلت فلا تمنع قال: قلت وكيف لي بذلك يا رسول الله. قال: هو ذاك وإلا فالنار». وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الذهبي: واه.
وأشار السيوطي في جمع الجوامع (٩٥٩/١) إلى أن الطبراني أخرجه في الكبير.

كـلمـا زادنـي اقـتـرابـاً ووداً زَادَ قـلبي لـه احـتـرامـاً مُـجـدّا
وإذا زاد بـالـتَّـواصُـل يـومـاً خِفْتُ أن يعقُب التـواصـلُ ضـدّا
كم قريبٌ قد أهملِ الخوف فاعتاضَ بـإهـمـالِـه مـن الـقُـرب بُـعـدا
ومُـدِلّ عـلى الأحـبَّـة جـازُوهُ بـإدْلالـه إنـتـهـاراً وطـردا
ويخـافـوه بعـد أُنس ولُـطف ثـم قَـدّوا لـه مـن الـهـجـر مـدّا

* * *

أطول الناس حسرة، وأوجعهم كسرة، عبد قربه مولاه، ولاطفه وصافاه، فعزه ذلك الأنس والاقتراب، فأحل بما يلزمه من محاسن الآداب، فنفضته يد الإنكار نفضة إبعاد، فأصبح مطروداً إلى يوم التناد.

* * *

يـا لـهـا حسـرة لـيـوم الـبعـادِ كـم تـرى فَتَّـتـت مـن الأكـبـادي
يـا لـهـا صَيْـحـةَ أطـارتْ فُؤادي كم تـرى أشْمَـتَتْ مـن الحُـسَّـادى
بُـدِّل الـوصـل بـالصُّـدود وقـرب الديار بالبعد والكـرى[1] السهادي[2]
مـا لـقـلبي مُـوالـيـاً لـهـمـومي مـا لـجنسي مُـعـاديـاً لمـهـادي
مـا لجسـمي مُـلائـمـاً لنُـحُـولي مـا لـجُفْـني مـنـافـراً لـرُقـادي
لـيـتـنـي مِـتُّ قبـل مـا ذُقـتُ مـن الـهـجـر والـقِـلَى[3] والـبُـعـادي
لا تَـلُمـني على افـتضـاحي فقـد بـاحـتْ دُمـوعي بمـا أَسَـرَّ فؤادي

* * *

(١) «الكرى» النعاس.

(٢) السهاد: الأرق.

(٣) «القِلَى» البغض.

صحبة المعلمين

أحوج الناس إلى صحبة المعلمين ثلاثة رجال:

- رجل يطلب أن يكون من وزراء السلاطين.
- ورجل يطلب العلم، ليصير به من أئمة الدين.
- ورجل يطلب العبادة، ليتوصل بها إلى مقامات المقربين.

لأن من صحب السلطان بغير تأدب بـأهل ذلـك الشأن، لم يـأمن أن يكون حتفـه في سقطة من سقـطات اللسان. ومن لم يتـأدب بعلمه بـآداب العلماء، لم يأمن أن يكون حتفه في بعض أودية ضلال الآراء.

ومن تعبد من غير مداخلة لأولياء الله لم يأمن أن يتبع السبل فتفرق بكم عن سبيل الله.

* * *

من يكن شيخ نفسه في الطريق لم يَنَلْ رُتْبَةً من التحقيق
لا يتمُّ السُّلُوكُ في الطرق إلا بِخَفير ومُرْشِدٍ ورفيق

* * *

قطاع الطريق على أرباب السلوك أربعة:

- كافر مطاع يشكك في الله.
- ومبتدع يزيغك عن سنة رسول الله.
- وفاسق يجزيك على معاصي الله.
- وغافل ينسيك صحبة ذكر الله.

* * *

إذا ما عزمت السَّير في نَيْل متجرٍ يكون له من صفقة الرِّبح حاصل
فأربعةٌ لا تسلُكْ سبيلهم كفُورٌ وبِدْعيّ وعاصٍ وغافل

* * *

هذه نصيحة أهديها إليك، فأمسكها بكلتي يديك، وعض عليها بناجزيك، تتم بها نعمة الله عليك. اللهم.. وفقنا لمحابِّك منا، وارزقنا عملاً صالحاً زاكياً ترضى به عنا حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا، في لطف منك وعافية، يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس العشرون

الإسراء معناه وأسراره

الحمد لله: ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب. ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾[1]، مثير السحاب بالرياح، من مثارها، ومدير الأفلاك على الأقطاب في مدارها، فلا تأثير إلا وهو مثير، ولا دائر إلا وهو له مدير، دبّر فأحكم التدبير، وقدّر فأبرم التقدير.

من استرحمه فهو له راحم، ومن استنصره فهو له نصير، ومن استغاثه فهو له مغيث، ومن استجاره فهو له مجير، ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾[2]، ويكلأ عباده بالليل والنهار، ولا يأخذه نوم ولا سنة، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض، بتدبير ما أتقنه وأحسنه، فله الحمد على حسن التدبير في مجاري القدير.

* * *

في بابه يُجْبر الكسرِ ... ويُطْعم البائس الفقير

ليس عليه مُجْبر خلق ... وهو على خلقه جَبير

---

(١) سورة غافر الآية ٣.

(٢) سورة المعارج الآية ٤.

عــلمٌ مــحــيطٌ فــلا صــغــيــر يــغــرُبُ عــنــه ولا كــبــيــر
لــكــل أقــوالــنــا ســمــيــعٌ لــكــل أعــمــالــنــا بــصــيــر
إذا ابتُــلينَــا فــهــو الــمُــعَــافي أو نــحن خِــفْنَــا فــهــو الــمُجيــر
وإن مَــرِضْنَــا فهــو الــمُــدَاوِي وان أَسَــأْنَــا فــهــو الــغــفــور
إحــســانــنــا عــائــدٌ عــلــيــنــا وهــو لــنــا مــادحٌ شــكــور

* * *

سبحان من يشكر المحسنين على إحسانهم، وإنما إحسانهم من إحسانه.

سبحان من تعامله العباد بعصيانهم، ويعاملهم بغفرانه.

سبحان من لولا حلمه لعاجل العاصي بالعقوبة قبل توبته من عصيانه، ولكنه يمهله ما دامت الروح في جثمانه؛ فإن تاب قبل موته تلقاه بمغفرته ورحمته ورضوانه؛ وإن مات مؤمنا بربه تلقاه بمغفرته، وإن مات مؤمنا بربه مصرًا على ذنبه أنقذه من النار ولو بمثقال ذرة من إيمانه.

ولا يهلك على الله إلا طاغٍ مستمر على طغيانه، لأنه تعالى أرحم بعبده من الوالد بولده في عطفه ولطفه وعنايته بصلاح شأنه.

* * *

أحــن إلى رفْــك الــعقــيــق وبــانِــهِ فهــل عائــدٌ لي مــا مضى من زمــانــه
ليــالي أَرْعَى روْض وهــل سختْ بــه يــدُ الــدّهــر من إحســانــه وحســانــه
يــمكّــنني مــمــا أحبّ فــأجْتــني ثــمــار مني إمكــانــه ومكــانــه
وأمنْتني إذْ ذَاكَ مــن روْعــة الــوَرَى فــعشــتُ زمــانــاً واثقــاً بــأمــانــه
إلى أن قضى ربّي بِــذُلي وشَقْــوتي وكــل قــضــاء مــصــيــر لأوانــه
فجُــرِّعْتُ مُــرَّ العيش من بعــد حُلوه وعُــوِّضت من إكــرامــه بــهــوانــه

وهـا أنـا لا أرجـو سـوى أنّ سيـدي يعـود على فَقْـري بفضـل امتنـانـه
ويـجبـر مـني كـل كـسـرٍ بنـظرةٍ أعيش بهـا طول المـدى في حنـانـه

* * *

تبـارك الله، مـا أروم نسمـات الارتيـاح إليـه، ومـا أشجى حنين المتلهفين عليه، وما أبرد مصافحة استشعار الرضا عنه، وما ألذ العيش في بلاد الدنو منه.

وكيف لا، وهـو المنتهى في نعوت الجـلال والجمـال، وليس وراءه مـرمى في شيء من صفات الكمال.

أحمده على كل حال، إن قبض وإن بسط، وإن منع، وإن أنال.

وأشهد أن لا إله إلا الله الكبيـر المتعال، شهـادة معتقد أن كـل معبود دونـه محال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختصه للنبوة، وأكرمـه بالإرسـال، فشفى من السقم، هدى من الضلال.

صلى الله عليـه وسلم، وعلى آله وصحبـه، ومن اتبعهم بإحسـان إلى يـوم المآل.

خصـوصاً، على العشـرة ومن جملتهم الأئمة الأربـعة، أصحـاب الهمم العوال.

اللهم « افتح منا أسمـاعاً، وأبصاراً، وبارك لنـا في حضور هـذا المجلس، حتى لا نقوم إلا وقد غفرت لنا إنك كنت غفّاراً.

واجعل لإخواننا نصيباً في صالح دعائنا، يا من لم تزل نعمه غزاراً، ودائمة مدراراً.

* * *

وهي قوله تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾**[1].

أكثر الناس يقولون: « سبحان الله » وما يعرفون معناها.

وهي في لغة العرب: تعني التنزيه والعجب.

فقولنا: « سبحان الله » أي تنزيه الله من كل سوء، وتبريئه من كل نقص، وتعجب من وصفه بما لا يليق به، من الولد والصاحبة والشريك، وغير ذلك مما بريء منه ومتعالٍ عنه.

فقوله: (**أسرى بعبده**) أي سيره بالليل، والسرى لا يكون إلا بالليل خاصة. و(**العبد**) هو محمد ﷺ. و(**المسجد الحرام**) فهو مسجد مكة المحتوي على الكعبة. وأما (**المسجد الأقصى**) فهو مسجد المقدس. (**الذي باركنا حوله**) أي جعلنا ما حف به مباركاً، وذلك جميع بلاد الشام؛ رأى لها مزية على غيرها في البركات من الدنيا والآخرة. (**لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير**) الآيات: هي العجائب. وكم أطلع الله نبيه ليلة المعراج على بناء عظيم وأمر عجيب. (**إنه هو السميع البصير**) هو الله سبحانه وتعالى. أي أن الذي أسرى بعبده هو السميع البصير. وقيل: هو النبي ﷺ. أي أن العبد الذي أسرينا به سميع لما أوحى إليه، بصير. بما حكى عليه.

* * *

أيها الزائرُ الذي رامَ وصْلاَ ... قد رأيْناكَ للذي رُمْتَ أهلا

إليه سمعاً لما يُقال فهُدَى ... كلمات الرِّضا على السَّمعِ تُتلا

وإذا ما أُمِيطَت الحُجب فاحفظْ ... حُسن آداب ما على العَيْن تُجلا

---

(١) سورة الإسراء الآية ١.

أيهـا الصَّـبُّ المُشْتَـاقُ هـاَ قـد بـذلْنا لـك مـا كنت تشتهي فتُمـلا
قـد تجلَّى لـك الـحبيبُ وأوصـى ضيّـه الـعـاشـقيـن أن تـتـجـلاّ
كـم مُـحـبّ أراد وَصْـلنـا لم يُصـادف منّا سـوى كُن وكـلاّ
مـا لـكـل الـزُّوَّاد يُفتـح البـاب لا ولـن يُلتـقى بـأهـلا وسـهـلا

* * *

سؤال

ما الحكمة في افتتاح آية الإسراء بلفظ سبحانه؟

الجواب

إن لفظة « سبحانه » تقولهـا العرب عنـد الأمر العجيب. فـافتتحت بها آيـة الإسراء لما كان فيه من الأعاجيب.

سؤال

ما الحكمة في قوله: ﴿ **أسرى بعبده** ﴾ ولم يقل برسوله؟ ولا بنبيه؟ .

الجواب

إن عيسى عليه السلام قيلْ فيه: إنه الله، وابن الله، للكرامة التي أكرمه الله بها، وهي دون كرامة المعراج، وكذلك قالت اليهود في العزير أنـه ابن الله لأيْسَر كرامة فلمـا أكرم الله نبيـه ﷺ وهو كـرامة بـالغة، حصـل له فيهـا الدنـو من ربه، والقرب والرؤية التي لم يبلغها غيره.

فـوصفه بـالعبـودية في هـذا القـام حتى لا تغلو فيـه أمتـه غلو النصـرانيـة واليهودية، وأحوج ما يكون العبد الى التـواضع لعـظمة ربـه، أقرب مـا يكون من معارج قربه، فأخوف ما يكون العبد يوماً من الإبعاد أقرب ما يكون.

سؤال

ما الحكمة في جعل المعراج بالليل دون النهار؟

الجواب

إن الليل أفرغ للقلب، وأجمع للهمم، وأهيأ للوصل، وأنظم للشمل.

* * *

ظُلمة الليل للتّواصل أهنى   من ضياء النَّهار عند المُحبِّ
وصْلهم سرّهم وما أحوج السِّر   إلى ستره بسخف الحجب

* * *

سؤال

ما الحكمة في أنه قال: ﴿ **لنريه من آياتنا** ﴾ ولم يقل: (لنسمعه)؟

الجواب

له وجهين:

● الوجه الاول: أن الآيات هي الأعاجيب. وأكثر أعاجيب المعراج كانت من المرئيات لا المسموعات، كسدرة المنتهى، وفراش الذهب، والنهرين الباطنين والظاهرين، وغير ذلك من عوالم الملكوت.

● الوجه الثاني: أن المعراج كان فيه رؤية وجه الله تعالى، وهي أخص فؤائده[1].

---

(١) راجع اختلاف السلف في رؤية النبي ﷺ لربه يوم الإسراء في كتاب التوحيد لابن خزيمة (١٢٩ - ١٥٠).
وشرح العقيدة الطحاوية بتحقيق أحمد شاكر ص ١٣٤.

قال: ﴿ لنريه ﴾، ولم يقل (لنسمعه)، إشارة إلى أخص فوائد ليلة الإسراء، لأنه أرى فيها وأسمع، لكن كان النظر إلى الله سبحانه أخص من قسم المرئيات دون المسموعات، فرجح جانب المنظور بذلك، فخصص بالذكر لذلك.

سؤال

لماذا أضرب عن ذكر نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ربه في هذه الآية؟

الجواب

كلما عظم الأمر استحق الستر، كما قال بعضهم:

* * *

أَغـارُ عليـه إن صـرَّح باسمـه ... فكيف إذا ما لاَحَ يوماً جمالُـهُ
ويطْوِيـهِ قلبي عن لساني صيانـةً ... وكل نَفِيسٍ لا يليقُ ابتذالُـهُ

* * *

سؤال

ما وجه ذكر السمع والبصر دون غيرهما من الأوصاف في آخر هذه الآية؟

الجواب

إن كان السميع البصير رسول الله ﷺ، فلولا صحة سمعه، ونفوذ بصره، لم يكن أهلاً أن يتلى على سمعه ما يتلى، ويجلى على بصره ما يجلى. وان كان السميع البصير هو الله تعالى، فلولا أنه سميع لأقوال عباده، بصير بأعمال خلقه، لما اختص بالاسراء إلى كريم حضرته رجلا واحداً من جميع بريته، الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

* * *

اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ خلقه من أرضه وسمائه
فإذا رأيتَ الله خَصَّصَ واحداً منهم فلا تسْلُك سبيل عناده
أفِيضُوا بنا في ذكر المُنْعم فما مزيدُ الخيرُ إلّا في شكره
وأعيدوا علينا ذكر اسمه فما لذّة العيش إلا في ذكره

* * *

من تهجروهُ فما لَهُ في هجره من راحة إلا إدامة ذكره
هَبْ أنّه بالعين ليس يراكُمُ الذكر يجلُو حُسنكم في سرِّه
تُرْوَى له أخبارُكم فيراكم منها فيهدأ من لواعج صدره
وإذا ترنَّمَ باسمك داعي النَّوى لمحبِّكم أطْفَى تَلَهُّب حره

* * *

إذا هتف باسم الحبيب لأسماع المحبين، رأيت منهم المكروبين، ومنهم المرتاحين. أما المرتاحين فتلوح لهم من الذكر لوائح التلاق. وأما المكروبين فتهيج منهم لواعج الأشواق؛ وكل منهم في شرع الغرام معذور، وربما اجتمع الأمران في وقت واحد للصف المهجور.

* * *

حبّكم جنّتي وناري قد عِيلَ[1] من ثقله اصطباري
ذكرُكم تحدث ارتياحاً طوراً وطوراً لهيب ناري
والصِّبا ما بين ذا وهذا مُقَلْقَلٌ عادِمِ القراري
عليكمُ منّي بُكَايَ إليكمُ منِّي فراري
وحقّكم لا سلَوْت عنكم ما جَرَتْ الفُلْك في البحاري

(١) «عيل» قلَّ.

مـا لـي شـفـيـعٌ إلـى عُـلاَكُـم ... أنـجـح مـن أدْمُـعـي الـغِـزاري

فـإن وَصَـلْتُـمْ فـوا انْـجِـبـاريَ ... وإن هَـجَـرْتُمْ فـوا انـكـسـاري

* * *

صِدْقُ لسان المحب في طلب وصال محبوبه، هو الذي أوصله إلى مطلوبه.

وكل محب طرد إلى الباب، فإنما أبعده المحب عن الجناب، لأنه في دعوى المحبة كذاب.

المحبة لازمة لأهل المعرفة، والشوق لازم لأهل المحبة، والانزعاج لازم لأهل الشوق؛ فلما تكامل لرسول الله ﷺ الشوق، تكامل له الانزعاج. فقد أدركته رأفة الحبيب بليلة المعراج، فما زال جبريل يسلك به السبل ويقطع به الفجاج، حتى سقى من عذب فرات الوصل ما لا يشوبه أجاج. كل سكر يذهب العقل على الناس حرام، غير أهل الحب فالسكر لا يرام. يا نديمي قم فقد دارت على الشرب المدام، دارت الكاسات أقداحاً وأقوام نيام، لو دروا ما فاتهم ما راق للعين المنام، بابي شهم جسور ما حد قوم همام، يؤثر النار على النار إذا ما يستضام، لم يزل في السير حتى نال أمراً لا يرام، جدّ حتى أبعد الله. والسلام.

المجلس الحادي والعشرون

في الجهاد وأهميته

الحمد لله الذي جعل جهاد النفس والعدو فرضاً واجباً، وديناً واصباً، فما من مسلم عاقل إلا وهو يعلم أن مجاهدة نفسه وعدوه حق واجب عليه، فهو يرجو رحمة ربه ببذل نفسه، ويرغب فيما لديه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن جاهد بين يديه. تبارك الذي أحكم مباني دينه لعباده المؤمنين، وجعل الاسلام رأسه، والصلاة عموده، والجهاد ذروة سنامه؛ فانتظمت بذلك أحكام شرائع الدين. فمن أسلم لربه فقد استمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين، ومن اقام الصلاة لذكره فقد أخذ مركزه من صفوف العارفين، ومن جاهد في سبيله فليتبوأ مقعده من مائة درجة أعدت للمتقين المجاهدين.

كانت الجنة للإنسان وقت عافيته كالبستان، يسرح فيها حيث يشاء، وجعلت الأرض له وقت مرضه كالمارستان[1] يلتمس فيه الشفاء، ولا شفاء إلا بدواء، وكل دواء إلى المريض بغيض.

فعالجوا أنفسكم من معضلات أدوائها، بدوام جهاد أعداء الله وأعدائها، لقد تخصص الجهاد على سائر القرب ببذل النفس للعطب، في موطن يتميز فيه

---

(١) بالفارسية تعني المستشفى.

الخزف من الجوهر والنحاس من الذهب.

* * *

حتى متى أنت في لهوٍ وفي لعِب تُمسي وتُصبح في عَزْفٍ وفي طرب
انْهدْ بجيشٍ من الأعداء مُنتَصف وانْهض بعزمٍ إلى العلياء مُنتدب
واظْعن عن الوطن المألوف مغترباً لا يبلغ المجد إلا كل مُغْترب
جزائِرُ الهند فيها العُودُ كالحطبِ وحين غربته يُبتاع بالذَّهب
كم ذا الرُّقاد على ظهر المِهَادِ وقد مدَّ الحِمَامُ[1] إليكم كف مستلب
يحكموا فيكم وفي بلادكم فالنَّسل للبنين والأموال للسَّلب
يا لَهْف نفسي على قومٍ لهم هِممٌ تعلو على قِمَمِ الأفلاك والشهب
يَسْتَنْقِذُون الأسَارَى من عدوُّهم لضَعْفِ أمٍّ لهم مَحْزُون وأب
والله لو أن سلطاناً يفرِّجها كنا نسمِّيه الفَرَّاج للسَّرب

* * *

أين أصحاب النفوس الأبية؟ أين أصحاب الأنفة الحمية؟ أوفوا بالعهد القديم، وارغبوا في الأجر العظيم، وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله هو السميع العليم.

قولوا لأهل الهمم العليّة، كيف يرضون بالحطّة الدنية. تنبهوا من رقدة الغافلين، وتأهبوا لمرافقة الصالحين، وإذا عزمتم فتوكلوا على الله، إن الله يحب المتوكلين.

المتهجدين لله بالليل هم حماة الإسلام، وثناؤهم على الله مفاتيح دار السلام. يبيتون يراوحون بين الحياة والاقدام، والناس على فرشهم نيام. فأهل

---

(١) «الحِمَام» الموت.

العبادة بيننا كالمقاتلين عن المنهزمين، بهم يدفع الله العذاب عن العاصين، ويحرس العباد والبلاد من جيوش الكافرين ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾[1].

ينبغي على العازم على الدخول في أولياء الله أن يكون شحيحاً[2] ضعيفاً قويًّا مطيعاً عصيًّا، يطيع داعي الله في العبادة والتقى، ويعصي داعي النفس إلى اتباع الهوى، ويقوى على مجاهدة النفس والشيطان، ويضعف عن متابعة هواه في ركوب المعاصي، ويشح بدينه وعرضه وحسناته،ويسخوبترك الدنيا الشاغلة عن طاعة الله وطلب مرضاته؛ فإن الحسنة إذا طلب بها وجه الله تصير التمرة كالجبل العظيم ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾[3]، ألا منفق لله من فضل يوفى عظيم الأجر من فضل ماله.

* * *

ألا مُوقنٌ مرضاة مولاه	مُخلصٌ عبادته في قصده وفِعَالِه
يعامل مولاه بإخلاص فيه	ويرغبُ في مَعْرُوفه ونوالِهِ

* * *

من بخل عن الإنفاق في سبيل الله فإنما يبخل عن نفسه، ومن لم يقدس روحه بالأعمال المرضية لله لم يدخل في أهل قدسه، ومن لم يستوحش من كل ما يشغله عن الله لم يصر من أهل أنسه، ومن قصَّر في خدمة الله جنى ثمر

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥١.

(٢) سقطت هنا كلمة « سخياً » والله أعلم.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦١.

تقصيره وقت حلول رمسه، حين لا يحصد حاصد إلا ما زرعه ولا يجني جانٍ إلا من غرسه. كيف تُقبل من المقصّرين الأعذار وقد بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار؟ فإياكم أن تفرّوا من العدوّ، فكم قد كسا الفرار أهله من لباس العار، أما سمعتم كلام من اختص بكلامه صفيه المختار ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار** ﴾[1]، لو صرت مجاهداً وقت مطالبة النفس ومحاربة الشيطان لرأيت من نصر الله العجب، ولكنك انقلبت يوم الفرار إلى حياة الخزي والعار فبئست الحياة وبئس المنقلب، ربحت الخزف والحجر وخسرت الجوهر والذهب. أما سمعت كلام العزيز الغفار: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار** ﴾، رضيت بالحياة الدنيا من الآخرة، وخسرت الصفقة الرابحة، وربحت الصفقة الخاسرة. كيف طابت نفسك أن تكون ظهيراً لفئة النفس على فئة القلب، وفئة القلب مؤمنة وفئة النفس كافرة؟ كيف اخترت لنفسك أن يقال: جبان فرار، أما سمعت كلام من له العزة والاقتدار ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار** ﴾.

* * *

العينُ منها الدُّموع تَنْهمر ... والحزنُ بادٍ والقلب مُنكسر
والدَّيْن والمُلك قد يضيع من ... ركبهما ما يعمى به البصر
ليس العجيب يُعمى العيون وقد ... نظرت أمراً يَعْمَى به البصر
المُلْك تدعِّمه الحراب فلا ... يبقى عليه التحدي ولا يذر
في كل قُطر زاحفة نارٍ ... فلا سَدُّوا لها شرر
أين توَّجهت قد رأيت ... من البلاء مالا يطيقُه البشر
ما لِجُنودِ الإسلامِ قد زحفُوا ... هل يدفَعُ الموت منهم الحذر
ما لجميع الإسلام ما خرجُوا ... إلى الجهاد الذي أمروا

---

(١) سورة الأنفال الآية ١٥.

مَالي أرى المُذْنبين ما فَرغوا　　مالي أرى الرَّاقدين ما سهروا
مالي أَرَى الجاهلين ما عَرفو　　مالي أرى العارفين ما اعتبروا
كيف يلذُّ الْكَرَى وقد　　طرقت بلادنا النائباتُ والعبرُ
والربُّ غضبانٌ والعصاةُ ما كانوا　　فلا استغيثوا ولا هم اعتذروا
فاستغفرُوا الله من صغائركم　　وعن ركوب الكبائر اذدجروا
وانتظروا الغوث من مراحمه　　ما خاب قومٌ لغوثه انتظروا

* * *

إن مما قضى الله علينا في محكم كتابه من أنباء أنبيائه، ونصرة أوليائه على أعدائه، ما يثبت الفؤاد، وينبه من الرقاد، قوله تعالى: ﴿ **وإذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين** ﴾[1].

لما حرص الكليم على تحريض قومه على جهاد الأعداء، ذكرهم بما لله عليهم من النعماء، حيث يأنفون على أنفسهم من الهوان بعد الإكرام، ومن ظهور عبدة الأصنام على ملة الإسلام، فقال: ﴿ **يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم** ﴾ فكأنه يقول: أما يأنف من أكرمه الله بالشريعة النبوية أن يجبن من جهاد أعدائه، وقد استولوا على دياره وأبنائه؟ وهل يرضى بهذا لنفسه من له أنف؟ كلا والله، ما رضي بالهوان كريم، ولا استسلم للأعداء إلا لئيم.

* * *

ألا شهمٌ فتًى كريم　　له رأيٌ سديد مستقيم
له في كل ناحيةٍ رقيبٌ　　على أعدائه وهم هجوم
متى سمع العدوُّ له بذكر　　عَراهُ الذُّل والخزي المقيم

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٠.

ومن يكلِ هـذا فعليه طيـرٌ	بنصـر رجالـه أبـداً يحـوم
وإلا فَلْيَنَـمْ حتـى يـوافي	عـدوٌ وصيده الكسـل النؤوم

* * *

قوله: ﴿ وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ﴾ يعني: من عالمي ذلك الزمان. ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ قال ابن عباس: هي الطور وما حوله. وقال قتادة: الشام. وقيل: أريحاء. وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن. و ﴿ المقدسة ﴾: أي المطهرة المباركة. وقوله: ﴿ كتب الله لكم ﴾ أي: أوجب لكم. ﴿ ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾[1] أي: لا ترجعوا مدبرين إلى ورائكم فتنصرفوا خائبين.

﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين ﴾ كل من لا تكون خشية الله أغلب عليه من خشية الخلق، ملأ الله قلبه مما سواه رعباً، وجعل كل شيء يخافه ربًّا.

﴿ وإنا لن يدخلها حتى خرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾[2] لما جنبوا عن القتال أحالوا على المحال، وهو طريق من طرق الضلال، لا بارك الله في رجال قد سلكوا سبل الضلال.

* * *

لا أَهْـل كنّا في يـوم حربٍ	ولا فُحُـولٌ يـوم القتـال
قـد قنعُـوا مـن حُطام دُنياً	بطيـب عيـنٍ وجمـع مـال
فـلا بـدَّ يَدنُـون من حـريمٍ	ولا يُحـامُـون مـن عيـالْ
لكـن قـومـي إذا دعـاهُـمْ	داعٍ إلـى الحـرب والنّـزالْ
طـارُوا إليـه علـى مُتُـون	الجيـاد بـالـذَّيـل العـوالْ

(١) سورة المائدة الآية ٢١.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٢.

فَتَاهُمُ عَاشِقُ المعالي وكلُّهم للحياة سالي
جزاهُمُ الله كلَّ خير في كل وقتٍ وكل حالي

* * *

﴿ **قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون** ﴾[1].

ما بين العبد وبين النصر إلا أن يوطن نفسه على الصبر. أمروا بالدخول من الباب على عدوهم، وضمن لهم النصر عقيب دخولهم؛ فلو تلقوا أمر ربهم بالسمع والإطاعة، لم يحولهم إلى الصبر إلاّ ساعة.

فلا قرّت عيون الجبناء، ماذا فاتهم من النصر والعلاء، لو وطّنوا نفوسهم على صبر ساعة يوم اللقاء.

* * *

من غَدِيري من معشر جُبناء ما وفُوا بالعُهُود يوم اللّقاء
إنما المُلْك والغنيمةُ والأجرُ وقهرُ العِداء وحُسن الثّناء
لفتًى صَابَرَ العدوَّ فوافى حين وخز الرِّماح في الأحشاء
إن أردت الثَّواب والمُلْكَ فاصبر ساعة الموت تحت خَفْق اللّواء

* * *

﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾[2] في هذه الآية دليل على أن من ولّى وقت الزحف فليس له نصيب في التوكل، وفيها دليل على أن من لا توكل له

(١) سورة المائدة الآية ٢٣.
(٢) سورة المائدة الآية ٢٣.

فلا إيمان له. لأن المعنى: إن كنتم مؤمنين فتوكلوا، وإن كنتم متوكلين فاثبتوا. فمفهومها: إن لم تثبتوا فما أنتم متوكلين، وإن لم تتوكلوا فما أنتم مؤمنين. أي: لا يتم إيمانكم إلا بالتوكل، ولا يصدق توكلكم إلا بالثبات، قالوا: يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، جرى فألهُم على ألسنتهم حين قالوا: ﴿ **إنا لن ندخلها أبداً** ﴾ فلم يدخلوها لأن الله حرّمها عليهم. وهذا جزاء كل من لا يتقبل النعم بالشكر، أي يحال بينه وبينها بلون سواد، به آخر العهد منها.

* * *

الذنْبُ لي فيما ابتُليتُ به	من راحةٍ نُقِلَتْ إلى تعب
ورقادُ عينٍ عاد لي سهراً	ومواهبٌ حالت إلى سلب
وفراقُ أحباب نعمت بهم	وبقربهم في سالف الحُقَب
ما كنتُ أعرفُ قدر ما بذلوا	حتى ابتليت بكف مستلب
هذا جزاءُ مقابلٍ نعماً	بدلت له إساءة الأدب
ما زال في لهوٍ وفي لعب	حتى دَعَا بالوَيْل والحرب

* * *

﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾ [1] هذا كلام قوم جاهلين بالحكمة في سنة الجهاد، لأن الجهاد شرع للمؤمنين تمحيصاً للسيئات، ورفعة في الدرجات؛ فإذا كان المقاتل غيرك فكيف تحصل لك هذه الفوائد: في قوله تعالى: ﴿ **ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ [2] فمن كان في إحراز هذه الخيرات طامعاً فليكن إلى جهاد نفسه

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٤.

(٢) سورة محمد الآية ٤.

وعدوه مسارعاً.

* * *

إن كنت في نَيْـل السعـادة طـامعـاً فـانهض إلى حمل السـلاح مسارعَـا
واركب جـواد العـزم واحْمِــدْ حملهُ البـطل الحْلاَجِـلَ حـاسـراً أو داعيَـا
واصبـرْ على مضض الجلاد مُـرامياً ومــطاعنــاً ومســائفــاً ومقــارعــا
واصــدقْ عـدوّك في لقـائـك سـاعـةً لم تَلْقَ مثـل الصّـدق شيئـاً قـاطعــا
واغْشَ السيوف في نَحْر وجهِكَ وقت ما يحمى الـوغى والْقِ الرّمـام شـوارعـا
لا تـجــزعـنَّ ولــو قُـتِـلْتَ فــإنــه لـم يبـلغ العُـليـا من يَـكُ جــازع
وتــرجَّ إحــدى الـحُسـنيـن شهــادة تحصنــك أو نصـراً لمجــدك رافعـا

﴿ قــال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فــافــرق بـيننــا وبيـن القــوم الفـاسقين ﴾ [١] تبرأ مـوسى عليه السـلام إلى ربه من عصيـان قومـه، فعذره الله تعالى، وأخبره بما هو معجل لهم العقاب مع حرمان الثواب: ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنـة يتيهـون في الأرض فــلا تـأس على القــوم الفـاسقين ﴾ [٢] فصـرفوا عنهـا أذلة صـاغرين، ودخلوا في التيـه فلم يخـرج منهم أحـد حتى أتى المــوت عليهم أجمعين؛ حتى إن مـوسى وهــارون كــانــا في التيــه من جملة المتيهين، ولم يدخل الأرض المقدسة من ذلـك الحين أحد منهم، وهـم ستمـائة ألف، فيهم الأنبيـاء والمرسلين والأوليـاء والنساء والأطفـال، عمهم جميعـاً شـوم العاصين، رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، فانقلبوا بالصفقة الخاسرة، فما ربحت تجارتهم، وما كانوا مهتدين.

* * *

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٥.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٦.

لا تبيعوا الدُّر بالخَزَف ليس هذا فعل مُعْترف
واركبوا الأخطار في طلب المجد والعيـاء والشّرف
فاطلبوا الثَّأر الذي لكم عند أهل الجُورِ والخيف
أو فُكُّوا حُرْمةً قنعتْ بلزوم البيت والعلف

* * *

من كان مع الله كان الله معه، ومن تكبر على الله وضعه، ومن تواضع لله رفعه، ومن استودع الله دينه ونفسه حفظه عليه حتى يؤدي إلى الله ما استودعه.

فكونوا بالله في ضمانه واثقين، وإلى الله فيما عنده راغبين ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ [1].

* * *

قل للذين آمنوا بزلهم كونوا مع الايمان عاملينا
إذا أتاكم مُنادٍ من ربّكم فلا تكونوا عنه معرضينا
قولُوا سمعنا وأطعنا واحـ ـذروا أن تصبحوا لله مُسخِطينا
من خالفَ الله فقد أسخطه فلا تكونُنَّ مُسْخَطينا
وجاهدُوا أعداءكم فإنهم قد أصبحوا لكم مُعاندينا
إيّاكم والظلم فيما بينكم فقلَّ ما يُنصر ظالمونا
واخلصوا نيّاتكم فالإخلاص أقـ ـوى ما به في الحرب تنصرونا
ووّطنوا النّفس على الصبر ولو قُتلتم بالصبر أجمعونا
فموتُنا ولا نرى عدوّنا يسْـ ـتأسرُ البنات والبنينا
كم استباحوا حرماً ممتنعاً كم هتكوا محجباً مصونا

(١) سورة التوبة الآية ٣٦.

كم غـرّبـوا مستـوطنـاً عن داره   وكـم أخـافـوا بـلداً أمـينـا
كم أفقـروا ذا ثـروةٍ من مـالـه   حتى غدا مُستعطيـاً مسكينا
نستغفـرُ الله ذنـوبـاً سلّطت   أعـداءنـا وطَـمَّعـتهـم فيـنـا
عسى الـذي أعلىٰ العدوّ فـوقـ   ـنـا عليهم من بعـدهـا يعلينـا

* * *

اللهم.. يا خير الغافرين اغفر لنا ذنوبنا؛ اللهم.. يا خير الراحمين ارحمنا في كل شيء من نعمك علينا؛ اللهم.. يا خير الرازقين ارزقنا رضاك عنا ولطفك بنا؛ اللهم.. يا خير الفاتحين افتح بيننا وبين القوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القـوم الكافـرين؛ اللهم.. يا خيـر الناصـرين انصرنـا على من عادانـا، واردد لنا الكرّة عليهم، وكن لنا عليهم ظهيراً، وامدد لنا بأموال وبنين واجعلنا أكثر نفيراً.

من كان مع الله بـالإخلاص والصـدق كان الله معـه بالتـأييد والنصـر، ومن اعتقد أن لا حول ولا قوة إلا بالله أنزل الله عليه السكينـة والصبر، ومن علم أن لا ناصر إلا الله لم يكله إلى أحد في شيء من الأمر.

وّطنوا أنفسكم على الصبر والثبات فضل ساعة، وابذلوا في مصـابرة العـدو ما في وسعكم من الاستـطاعـة، واحـذروا أن تقـدمـوا على ربكم وأنتم لفـرائضـه مضيعون، وفي أداء أمانتـه عندكم مفـرطون ﴿ **يـا أيها الـذين آمنوا لا تخـونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[1].

* * *

نَقْضُ العهود على الكِرام حرام   قومٌ عليهم للوفاء ذمام
فإذا لَقُوا صَدَقُوا العدوّ وكيف   لهم أصول في اللّقاء كرام

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٧.

ولهم عيونٌ لا تنام عن العِدَى من يطلب الأعداء كيف ينام

أَصْلُوا نفسهم نفيراً لملتقى وعلى حياضٍ منه حاموا

شهروا الصَّوارِمَ[1] في الوغى من غمدها وبغيرها فات العدى ما ساموا

شربوا وأسقوا كأس حتفٍ[2] جرّدت لهم العدوّ فَلاَحَ منه عظام

حَامَ العدُوّ وحَادَ يوم لقائهم وهم غداة المُلتقى ما حاموا

ما زال إلّا أنّ دين عدوّهم كُفر ودينهم هو الإسلام

قد أيقنُوا أن الفناءَ مصيرَ دُنيا هم ولو دامت لهم ما داموا

من كلِّ شهمٍ ماجدٍ صلى الوغى والوجه أبيض ما علاه قتام

ركبوا رضا المولى وجنّات العلى فأنالهم من فضله ما راموا

ما زال يبذلُ نفسهُ في الذّبِّ عن دين النبي كأنه الضِّرغام

حتى سقى الأقوام كأس حِمَامِهم وسقاه كأس حِمامه الأقرام

لقى الحِمَامَ ويا سعادة مُسلم يلقاه في ذات الإلٰه حِمَامُ

نال الشهادة والسعادة وانثنى والعِرْضُ أبيض ما عليه ملام

ما كل من رَامَ السعادة نالها إنّ السَّعادة والشقاء أقسام

سبق القضاءُ بما هو كائنٌ طُوِيَ الكتابُ وجّفت الأقلام

* * *

اللهم . . بدوام غناك عن كل شيء سواك، ارحم دوام افتقارنا إليك، ولا تجعل استغاثتنا بشيء دونك، وكما خلقتنا لعبادتك وفقنا لما له خلقتنا، وكما ضمنت لنا أرزاقنا فاجعلنا بضمانك واثقين، وكما أنزلت علينا كتابك، وبعثت إلينا رسولك، فاجعلنا بكتابك عاملين، ولرسولك متابعين، ترى حضرنا مع من يحسن السماع، فلينتقل عما هو مستمر عليه من زمان الرضاع، من سوء العادة

(١) «الصوارم» السويف.

(٢) «حتف» الحتف الهلاك.

وفساد الطباع، وأداء من أهدى إليه النصح قبله وانفتح به حق الانتفاع.

* * *

هــل من أَخٍ وَجْـدٍ أطـارحُـه ... مـا لم أزل لغَفْيـه من بعــدي
مــا زلتُ أكتُم مــا بُليـتُ بــه ... حتى عجـزتُ فقلت ما عنـدي
أنــا مـن ملوك كــان مـلكهـم ... يعلو مـلوك الصـين والــهنـد
كــان العـدوُّ يخـاف غَـائِلتي ... ويفـرُّ من ظـلّي على بــعـد
فقلت عن تحـصين ممـلكتـي ... تـبـاعــد الأُمــراء والـجـنـد
فَغَــزَانِيَ الأعـداءُ فـانتـزعــوا ... منّي البـلاد وأخْـربُــوا مجـدي

* * *

أمـرني ربي بما فيـه إصلاح شـأني، ونهاني عمـا فيه هـواني وخسراني، فعصيت ربي وأطعت شيطاني، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابني ويدهاكم ما دهاني.

* * *

كنتُ في قربهم بكل نعيم ... لا أُبالي طوارق الحدثان
فسقاني العَدُوُّ كأس اغترارٍ ... ليتني مِتُّ من قبل ما قد سقاني
غَرَّني باستمالـة النفس للشهوة ... حتى بحبّها أغراني
شدّ وَسْطي منه بحبلِ غرورٍ ... ثم في حفرة الرّدى دلاني
والحسيب الرّقيب ينظرُ ما أصنعُ ... حيث لا أراهُ ولا يراني
حين مددتُ يدي إلى شهوة النـ ... ـفس التي قبل ذاك عنها نهاني
طار تاجُ الملك الذي كنتُ تُوِّجْتُ ... وأُخرجت من قُصور الجنان
فاندبوا مَصْرَعي ونُوحُوا عليه ... واحذروا بأن يَدْهَاكُمْ ما دهاني

* * *

ألا رجل كريم الطباع، يعزم عزمة البطل الشجاع، يوطن نفسه على صبر شناعة، ويبذل في غسل عاره بأخذ ثأره حميد الاستطاعة، ويكف ألسنة الشامتين به عن هذه الشناعة، فلقد سمع بمصيبتنا مع عدونا سامع الإنس والجن إلى قيام الساعة، وهذا جزاء من سلك طريق المعصية وتنكب طريق الطاعة.

* * *

يا ويحَ من نزل العدوُّ	به فلم يملك نزاعه
فأزاحهُ عن أرضهِ حتى	لقد أخْلَى رباعه
وسبَى الحريمَ بعد أن	بلغ الفضيحة منه باعه
من كل وجهٍ مصونةٍ	كالبدر قد هتكوا أقناعه
أين الحميَّة والأبيَّة	والشَّهامة والشَّجاعة

* * *

كل قربة تتقرب بها إلى ربك هي قلعة من قلاع دينك، والعدو مجتهد في كل وقت وعلى كل حال في حصار قلاعك بالرجال والحبال، فكل طاعة يفسدها عليك فهي حصن من حصون دينك، انتزعه من بدنك، وأنت من استيلائه على حصونك تقول لا بأس عليّ ما دمت آكل وأشرب وأجيء وأذهب، وهل البأس ألا تكون هارباً من عدوك في كل مهرب، قد ضيق عليك كل مذهب، وكدر كل مشرب؟ كلما ضربت معه رأساً كان عليك أظهر ولك أغلب.

* * *

شرِّقُوا وغرِّبُوا ما	من الموت مَهْرب
كيف ينجُو المطلوبُ	بالسَّير والله يطلب
ويموت تحت السيوف	كراماً أو تغلبوا
ما الرأيّ بقاء غير	أن تستعدُّوا وتغضبوا
إن هذا الفرارَ عارٌ	وله الرب يغضب

فــاثـبـتــوا فـي صـفــوفـكـم — فــقــبـيــحٌ أن تــهــربــوا
كــم جــديــد قــد أَخْــلَقُــوا — كَـمْ مـشـيّــد قــد أُخــربــوا
والــعــدوُّ الــمــخــذول يــد — نــو إلــيــنــا ويُــقــربُ
والــسَّــبــابــا غَــدَتْ يُــنَــا — حُ عــلــيــهــا ويُــنــدب
كــم أســيــر لَــدَيْــهــم — وعــلــى الــوجــه يُــضــرب
كــان بــالأمــس ســالــبــاً — فــهــو الــيــومُ يــســلــب
لــهــف نــفسٍ عــلى حــرا — ئــر تُــســبــى وتُــنــهــب
يــا أُسُــودَ الــورى اغــضــبــوا — يــا جــنــود الــوَغَــى اركــبــوا
واغسلوا الْـعَــارَ واطـلبُــوا الــ — ــثَّــأْر تَــعْــلُــوا وتَــغْــلِبــوا

* * *

وأملوا الله إن آمله لا يخيب؛ اللهم آونا إليك، ودلّنا عليك، واجعل راحتنا عند لقائك، ورغبتنا فيما لديك، وضاعف صلواتك على عبدك ورسولك محمد وآله، وسائر عبادك الصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

* * *

---

(١) «مُقتَّد» المقتّد: شجر له شوك.

(٢) لا أدري ما علاقة هذا بالقصيدة.

المجلس الثانـي والعشرون

أهل الإيمان واليقين والتقى

عبـاد الله . . تـأهبـوا للعـرض على الملك الـديّـان، واستبغضـوا من هـذه السِّنة[1] فما أدرك النار وسنان. أيها العبد العاجز الفقيـر. . أطلب من باب الغني القدير، تبتل لسؤاله، وتعرض لنواله، فلو أنالك قطرة من بحار أفضاله، لأصبحت مما لا يخطر خوف الفقر على باله.

* * *

ألا نَاهضٍ في خيلهِ ورجالهِ بعزمة لَيْثِ الغابِ يوم نزالهِ

لحرب عدوٍّ قد تملّك أرض بإذلاله وزاهٍ بعد دلالهِ

ألم تعلموا أن العدوَّ سَبَاكُمُ وأوثقكم في قَدِّه وحبالهِ

وقد كنتمُوا في العزِّ والمجد لنا جوار كريمٍ غافرٍ بنوالهِ

فأخرجكُمْ منها العدُوُّ بكيده وصرتم إلى إنْكالِهِ ونكالهِ

فضُجُّوا إلى البرّ الرّحيم يُمدُّكم بنصرٍ على المخذُول يوم قتالهِ

وعوذوا من الشَّيطان بالله إنه سميعٌ عليمٌ فارغبوا في سؤالهِ

* * *

(١) السنة: بكسر السين وجفة نون مفتوحة. هي النوم الخفيف.

بــابٌ

أيهـا العبـد المقهـور المضيم، استعـذ بـالله السميـع العليم، ولا تنس في ابتداء كل أمر: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾، فإن أنت لم تجـد لبركـة اسم الله أثـراً ظاهـراً في جميع الأمـور، فاعلم أنـك مقصـر عنـد التّسميـة في الإخـلاص والحضور.

ذكـر اسم الله في ابتداء الأقـوال والأفعال، أُنسـة من الوحشـة وهـدايـة من الضلال. وحمده تعالى فرض لازم لكل أحد على كل حال، لأنه أهل أن يحمـد إن ابتلى وإن عـافى وإن منـع وإن أنـال، عم بفضله النسـاء والـرجـال والكهـول والأطفال، ولطف في قدره وقضائه بأهل أرضه وسمائه، فلم يخل من لطفه سافل ولا عال.

يا من لا تمتد الأيدي بالرغبة والمسألة إلا إليـه، يا من لا يُعـوَّل في كشف شدائد الدنيا والآخرة إلا عليه، يا من كل الرغائب لديه، والمـواهب لديـه، ليس لضرنا سواك كاشف، ولا على ضعفنا سواك عاطف: المعافى من عافيته، فعـافنا من موجبات سخطك وعقابك. والمهديّ من هديته، فاهدنا سبيل الـواصلين إلى جنابك.

بروح الإيمان بالله: تحيا القلوب من مـوت غفلاتهـا، وينوِّر مصبـاح اليقين مستضيء الأرواح في ظلماتها. وبالتداوي: يُداوَى بدواء التقوى فتخلص النفوس من آفاتها.

فمتى أردت أن تعرف عناية الله بعباده المؤمنين، وبماذا أنعم الله على أهل التقوى واليقين، فاتل أربع آيات من سورة البقرة(١)، لتعلم أن خيرة خلق الله من جميع العالمين: أهل الإيمان واليقين والتقى، الذين ارتقوا من معـارج النور كـل مرتقى، وحصلوا على النعيم، وتخلصوا من طول البقاء في دار الشقاء.

---

(١) أولها.

من خرج من دار الكفر إلى حظيرة الإيمان، فقد أُخرج من الظلمات إلى النور؛ لأن الكافر جاحد كاند، والمؤمن معترف شكور، والشاكر بالمزيد موعور، والكاند على الباب مطرود؛ فطوبى لمؤمن وويل للكفور، وماذا عليه لو آمن بربه؟ فكيف وقد ختم على سمعه وقلبه من قوم لهم قلوب بها لا يفقهون، ولهم آذان بها لا يسمعون، إن وُعظوا بما فيه نفعهم لا ينتفعون، وإن تركوا بسوء حالهم فهم عن غيِّهم لا يرجعون ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾[1]، حال بينهم وبين الإيمان سر القدر، ولله الحجة البالغة، فلو شاء لهداهم أجمعين فكيف يعذر من ما عُذِر.

بالعدل عذّب ربنا من عذّب، وبالفضل غفر لمن عفر، تفضل على قوم فوجههم إلى الجنة، وعدل على قوم فعدل بهم إلى سقر.

فلو اجتهد أهل السماء والأرض لم يقدروا نفعهم، وكيف يعطيهم الخلق وقد حكم الخالق بمنعهم، ﴿ **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾[2].

إياك والنفاق، فالمنافق لربه مخادع. ولا تطمع في الخلاص بغير إخلاص، فالطمع سراب خادع.

ربما نفع الرياء في الدنيا ولكنه في الآخرة ضار لا نافع. أهل الإخلاص على طريق من سلكها فقد اهتدى، وأهل الضلال قوم لا يرجعون عن الضلال إلى الهدى، لا يحذرون مصارع السوء ولا يخافون عواقب الردى.

لقد ضرب الله للفريقين في كتابه الأمثال ولم يتركهم سُدى: فأما أهل الحق فصبروا عليه ـ وأما أهل الباطل فطال عليهم المدى.

لأولي الأبصار تضرب الأمثال، وسماع من لا روح فيه محال.

* * *

---

(١) سورة البقرة الآية ٦.

(٢) سورة البقرة الآية ٧.

أين ركْبُ المخاطر في السَّرى لم تُثْنِهِ عن عَزْمه الأهوال
الله مولانا ومالكُ رِزقنا ما بالنا لرضاه لا نحتال
في حُبِّه يحلو العذاب وتُركب الأخطار والدَّمع المصون يزال
وعليه يُسخى بالنفوس وتُنفق الأعمار والأرواح والأموال
يا سائلي عن نَبْل عَالِيَ وصله أَصْدِق وكيف علمت كيف تنال
وأعطى العواذل في هواهُ فليس في شرع الغرام مُطاوع العذال

* * *

لما خلق الله الخلق ادعوا محبته كلهم، فأذاقهم من رحمته شيئاً من حظوظ النفوس، فلم يثبت معه منهم شيء إلا قليل، واشتغل الأكثرون بالنعمة عن المنعم؛ ثم صب على الباقين البلاء والمحنة، فاشتغل الأكثرون بالبلاء عن المبلي؛ ثم امتحن البقية الباقية بالعبادة الموصلة إلى الوصل فأقلهم من يمضي بذلك الحمد.

ليس بُدٌّ للمخلوق من أن يكون خالق، لأن العبودية لكل من سوى الله وصف لازم لا يجد فيه بُدًّا.

فمن كان على عبادة الله عاكفاً لم يجعله الله لغيره عبداً، ولا بغير بابه واقفاً. ومن تكبر عن عبادة مولاه ابتلاه بعبادة من سواه، حتى فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، كان بعبادة غير الله مبتلاً، ولهذا قال الملأ من قوم فرعون: أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، ويذرك وآلهتك[1]، لما تكبر عن عبادة الحق، وادعى أنه إله لجميع الخلق، ابتلاه الله بعبادة الأصنام على وجه الاهانة والإرغام.

---

(١) الأعراف ١٢٧. قال ابن كثير: قرأ بعضهم: ويذرك وإلا هتك أي عبادتك وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره قلت معناه: أي يتركون عبادتك فقد كان فرعون في قومه إلاه يعبد من دون الله.

فاعبدوا الخالق معتقكم عن عبادة المخلوق، وابتغوا عند الله الرزق فكل من سواه من فضله مرزوق.

أيها العبد. . إن كنت بربك مؤمناً فتحقق بالإيمان بالله، وكن في عبادته وإلى عبادته محسناً، وتدبر أمثال القرآن، فقد ضرب الله للناس فيه من كل مثل.

إنما فائدة ضرب المثل: ظهور ما خفي من حسنٍ أو قبيحٍ في وصف أو عمل.

ضرب الله سبحانه في كتابه المثل « بالحمار » لعالِمٍ أقبل بلسانه على دراسة العلوم ثم أعرض بقلبه عنها، و « بالكلب » لعالم أتاه آياته فانسلخ منها، و « بالحجارة » لقساة القلوب، و « بالأنعام » لمن همه في المأكول والمشروب، و « بالعنكبوت » في ضعف من اشتد في عبادة المخلوق مثله، و « بالذباب » في عجز الأوثان عن استنقاذ ما سلبه بغيه أو علق برجله.

لو علم المخلوق قدر نعمة الخالق عليه، لو علم المرزوق بعض إحسان الرازق إليه، ولو لم يكن إلا نطق لسانه وشفتيه وسمع أذنيه ونظر عينيه وبطش يديه وسعي رجليه إذاً يسجد لله سجدة شكر لم يرفع رأسه منها إلى يوم الوقوف بين يديه.

فكيف وأنتم عن ذكره وشكره غافلون؟ بل أكثركم لأمره مخالفون، يدعوكم إليه وأنتم فارّون، ويأمركم أن تؤمنوا به وأنتم فريق منكم بربهم كافرون، ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** ﴾[1]، غذّاكم في ظلمات الأحشاء كما يغذي الثمر في الأغصان، ثم أخركم من الظلمات إلى ضوء الفضاء وسعة الأوطان، ثم وعدكم أن ينقلكم من عتمة شقوة الدنيا إلى روح نعيم الجنان. كم أنتم بلقائه لا توقنون، ولنعمته لا تشكرون، ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه**

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨.

ترجعون ﴾، كنتم أمواتاً في أصلاب الآباء فأحياكم في بطون الأمهات، ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد هذا الممات لجزاء يوم الميقات، وهو للمتقين يوم العيد الأعظم، ولكنه على عصاة حسرات، ثم يرجعكم إليه ويبيحكم النظر إلى وجهه الكريم، ويذيقكم من رحمته لعلكم تشكرون، ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون، **﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾**.

* * *

نِعَمٌ ترادَفَ إِثْرها نِعَمٌ ... هذا هو الإفصال والإكرامُ

غَمَرَتْ أيادِيه بريقهُ ... فأَنَارَ منها العربُ والعجمُ

أترى سَلكنا برحمته ... داراً يدوم لأهلها النعمُ

* * *

اللهم بلغنا برحمتك دار كرامتك برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

المجلس الثالـث والعشرون

تفسير سورة القدر

الحمـد لله. . الذي لـه مقاليـد السموات والأرض، وبيـده النفـع والضـر، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، إن أسـررنا فهـو يعلم السر، وإن جهرنـا فهو يعلم الجهـر، وإن استرزقنـا فهو يبسط الـرزق، وإن استنصرنا فهو ينزل النصر، أرسل إلينـا رسولاً جبـر منا كـل كسر، وأغنى منّـا كل فقر، وأنزل علينا كتاباً شرح منّا به كل صدر، ورفع به منّا كل قـدر، شرع لنـا فيه حج البيت الحرام، وصيام شهر الصبر.

فسبحـان من خص من شـاء من خلقــه بمـا شــاء من فضله، لا يعـارض معارض في حكمه، ولا يسأله سائل عن فعله، جميع العالمين بتسخيره مذللون، ولتقديره مسخرون، ﴿ **لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون** ﴾[1].

* * *

كيف السبيلُ إلى سعادةِ من ... حَكَمَ القضاءُ بأنّه يشقى
من كانت الأقدار تُهبطه ... هيهات يطمع أنه يرقى
كيف البقاء وقد جرى قلمٌ ... في اللَّوح أن الخلق لا يبقى

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٣.

كل الذي سبق القضاء به حَتْمُ الوقوع وكائنٌ حقّا
فاصْبِرْ لحكم الله وارْض به ما قد قضى لا بد أن يلقى

* * *

بـــابٌ

تبارك الذي جرت بالسوابق أقلامه، ومضت في الخلائق أحكامه، وأوضح طريق الخير والشر، أمره ونهيه وحلاله وحرامه.

أحمده حمداً يتصل به أحنانه، ويتم به إنعامه. وأشكره شكراً يفوق دوام السموات والأرض روامه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لو باشرت القلب انجلى واستنار ظلامه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أكمل الله ببعثه دين الإسلام، وأتم بشرعه معالم الحلال والحرام، فاستمر للدين كماله، واستقر من الشرع تمامه؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة باقية ببقاء الدهر وبعدما تفنى لياليه وأيامه، خصوصاً على خليفته: الإمام أبي بكر الصديق الذي رجّحَ موازين الأمة ميزانه، وسبق اسلامهم إسلامه. وعلى فاروقه: الإمام عمر بن الخطاب الذي ما زالت أيام الإسلام به زاهرة، وشرائع الدين ظاهرة، إلى أن فجعنا به حِمامُه. وعلى ذي النورين: عثمان بن عفان، الذي كتب القرآن، وأرسله إلى أمصار الإسلام، فلا تصح الصلاة إلا بما احتوى عليه إمامه. وعلى أبي السبطين: الإمام علي بن أبي طالب، الذي أفحم القائلين كلامه، وهزم الضالين إقدامه. وعلى سائر الآل والأصحاب، ومن اتبعهم بإحسان على منهاج السنة والكتاب، حتى لا يبقى أحد من حزب الله إلى يوم المآب، إلا تغمده من العزيز الوهاب: صلاته وتشريفه وإكرامه.

اللهم. . واهد ثواب ما نتلوه من كتابك العزيز إلى أمواتنا وأموات المسلمين[1].

اللهم. . نور بالقرآن ظلماتهم، وضاعف بثواب القرآن حسناتهم، وارحمنا فيما بقي من أعمارنا، وإذا صرنا إلى ما صاروا إليه أكرم نُزُلنا يوم القدوم عليك، يا أكرم من تُقدم الوفود عليه. افعل اللهم ما سألناك من الخير بنا وبسائر المسلمين، واحشرنا وإياهم في زمرة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

هذا مجلس عقدته قدرة العزيز الرحيم.

لله علينا باجتماعنا فيه خيراً كثيراً وفضل عظيم، لأنه مجلس عقد لذكر الله وذكر الآية، لم يحضره إن شاء الله إلا من هو وليّ الله أو محب لأوليائه.

فاجعلوا شكر نعمة الله عليكم فما يهديه من الهدى في هذا المجلس إليكم، أن تحضروا بالقلوب كما أنتم بالأبدان حاضرون، وتكونوا عاملين بما أنتم له سامعون، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون.

ـ تفسير سورة القدر ـ

نستنزل رحمة الجليل، بتفسير شيء من التنزيل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر** ﴾[2].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم كان الله ينزله على رسوله نجوما بعضه في إثر بعض،

(١) راجع المسألة وصول ثواب قراءة القرآن للميت. مسلم بشرح النووي (١/ ٨٩، ٩٠).
(٢) سورة القدْر.

فذلك قوله: ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾[1]. وقيل: بل كان في كل سنة يستنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ما تحتاج إليه الأمة في تلك السنة، فيكتبه السفرة في هذه الليلة. كما قال تعالى: ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾.

وإنما سميت هذه الليلة ليلة القدر: لأن الله تعالى يقدر فيها أمر السنة إلى السنة الأخرى أحكام بلاده وعباده، وكذلك عظّم الله قدرها بقوله: ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ تعجيباً لنبيه ﷺ من جلال قدرها. ثم نبّه على شرفها وفضلها فقال: ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ قال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر.

ثم قال تعالى: ﴿ **تنزّل الملائكة والروح فيها** ﴾ الروح: هو جبريل عليه السلام، يهبط جبريل والملائكة إلى ارض القدر بإذن ربهم. أي بأمره ينزلون، كما قال تعالى عن الملائكة: ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾.

قوله: ﴿ **من كل أمر** ﴾ أي ينزلون بكل أمر من الخير والبركة لصُوَّم شهر رمضان.

وفي قوله: ﴿ **سلام هي** ﴾ أمران: ـ أحدهما أنها ليلة سليمة من كل آفة وعاهة وبلاء وفتنة حتى مطلع الفجر، أي إلى مطلع فجرها. ـ الثاني: ان الملائكة إذا مرّوا بمؤمن أو مؤمنة في الصلاة سلّموا عليه من ربه، يقولون: سلام عليك يا مؤمن تصيب كذا وكذا من الخير. يخبرونه بما سيلقى في سنته، حتى يقولوا له: وأنت متزوج فلانة. ولا يسلمون على مدمن خمرٍ ولا ساحر ولا كاهن ولا مُصرٍّ على الزنا.

---

(١) ذكره ابن كثير في نهاية تفسيره في كتاب فضائل القرآن وقال: هذا اسناد صحيح. وله شاهد في البخاري من حديث ابن عباس أيضاً في كتاب فضائل القرآن وأخرج الحاكم في المستدرك (٢٢٢/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه في الأرض شيئاً أحدثه.

فطوبى لعبد وفق لموجبات الرحمة، ورزق عزائم الغفران، واستمر على فعل الخير إلى حين الخاتمة ومفارقة الشيطان.

اليوم: سوق الآخرة كاسد، وسوق الدنيا في نفاق. فلهذا عمل الدنيا علينا سهل وعمل الآخرة شاق، فإذا تجلى من أمر الآخرة ما هو اليوم مستور عن الخلائق، تمنينا أن أيام الحياة كانت كلها صياماً وقياماً، وودنا لم يعط من الدنيا إلا ما كان لا بد أن يكون قواما.

فاستهينوا اليوم بركوب الأهوال، في الحصول على الوصول إلى إحراز الوصال، قبل أن يفرط الأمر، ويزجر البحر، ويخرب القصر، ويعمر القبر، ويكاد المُقَام أن يكون على جمرة، وحسرة أحر من الجمرة، ويسكر سكر ندامة لا سكر خمرة.

* * *

لَهْفَ عُمري على انقضاء العُمر	في ذنوبٍ أَنْقض الوِزْر ظهري
استهل الشّهر الشّريف فيمضي	من حياتي وما انتفعت بشهري
أيها الحائزُ الوصال هنِيًّا أنا	ما ذُقت غير طعم الهجر
ما مُرادي إلا وِصَال حبيبي	ليلة الوَصْل منه ليلة قَدْرِ
مَنْ سفيري إليه في كشف ضري	مَنْ شفيعي إليه في جبر كسرى
لذّذ السمع يا سميري بذكر	اسم حبيبي فذكره روح سرّي
قل وخذ مُهجتي جزاك منّي	بسم الله يجلو هموم قلبي وصدري
قَاسِمُهُ راحتي ورُوحي وأُنسي	في حياتي وفي مماتي ونشري

* * *

اسم الحبيب الأول، اسم من ليس غيره يُعوَّل. كل ما نحن فيه من بعض ما خَوَّل، ما سلا عن حبه إلا من قد استحوذ الشيطان على قلبه.

* * *

يـا من عليـه في الخُـطوب مِعَـوَلُ وبـه إليـه تَشَفُّعي وتـوسُّـلي
عـذلـوا عليـك وفي الفؤاد صَبَـارٌ يلهى المسـامـع عن كـلام العُـذَّل
قـالـوا هـواهُ قـاتـلٌ فـأجبتهم لا رأي لي في الحب إن لم أُقتـل
يـا من يُحب سـوى الجـواد لمحسن البَّـر الـرِّحيم المُنْعم المتفضـل
فقـل فؤادك حيث شئت من الهـوى مـا الحبُّ إلا للحـبيـب الأوّل

* * *

أما القلوب فموقوفة عليه، وأما الأرواح فمرتاحة إليه؛ وأوصلوا الصـوم عما سواه، لتحرزوا منه الوصال، ولا ترى ليلة العيد إلا ليلة الانتقال.

لا يزال وليّ الله من صومـه عما ألهى عن الله مـوثقاً في القيـود، فإذا مـات استهل هلال العيد واستطلع طالع السعود.

* * *

ما العبد عندي سوى وصالٌ لوفيتي روعه الصدود
إن نِلْتُ ممن أُحبُ وصلاً فذلك اليوم يوم عيدي

* * *

الصائمون ثلاثة، والمعيّدون ثلاثة:

ـ صائم عن المفطرات المتناولة للبطون والفروج. ومعيّد إذا أذن شهر صيامه بالخروج.

ـ وصائم عن المحرمات المحظورة في الكتاب والسنة. ومعيّد إن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

ـ وصائم عن كل ما ألهاه عن مولاه. ومعيّد إذا قـدم عليه تلقـاه برضـاه وتجلا لـه حتى يراه.

فصم هذا الصوم بهذه النية، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نواه.

* * *

صمتُ دهري عن كل شي سواكم	وجعلت التَّعْييد يومَ أراكم
ليس سُؤْلي سوى رضاكم	فمُنُّوا يا أحبتي برضاكم
لا نعيمَ إلا نعيمَ هواكم	كما لا عذاب إلا عذاب قِلاكم
أنا مستشفعٌ إليكم بذُلّي	وخضوعي لعزِّكم وغلاكم
بكم وقد حلَّفتُ لا زلتُ في	السَّير مُجدًّا حتى أَحُلَّ حماكم
ولو أنّي أطعتُ أغمضتُ عيني	عن جميع الوجود حتى تراكم
إن أَنَلْ وَصْلَكُمْ بالفضل منكم	أو أُمُتْ في هواكم فِداكم

* * *

من كان في الله مماته، كان بالله حياته. ومن كان في الله هلاكه، كان الله نجاته. فوجهوا الوجوه إليه، واذبحوا النفوس عليه، ولا تؤملوا راحة دون لقائه، ولا تمدوا أيديكم إلى غير عطائه.

فكل من لا يجبره الله فهو كسير، وكل من لا يغنيه الله فهو فقير.

لا تنال الفضل إلا مِنْ جود مَنْ كل الورى مِنْ فضل جوده سائل، إلى نَدَاه فقير.

كم له من عتقاء صاروا من ملوك الآخرة، بعدما كان في قبضة السعير السيد أسير. يا فقر من لم يحصل على الغنى من فضله، ذاك الذي مات عطشان وهو وسط غدير.

اطلبوا حياة القلوب من موت الذنوب، واحيوا ما بقي من لياليكم في خدمة علّام الغيوب. واغتنموا عمراً باقيه لا يبقى، وماضيه لا يؤوب، يا من قد شاب

وهو بالذنوب مشوب، يا غيبة احتوت على كل غيوب، بادر، فالشمس قد تدلت للغروب، والعمر كالثلج كلما جاءت يذوب.

غرس الله كرامة أوليائه، ثم ختم عليها، فلا أُذُن سمعت بها ولا عينٌ نظرت إليها. فإذا كان يوم الجزاء فُضّت تلك الخُتُوم، وظهر السر المكتوم، فندم أهل التقصير حين لا ينفع الندم، ونادى منادي الكرم: سيعلم أهل الجمع اليوم، من أولى بالكرم، إنهم المتقون، وما أدراك ما هم؟ هم الذين تركوا في مرضاة الله مشتهاهم، وخالفوا في موافقة الحق هواهم. فلو قيل لهم: تمنوا. لكان القرب مناهم. ولو قيل لهم: ترقّوا لكان إلى الحضرة مرتقاهم.

أولئك الذين أنعم الله عليهم وأرضاهم، لأنه لم يفقدهم حيث أمرهم، ولم يرهم حيث نهاهم.

جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمرتهم، وبلّغنا مناهم.

* * *

المجلس الرابع والعشرون

طلب الوصال

الحمد لله المستمر الدوام والبقاء، وهو أهل الحمد والشكر والمدح والثناء هو الرب الواحد وكل من سواه مربوب، ليس لعاقل من دونه معبود، ولا لعارف غيره محبوب، خَلَق الخلق ليربحوا عليه، ثم شرع لهم ما يقربهم به إليه، ويحظيهم به لديه.

فالصلاة نورهم، والصوم طهورهم؛ فمن أقام الصلاة، وأدام الصيام، فقد حصل له بربه الاتصال، وتم عليه منه الإنعام؛ ومن لا صلاة له ولا صيام، فهو أضل سبيلاً من بهيمة الأنعام، نصبت له موائد الكرم، فلم يجلس مع الكرام الذين أخمصوا بطونهم من فضول الطعام، وأصمتوا ألسنتهم عن لاغيات الكلام، وفرّغوا قلوبهم للمناجاة في جنح الظلام، فارتقوا إلى ذروة الرزق، وسقط غيرهم في مهول الحرام.

* * *

مسّني الضُّر من ركوبِ ذنوبٍ أثقلتني بالوِزْرِ والآثام
كم زمان معظَّم فيه تُرجى توبة من ركوب ذنبٍ حرام
ثم يمضي يومي وشهري وعامي وسقامي كما عهدت سقامي
خادمُ الله لا يملُّ من الخدمة حتى يُسقى بكأس الحِمَامِ

* * *

يا من أفرح لهم الهجر قلبه، قم إلى طلب الوصال.

ويا من قد أثقل الأوزار ظهره، اطرح عنك هذه الأثقال.

راجع المعهود، وراع العهود، واغسل بحلاوة الوصل مرارة الصدود.

* * *

أقبلَ الوصلُ حين ولَّى الصُّدود فربيعُ الأفراح غَضٌّ جديد

ورواقُ الإقبال والعزِّ والبهجة والأنس فوقتنا ممدود

وقميصُ الهجران والصدِّ والإعـ ـراض والبَيْن والقِلَى مقْدُود

قُمْ فقد أُنجز لك يا مسكين من تحت تلك الوعود

كاد عَوْدُ الوِصال يُنسى فعاد ألماً فيه وأخضر ذاك العود

وانقضت دولة الشقاء والحزن وأوفى سرورنا السُّعود

إن تُوفي الأيادي وتُوفي بوعود البُشْرى وترعى العهود

إحذر الطَّرد بعد ذا الصُّلح ما في كل وقت يُصالَحُ المطرود

تُب إلى الله من ذُنوبك في وقتك هذا فالوقتُ وقتٌ سعيد

لا تُعِدْ الذنوب فالنَّكْسُ[1] في الإسقام بعد الإبْراء منها شديد

* * *

هذا وقت توبة المصرّين، وتشمير المعصّرين، وإقبال المعرضين، وانتباه الغافلين.

فأذيبوا شحوم الشبع بنار الجوع، واتشحوا بمشقة السهر راحة الهجوع، وقللوا حضور الأشواق اللعينة، واعتزلوا الشواغل الملهية، وأشركوا صلحاء الفقراء في طعامكم، وضموا الأرامل والأيتام إلى عيالكم، وأطيبوا المطاعم،

(١) النكس: بالفتح والضم مع سكون الكاف أي عودة المرض إلى المريض بعد شفائه منه.

وصونوا الجوارح، ونزّهوا النفوس، وطهروا القلوب، والزموا الطاعة، وعانقوا القناعة، وأديموا العبادة، وأكثروا الذكر، وأقلوا اللغو، وأنزلوا أنفسكم بقية العمر بمنزلة مريض بحمى، أياماً قليلة رجا عافية الدهر، أو بمنزلة كسير يحتمل مشقة الرباط ليحصل له الجبر.

* * *

قد أطلتم صدِّي وطرْدي وهجْري ... فمتى تَجْبرون بالوصل كسري
مسني الضر مذ هجرتم ومالي ... غيركم من أرجوه يكشف ضري
كم بُعادٍ وجَفوةٍ وصُدودٍ قد ... فَنى في البعاد والهجر بعدي
طال عنكم بالبُعد صَوْمي فمتى ... تغربُ شمس النَّوى ويحضُر فطري
يوم عيدي إذا انقضى الهجرُ عنّي ... أماليلة الوَصْل فهي ليلة قدري
آهٍ واقْبح تفريطي في سا ... عتي ويومي وعامي وشهري
من مجيري من الذُّنوب فقد ... أُلبس وجهي شيئاً وانقضَّ ظهري
كلما تُبتُ قد نقضت فما ... أخوفني أن أزور قبري بوزري
عند ربِّ الخير الكثير ... ولكني حُرمتُ الخير لشرّي
ربِّ جُد لي برحمة تغسل العار ... وتمحو وِزْرِي وتُصلح أمري

* * *

من عرف الله بالرحمة رجاه، ومن عرفه بالانتقام فحق له أن يخشاه، ومن عرفه بما هو أهله من كمال الجمال انشرح برحيق هواه عن رجائه وخوفه حتى يلقاه.

* * *

أصُوم لوجهه عمّا سواه ... فلا إفطار لي حتى أراه
وأحمي مُنْية الدارين قلبي ... فمالي فيه إلا رضاه

وكل هوًى يميل إليه صب | علَيّ محرمٌ إلا هواه
أوالي من يواليه بجهدي | ولست بخاضع لسوى علاه
ولست بطالبٍ لسوى يَدَيه | ولست بخاضع لسوى عُلاه
أرجى القربُ منه وهو معطٍ | يُبلِّغ كلّ ذي أملٍ مُناه

* * *

الأوقات الشراف مواسم الأشراف، يعرفون لها جلال قدرها، ويرغبون إلى الله في عظيم تزيد العامل نشاطاً في العمل، وتطلق العاطل من عقال الكسل.

فأقيموا في هذه الأوقات المباركة دين الله حق الإقامة، ولا تهتموا بتحصيل الغنيمة إلا بعد احراز السلامة، فإن فاعل الخير غانم، وتارك الشر سالم، والعاقل هو الذي تهمه سلامته من المعاطب، قبل أن يهمه تحصيل المكاسب.

فردوا المظالم إلى المظلومين، قبل أن تتصدقوا على الفقراء والمساكين. واجعلوا عنايتكم بأوامر المفروضات والواجبات، مقدمة على التطوع بالنوافل والمستحبات. وصونوا بطونكم عن المكوس والغضوب، قبل أن تصونوها عن المأكول والمشروب. وامسكوا ألسنتكم عن الكلام القبيح، وأطلقوها بالتهليل والتسبيح. فإنما ينتفع المريض بشرب الدواء، بعد الحمية من أسباب الداء.

فأما أهل التخليط على نفوسهم في أمر أبدانهم وأديانهم فهيهات أن يقوم ربحهم بخسرانهم.

* * *

أُسِّس الدين بالتُّقَا يرتقي كل مرتقى | إنما ينفع الدواء إذا صادف التُّقَا
كلما قلت قد مضى زمنُ الصَّبر والشَّقا | عُدْتُ في سجلّ سوء حالي باليد مُوثقا
مذ غبتُ عن مُقلتي دمعها قطرهُ أرقا | ارحموا مُذْنِفاً يذوب عليكم تشوُّقَا

صومُهُ مدّه الفراق أتى ساعة اللقـ ـاء عيده يوم يُصبح العود بالوصل مُورقا

* * *

العاصي لا يزداد بطول الحياة إلا مقتاً وطرداً، وكل صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر لا تزيد العبد من الله إلا بعداً.

ما عَدَلَ من خلقه الله ورزقه ثم صار لغير خالقه ورازقه عبداً، يوجب بمخالفته مقتاً، ويطمع أن ينال ودًّا، ﴿ **أطّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً** ﴾[1].

أكْذَبُ الرجاء رجاء أهل الإساءة، وأسوأ الجزاء جزاء أهل المعصية، وأمقت الخلق إلى الله عبدٌ مسيء في عمله، معجب بنفسه.

من صام وأفطر على الحرام فلا صام ولا أفطر، ومن حج بنفقة من حرام لم ينظر الله إليه ولا إلى حجه.

اجتهد أن تتوب قبل أن تموت، فما أعسر خلاص من لقي الله مصرًّا على ذنبه.

إذا لم يتيسر لك ترك جميع الذنوب فاترك الكبائر والمظالم، فإن الصلاة والصيام والاستغفار تكفر ما سوى ذلك من المأثم.

إذا عاملت ربك بأمرين كفاك ما سواهما: الاسلام، والتوبة. فإن أضفت إليهما التمسك بالسنة فأنت من ملوك الجنة، فإن رزقت مع ذلك الذكر الكثير الخالص فأنت من ملوك أهل الحضرة.

نافسوا في اقتناء النفائس، فإنما يجني أحدكم ما هو اليوم غارس. كم من فارس اليوم وهو غداً راحل، وكم من راحل اليوم وهو غداً فارس.

---

(١) سورة مريم الآية ٧٨.

لا إلـه إلا الله، شارع الشـرع بحكمته. لا إلـه إلا الله، مجـازي العـاملين بجنته. لا إله إلا الله، مخصص العارفين بحضرته.

لا إله إلا الله، غامر الخلق برحمته.

الـذين أسهروا لـه العيون، وأخمصـوا له البـطون، فهم طول دهـرهم عما سواه صائمون، وفي مسجد الخلوة عليه عاكفون.

جعلوا مـدة الحياة صـومهم، ليكون المـوت عيدهم. وقنعـوا أيام العـاجلة بالخَلِق، ليلبسوا في الآخرة جديدهم. فلما أنجـزوا لله من أنفسهـم وعوده، أنجـز لهم من نفسـه وعوده. فـآوى طريـدهم، وأدنى بعيدهم، وعـوضهم من شقـائهم سعوده. أنهم قد جعلوا أنفسهم عبيده، فجعل الولدان المخلدون عبيدهم.

من كـان لله عبداً فـذاك مولاه المـوالي، ومن تـولاه أضحى على الخليقـة والي.

* * *

وَلَّى عن الكون لما وَالَى الجنابُ العالي ... يـا فوْزَ عبـدٍ له الـرّبُ مُكرِمٌ ومُـوالي

قد حلّ من قُرب مولاه بساميات المعالي ... ونال من طِيبِ وصل الحبيب كل منالي

مُسَـرْبَـلاً بسَــرَابِـلِ العــزِّ والإقبـال ... لا يخطر الخوف من غير الله منه ببالي

يا حَسْرتا ضاع عمري فَحَالَ بالبُعد حالي ... كم ذا تَشُـوفُ نفسي بصالـح الأعمال

وإلى متى أتـرجّى بلوغ أمـرٍ محـالي ... لا يُبْلَغُ المجـد إلا بالشَّـدّ والترحـال

والزّهد في دار دنيا قد آذنتْ بـزوالي ... والصوم حتى يكون التَّعْيِيدُ يوم وصالي

* * *

جميع الطاعات والعبادات التي يتقرب بها إلى الله المتقربون، لهـا شريعـة يرويها الناقلون. وحقيقة يفقههـا العارفـون. ولا شريعـة ولا حقيقة إلا وهي فيمـا

جاءنا به عن الله المرسلون. فمن عمل بالظاهر المعتاد، وأهمل الباطن المراد، فليس هو من أولي الألباب؛ لأنه اشتغل بالقشر عن اللباب.

رب قائم ليس من قيامه إلا السهر والتعب، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ والتعب، فأمّنوا إلى ظاهر الشريعة باطن الحقيقة، واسلكوا مع السالكين إلى الله أحمد الطريقة، وافطموا هذه النفوس عن سوء الرضاع، فإنما شرعت لكم الطاعات لنقلكم عن رديء الطباع.

إلى متى أكلاً وشرباً ونوماً؟ فقد آن أن تذيبوا شحوم الراحة والشبع صلاة وصوماً؛ فكل ما أنتم فيه عما قليل زائل، ولو كان دائماً لا يزول فما هو بطائل، ولا له حاصل.

أين أنتم عن مخاوف البر الرحيم في جنات النعيم؟ أين أنتم من لذة المناجاة إذا أرخى سدوله الليل البهيم؟ يا لها لذة ما ذاقها إلا ذو فطنٍ هضيم، وقلب سليم ﴿ **وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾[(١)].

عبادتان مؤكدتان في عبادة الإسلام: إحداهما ـ الصلاة. والأخرى ـ الصيام. ومن أدمن فعلهما غفرت له الإساءة، وضمن له الإحسان، وسُلِك في محجة الإيمان إلى دار الإيمان.

إنما كان الصوم والصلاة موجبين لغفران الذنوب لما فيهما من تطهير النفوس وإصلاح القلوب، فالصوم يجلو عن مرآة الباطن، والصلاة يجلى فيها ما هو من الشر كامن.

فيا خيبة المحجوبين ماذا فاتهم من المشاهدة؟ لأنهم رضوا أن يبيتوا وبطونهم ملأى وعيونهم راقدة، ليلهم أضغاث أحلام، ونهارهم لغو الكلام وكسب الحطام، فهيهات أن يذوقوا من حلاوة مناجاة الله ما ذاق أهل الصلاة

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٥.

والصيام.

* * *

لـو أدمتُمْ عما سـواه الصِّيـامـا ... وأطلتُم جُنـح الـظلام القيـامـا
وأقمتُـم في الـصّـلاة لـه فَـطَوْراً ... رُكَّعـاً سُـجَّـداً وطَـوْراً قيـامـا
لـوجـدتم لـذَاذَةً لم يـذُقْها مُستلذًّا ... إلا الـمـلوك الـكـرامـا
حُمْ على مـا حـامـوا عليـه عسى ... تُكتب ممّن على المكـارم حـامـا
دُمْ على السَّيـر مُـدنِفـاً وصحيحـاً ... لم يصـل غير من على السَّير داما
قُمْ على البـاب خـاضعـاً وذليـلاً ... لم يلج غيـر من على البـاب رامـا
أم ذاك الـحِمَى المنيـع تـصيـر ... في خيـرٍ لـلمتّـقيـن إمـامـا
صُـمْ عـن الـغَـبَـائِـر إنّـمـا ... ذاق طعم العيد من عن غير الأحبة صاما
حـام عن ذلـك المجـد الأثيـل ... فلا ماجد إلا الذي عن المجد حاما
لائـمي كـف وكيـف أصـفـى ... وفي القلب من الوجد ما يذود الملاما
أنـا إن هـمـتُ فـي هـواهُ فـكـم ... مـن ذي حِجَـى في هـواهُ هـامـا

* * *

لـو درى المطرود مـا فـاتـه، ومن أين للمـطرود أن يـدري، لـذرف دمـوع الأسف حتى تظل على الخدود تجري، سرت الركاب إلى وصال الأحباب وركابه لا تسري، ما شرى نفسه ابتغاء مرضـاة الله ومن الناس من يشرى.

* * *

عِيـلَ في حُـبِّـك صبـري ... وتـحـيّـرتُ بـأمـري
أطلب الـوصـل فـلا أُعْـطَى ... سـوى صـدٍّ وهـجـري
مسّني الـضّـر وفـي قـدره ... حـتـى كـشـف ضُـري

لـيـلة أنـظر فـيـهـا وجـهـه لـيـلة قـدري
جـبـرونـي بـوصـال طـال بـالهجـران كـسـرى

* * *

اللهم اجبر كسرنا، واكشف ضرّنا، يا كريم يا رحيم.

* * *



مواعظ



موعظة في انتظار الفَرَج

اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، أنت وحدك صاحب الأمر وإليك المنتهى.

فمن ذا يرجو سواك، أو يخشى لك الآخرة والأولى، وبيدك مفاتيح الرحمة والهدى، من حصل له منك الرضا فأولئك لهم الدرجات العلى، ومن يحلل عليه غضبك فقد هوى، فأمه هاوية لظى.

المعافي من عافيت، والمبتلي من ابتليت، والحكم ما حكمت، والقضاء ما قضيت.

كل معبود سوى وجهك الكريم باطل، وكل مُلْكٍ سوى مُلكك الكبير زائل، وكل ظل سوى ظلك الظليل قالص، وكل فضل سوى فضلك العظيم ناقص.

سبحانك وبحمدك كما ينبغي لعز جلالك ورفيع مجدك، سبحانك وبحمدك عدد نعمك ومدد رفدك، بيدك البسط والقبض، ولك مقاليد السموات والأرض. الرضا منك أهم الهمم، والرضا عنك فرض الفرض.

اللهم فارزقنا الرضا منك، ووفقنا للرضى عنك، ولك الحمد على كل الأحوال وفي جميع الأحيان وبكل المستعان وأنت المستعان وعليك التكلان،

فمن أكرمته فهو المكرم، ومن أهنته فهو المهان، ومن خذلته فهو المخذول، ومن أعنته فهو المعان. لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض، الحنّان المنّان. حنانيك يا حنّان، يا من ببابه لقاصده مما يخاف أمان، مكاني وحالي أنت تعلمه، وهل على الرب يخفى حالة ومكان.

* * *

إذا لم تَجُدْلي أنت من ذا يَجُودُ لي ... إذا لم تَعِنِّي أنت كيف أُعان
إذا لم تُحِطْنِي أنت من ذا يَحُوطُني ... إذا لم تَصُنِّي أنت كيف أُصان
أتيتُك أشكو من عُدْوانهم ... على كل ما خَوَّلْتنيه أُخان
حسِبْتُهم عَوْني فلم أرَ ... سوى أن على النَّائبات أعانوا
قَريني ونَفْسِي ثم دُنْيَايَ والهوى ... ظَنْنتم لما زَامنين فَشَانوا
وقد كان عنِّي الغشُّ منهم معيباً ... فها قد بدا لي اليوم فهو عَيَان
إلى متى كم أَنَا بَيْن العِدَى وإلى ... متى أُضَامُ على المدى وأُهان
عسى فرجٌ من راحمٍ بملابسٍ ... من الدّين والتقوى من أدان
فمن وفّق الرحمن فهو مُوفّقٌ ... ومن يُعن الرحمن فهو مُعان

* * *

واعلم أنه كأن لم تكن شدة إذا كان بعدها فرج، وما أطيب حلاوة التوسعة إذ يشتدُّ الحرج، لا تعرج في شدائدك على غير باب الله فما على غير باب الله مُنْفَرَج، ولا تستغث بسوى العزيز الرحيم عند إحاطة الكرب العظيم، فهو المنجي من الهلاك والمنقذ من اللَّجَج.

ما أعز جناب من احتمى بجنابه، وما أوثق أسباب من تمسّك بأسبابه، ذاق طعم الذل من وقف على غير بابه، وتاه في أودية الضلال من استهدى بغير كتابه.

الحمد على ما أنعم به من كتابه المستبين، وصراطه المستقيم، ونسأله

تمام نعمته في إقامة دينه المتين، ومتابعة رسوله الكريم، كان ﷺ يأمر بالرجوع إلى الله تعالى في كل حال، لعلمه بأن الرجوع إلى غيره ضلال، وأن ليس من سواه إلا خيبة الآمال وفاسد المآل.

* * *

في غير وُجودكَ خابت الآمال | ورجا رحمة من سواك محال
وسلوك كل الطرق في طلب الغنى | إلا طريقك حيرة وضلال
فإذا رضيت فكلٍ نارٍ جنة | والمرُّ حلوٌ والصدود وصال
وإذا غَضِبْتَ فكلٍّ نور ظلمة | والرِّبح خُسرٌ والنعيم وبال
هبْ لي رضاك فما أُبالي بعده | إن نِلْتَه أن لا أنال منال

* * *

أيها العبد المخلوق في كبد، استعن بالله وعليه استند، فنعم العون ونعم المستند، ولا تعتمد على أحدٍ سواه، فما في الوجود إلا إياه، من عليه يُعتمد.

واصمد في حوائجك إليه، فهو الله الصمد؛ كم فرج من كرب، وكم ثقف من وادٍ، وكم نظر إلى ذي شقوة فأسعده إلى الأبد.

* * *

يا من علاهُ الحزنُ والكمدُ | وامتدَّ في مكروهه الأَمَدُ
وغدا إماماً في الشَّقاء | فما في عِظم بَلائِه أحد
أقصدُ لِضُرِّك باب مُقتدرٍ | ما خاب وفْدٌ في بابه قصدوا
قُلْ يا مفرّج كلّ ضائقة وعليه | دون الخلق يُعتمد
يا من إذا ضاقت مذاهبنا | فإليه في التَّفريج يُسند
ها قد صمدت إليك مُلتمسا | فرجي وأنت الواحد الصَّمد

* * *

إذا أردت أن تعرف بعض ما لله أهله من تفريج الكروب، وإغاثة الملهوف والمكروب، فتذكر ما كنت فيه في ضائقة الأحشاء، إذ لا تبطش مع من يبطش، ولا تمشي مع من مشى مسجوناً في أضيق السجون، لا تشعر بما يكون وما لا يكون قد جمع بطنك، وساقاك إلى فخذيك، وخررت بذقنك على ركبتيك، مربوطاً بالرُّبط اللوازم، مقموطاً في قمط المشائم، لا تعرف الليل من النهار، ولا تفرق بين الغائب والحاضر، مكتوف اليد والرجل والسمع والبصر، لا تستوحش لمن غاب ولا تستأنس ممن حضر.

يخلق خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث، ليس لك إلى غير الله ملجأ، ولا من دون الله مستعان، فبينا أنت في تلك الضائقة والحرج، لا يقدر أبواك ولا غيرهما على توسعة ولا فرج، إذ أرسل الله إليك من ملائكته الألطاف من حل عنك تلك الروابط، وقطع عنك ذلك الكتاف، ثم دبّرك وأنزلك من لطفه بما لا تهتدي العقول إلى وصفه، فإذا أنت في سعة القضاء بعد ضيق تلك الأحشاء محفوفا مرحوماً بأنواع الأرزاق من الأجانب والأقرباء، هذا يلقي عليك ناعم الثياب، وهذا يسقيك بارد الشراب، مخدوماً محفوفاً مرحوماً مكنوناً فيما اشتهت نفسك من لبن لم يتغير طعمه، بقدرة الخالق دروره، وعند الرزاق علمه.

حتى إذا تمت نعمة الله عليك في تمام نشأتك، وَبَلَغْتَ النهضة والمعرفة لا بحولك ولا بقوتك، تحملت من الهموم، وعلّقت لغير كرم الله آمالاً، وتخيرتك في شدائدك من ذا تعول، ولا ترجع إلى صانعك فيما نابك ولا تهتدي إليه، كأنك كنت المدبّر لنفسك في أطوار الأرحام والأصلاب.

جدِّد إيمانك، فقد ارتبت بضمان خالقك، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب.

اللهم . . اهدنا، ولا تضلنا، يا أرحم الراحمين.

* * *

موعظة في ذمِّ الملاهي

الحمد لله الذي لم يجعل لعباده التَّحاب في غير مرضاته، تعجب الناس من دوام إقبالهم على الله وهم يرون الإعراض عنه عجباً، أدّبهم الله بمعالم دينه فأحسنوا في معاملته أدباً.

فإن أردت الوصول إلى ما وصلوا بسلوكهم إليه، فأقبل على ما أقبلوا عليه، وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، كيف يلهو من الموت بناصيته معقود، ثم بعد الموت ظلمات الضرائح وضيق اللحود، ومن ورائه برزخ إلى الوقت المعلوم واليوم الموعود؛ ثم إن نجا، فبعدكم ينجو؟ والسحق في نار الخلود، فاستعد لذلك كله استعداداً صادقاً لا زوراً ولا كذباً وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

هب أنك لهوت في زمن الشباب، وعُذرت في سهوك وأوقات غفلتك، فما عذرك اليوم في اللهو؟ قد زجرك الإسلام والشيب عن الغفلة والعطلة والخوض واللغو.

تب إلى الله واتخذ الطاعات قَرَباً، وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

* * *

طُوبى لمن في مراضِيَ ربِّه رَغِبَا ومن مَصَارِعِ أهل اللّهو قد هربا

قد وَطَّن النَّفْسَ أن الله سائلُه ... فَفَرَّ منه إليه مهيباً هربا
وللتُّقى مركبٌ ينجو براكبه ... فيا نجاة الذي مع أهله ركبا
وللهدى رفقةٌ فاسعد بِصُحبتهم ... فيا سعادة مَنْ أهل الهدى صحبا
لله دَرُّ عبادٍ قُربه طلبُوا ... لم يطلبوا فضّة منه ولا ذهبا
سارُوا بعزمٍ وتشميرٍ وما اتخذوا ... في سير دنياهم لهواً ولا لعبا
الصِّدق مركبُهُمْ والحقُّ مطلبُهُم ... لا زُورَ مَازَج دعواهم ولا كذبا
أقامهُ الذين هم لا رُغْب في الأجـ ... ـر إن غيرهم في الأجر رَغِبا
كذلك الأُسْدُ لا تبتغي إذا وثبت ... إلا الفريسة ليست تبتغي السَّلبا

* * *

أهل العزة بالله والغفلة عن الله، لا في ثوابه يرغبون ولا من عتابه يرهبون، فكيف يطمعون في معرفته وهم بما عنده جاهلون ولأوامره مخالفون، وإذا ذكّروا لا يذكرون، وإذا رأوا آية يستسخرون، وكأيّن من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

أُمروا بعبادة الخالق وخُلقوا لمعرفته، فلم يقبلوا منه ولا أقبلوا عليه. ونُدبوا إلى الإنابة والإسلام فلم يسلموا له ولا أنابوا إليه، ولولا جهلهم بما أعد الله لأوليائه لم يطلبوا إراحتهم إلا عند لقائه، ولم يجعلوا رغبتهم إلا فيما لديه، فهم عن إجابة داعي الحق متثاقلون، وإلى اتباع خطوات الشيطان متسامعون، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

ما أجهل من أعرض عن سماع القرآن، وأصغى إلى مزامير الشيطان؛ ما أغفل كل من هتف به داعي الكرامة أجاب داعي اللهو والهوان والخسران؛ ما أخسر من رفض بضاعة الطاعة واقتنى بضاعة العصيان، فتقطع عن قوم هم بالله متصلون، متصل بقوم هم عن الله منقطعون ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يعقلون**﴾[1]،

(١) سورة البقرة الآية ١٧١.

﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾[1].

* * *

من حَـادَ عنك قـرابُـهُ المجْنُـون ... والعقـل في الإعْراضِ عنك جُنون
وعـلا مَثْـواكَ الـدَّنِيءُ فـكـل من ... لـم تُعْـلِهِ التَّـقـوى فـذاك الـدُّون
أشكـو إليـك البُعـد فـهـو بَلِيَّتي ... مـن لم تُـقَـرِّبْـهُ فـكـيف يـكـون
كـان الأنـام يـرون أني عـاقـل ... ظنًّـا وكم يخطى الصـواب ظَنُون
لمـا خنتُ وقـد هجـرتُمْ بَـانَ لي ... ولـهـم بـأني جـاهـلٌ مـجـنـون
قـوم جُنُـوبهـم الـسّلُوّ ومـعـشـر ... في الحب هـامـوا والجنـون فُنون

* * *

شتان بين قوم سلكوا طريق الغيّ وقوم سلكوا طريق الرشاد، لقد خاب الرامي بهم الخطا وفاز الرامي بهم السداد، كم من فقر سن في قبره السدس، وكم من مطروح على شوك العتاد.

فارحموا هذه الأنفس المسكينة وأكرموها عن الدنيا المهنية، ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد** ﴾[2].

* * *

يـا أيهـا السَّـالِـكُ طـريق الـرّدى ... قـد اشتـرى الغيَّ وبـاع الـرَّشـاد
قـد آنَ تَـنْحُـو طـريـق الهُـدى ... وتـقْـتَـفي سِيَـرةَ أهـل الـسَّـداد
يـا سـادة عُـقِـدَ ضميـري بـهـم ... إنّـهـم صـفـوة كـل الـعـبـاد
لا تسـأَلُـوا مـاذا لقى عَبْـدكم ... من بعـدكم من ضُـرٍّ يـوم البعـاد

---

(1) سورة الزخرف الآية ٨٣.
(2) سورة الحديد الآية ٢٠.

الجَفْن قـد طلّق لـذيـذ الـكـرى والجنبُ قـد فـارق لِيـنَ المهـاد
لـو نـال طـرفـي مـنـكـم نـظرة كـانت لقـلبي هـي أقصى المـراد
قـد فَلَّ في دُنيـا حـظّي من الـوصـل تُـرى مـا الـحـال يـوم الـمعـاد
إن كـنـت فـي آخـرتـي هـكـذا يـا حسـرة القـلب وحـزن الفـؤاد

* * *

قد ثبت في العلم المحكوم له بالثبات أن العبد يموت على ما عليه عاش، ويبعث على ما عليه مات. فمن هنا ينبغي للمحجوبين اليوم أن يقيموا مآتم العويل خشية أن يقل نصيبهم من الآخرة من الوصل كما هو اليوم قليل ﴿ **سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾[1].

فيا فجعة قلوب المحجوبين اليوم، ماذا فاتهم والله الملك الجليل وحصلوا على الشفاء الطويل. هذا جزاء من سمع داعي الهدى فتصامم عن إجابة الداعي، هذا جزاء من سمع داعي الهدى فقصرت عن الوصول إلى الله المساعي، يا لها حسرة ما أوجعها، وحسرته ما ألذعها.

أما اليوم، فقلب المطرود عن الإحساس بألم الفراق محجوب، ولكن في غدي عذاب الجحيم له مباشر، وعليه مصبوب. كان في ظل الحياة راقد فأيقظته رقدة الموت، وكان عن سماع النصح متصامم، فأسمعه الصوت، أطار النوم من عينيه، وأزال الشكر من رأسه، صرعه يوم الوعيد، ﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد** ﴾[2].

* * *

(١) سورة الجاثية الآية ٢١.

(٢) سورة قٓ الآية ٢٢.

كم بعادٍ وجفوة وصُدُودٍ نال منّي عدوّكم ما يزيد
كنتُ بالأمس في الجَنابِ قريباً وَأَنَا اليوم مُبْعَدٌ مَطرود
يا عبادَ الرحمن يا من هُمُ في حرز الله رُكَّعٌ سُجود
فاشفعُوا بالذي أنتم بالقريـ ـب منه فهو الرَّحيم الودود
اذكروني فاسْتَفْتِحُوا إليَّ باباً هو في وجه عبدكم مردُود
حلِّلُوا عقدة الصُّدُود فقد ولَّى زماني والعَدُّ بي معقود
كلُّ ما لا يُرضيكم أنا منه تائبٌ فيه بعدها لا أعود
اغفروا لي يا سادتي واضمنوا لي كلما عُدت بعدها أن تعُودُوا
يا أهل الفقر المُبير وأنتم أهل أن تبذلوا النَّدَى وتجودُوا
قد رَثَا لِحَالي الحَسُود مما ألاقيه ويَا ذُلَّ من رثاهُ الحسود
كل هذا من سوء حَظِّي مَحْسودٌ ومن يُعِصْ شقوقي معدود
ارحموني فليس غير الموالي راحمٌ يلتجىءُ إليه البعيد
كل عبدٍ وإن تشرّد حيناً فإلى باب مالكِه يعود

* * *

موعظة في الزهد والقناعة

أيها الساكن في دار القلعة والرحيل، أيها الضاحك في مواطن البكاء والعويل، لا تركن إلى دار الغرور، فليس لعاقل إليها ركون ولا عليها تعويل، أما سمعت نعتها بالقلة في محكم التنزيل: ﴿ **قل متاع الدنيا قليل** ﴾[1] من وثق بعهودها لم يجد لها عهداً، ومن علق بوعود لا تفي لها وعداً، حقها في كتاب الله الذم فكيف توليها حمداً، بينما محبها معها في وصالٍ إذا أولته صدّا وأردته بعدا، أمدها قصير ونكدها طويل، ﴿ **قل متاع الدنيا قليل** ﴾.

* * *

يا آلِفَ دَار البُكاء والعَويل	عمرٌ قصيرٌ وعناءٌ طويل
قد آن أن تزهد فيما بقي	منها فإن اللَّبْث فيها **قليل**
اقنعْ بأدنى عيشها وانحرف	عنها فما ظلّها من مُقيل
عزيزها عمّا قليلٌ ذليلٌ	صحيحها بعد يسير عليل
لا تصلح الدنيا لغير التُّقَى	والزُّهد والبِرِّ وفعل الجميل
فمن يُرِدْها لسوى طاعة الله	فقد ضل سواء السبيل

* * *

(١) سورة النساء الآية ٧٧.

طوباً لمن توكل على الله واعتصم بحبله، وإذا نـزلت به حـاجة لمن ينـزلها بمخلوق مثله، وإذا أجلب عليه الشيطان بخيله ورجله وثق بضمان مَن كل الخيـر في خزائنه وكل النوال من عنده.

فتوسلوا بشافع كرمه إلى شافع نعمه، فـلا خير إلا من عنـده، ولا عيش إلا في ظله، ﴿ **وإن خفتم عيلة فسـوف يغنيكم الله من فضله** ﴾[1]. عـجبـت لمـن يؤمن بما في القرآن من ضمان ثم يهتم لرزقـه، ولـم يؤمن بغنى الخالق وكـرمه ثم يطلب حاجته من خلق الله.

هو الفاتق الراتق لا راتق لفتقه ولا فاتق لرتقه، وهو أهل كل خير فإذا أردتم الخير فاطلبوه من أهله، ﴿**وإن خفتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله**﴾.

من علق نفسه بمعروف غير معروف الله فرجاؤه خـائب، ومن حدث نفسـه بكفاية غير كفايـة الله فحديثـه كاذب، لا يغيب عن علمـه غائب، ولا يعـزب عن علمه عازب.

فتوسلوا بطاعته إليه، وتوكلوا في حوائجكم عليه، وآملوا الراحة عند لقائه، ووجهوا الرغبة إلى ما لديه، واسألوه يعاملكم بإحسـانه، واستجيـروه أن يأخـذكم بعدله، ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾.

* * *

أتُرى أُفوزُ بوصل من ... لا فَوْزَ إلا بوصله
وأقيل في ظلّ الذي ... طاب المقيلُ ببرد ظله
يا طِيبَ عيش البَالغ ذاك ... الجنابِ وطِيبَ عيْشِ أهله
من نالَهُ نَالَ المرا ... م وفاز بالمطلوب كله

* * *

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٨.

جناب الله أعلى مرتقى من أن يبلغه الراقي باستفراغ جهده، وجنة الله أعلى قيمة من أن يتملكها المشتري بثمن من عنده.

ما للعبد إلا رحمة مولاه وعنايته بعبده، فانفض عنك قصد من سواه وتحقق بانفراد قصده، وتوكل على الحمى الذي لا يموت وسبح بحمده.

إياك والطمع فيما في أيدي المخلوقين فالمطامع قاطعة الأعناق، وصن وجهك عن استرزاق المخلوقين وتوجه إلى الرازق، أخلقت[1] مساءلة الخلق وجوه السائلين فأين أنت عن الخلّاق، اسأل من خيره، واستعذ من شره، وتعرض لعطائه ورفده، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبّح بحمده.

من رزقه الله الكفاف والعفاف فقد ألبسه ثوب الشرف، ومن ابتلاه بالمسألة والإلحاف فقد أوقعه في مهواة التلف، ومن جعل رزقه من كسبه وعافاه من الإسراف فقد وفّقه لسيرة السلف. فاسلك سبيل من تعفّف عن السؤال، وترفع عن أوساخ أيدي الرجال، وارض عن الله في جميع الأحوال، وثق بالخالق في ضمانه وصدق الوفاء في وعده، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده.

* * *

إذا أثْقلتْك السّيئات بِحِمْلها ... وأوقعك الشَّيطان فيها بجهده
ولَحّت عليك النفسُ في شهواتها ... وصرتَ لها شبه الأسير نفده
وضاق عليك الرّزقُ في كل مَدْخلٍ ... ولم تلْق ذا رِفْدٍ بجود رفده
وأمسيت ذا فقرٍ ودَيْنٍ وغُربةٍ ... وهمٍّ قد أحاط بجنده
وأَحْضَرْتَ ذكر القبر والموت والبِلَى ... بقلبك حتى ضقت صدراً بردّه
وفكّرْت في يوم الحساب وما احتوى ... عليه من الهوْل الشّديد وإدِّه
وخِفْتَ من الخيرات التي من ثُوى بها ... فذاك من الخيرات آخر عهده

---

(١) أخلقت: أبلت.

هنالك فارفع قصة الحال ثم قف على باب مولى سامع صوت عبده
وقل يا كريم انظر إلى حال عاجزٍ فقيرٍ عمى لا يهتدي طرق رشده
خزائنه فيها المطالب كلها توكَّل عليه ثم سَبِّح بحمده

* * *

موعظة في اليقين

الحمد لله الذي من اتبع هواه فلا يضل ولا يشقى، ومن آمن بـه وكفر بمـا سـواه فقد استمسـك بالعـروة الوثقى، ومن لم يتخـذ من دونه وكيـلاً فهو المؤمن حقًّا، ومن لم يتحقق بالإيمان فقد سبق إلى كل الخيرات سبقاً.

* * *

كــن مُـؤمــنــاً بــالله حـقًّــا ... تسبق إلى الخيــرات سـبقــاً
كم يــدَّعِ بلســان الإيــمــان ... إقــراراً ونُــطقــا
فــإذا اخـتـبــرت يــقـيــنــهُ ... لم تَلْقَ ذاك القــولُ صـدقــا

* * *

لو أيقن المخلوق أن له على الخالق رزقاً، ما كان يعبـد بعد خـالقه لأجـل الرزق خلقاً.

شهادة أن لا إله إلا الله توجب عليه أن لا نتخذ من دون الله وكيلاً، ولكننـا نقربها إقراراً صحيحاً، ونعتقدها اعتقاداً عليلاً.

لولا سقم العقائد لبنت منا القواعد؛ أما القول فقائم، وأما العمـل فقاعـد، وأما الهوى فمستيقظ، وأما العقل فراقد.

إذا حضرنا مجالس الذكر فالقلب غائب، والجسم شاهد. فأحضروا الأفهام قبل الأجسام، واستعدوا لتدبر المعنى قبل سماع الكلام، ولا ترضوا أن يكون حظكم من المعرفة بالله تلبُّسكم بظاهر الإسلام، ولكن طالبوا أنفسكم بتحقيق دعواها، وامنحوا معرفتها بالله في نزل مشتهاها، فإن هي تركت من خشية الله كلما عنه نهاها، وإلا فاتهموا بضعف اليقين. فمن ضعفه قوي الشيطان على العاصين، ومن ضعفه ثقلت الطاعة والعبادة على البطّالين، ومن ضعفه ساءت ظنون المرتابين. ولو قوي يقين المخلوق بأن الله إليه في كل وقت ناظر، وعليه في كل حال قادر، لما خطرت مخافة الخلق له في خاطر، ولما قصّر في طاعة العزيز القاهر، في فعل ما هو به أمر، وترك ما هو عنه زجر.

فاستجيروا بالله من ضعف اليقين، فإنها آفة الظاهر والباطن.

* * *

بقلبي من الأشواق داءٌ مخامرٌ ... إلى غائب عن ناظري وهو حاضر

ولو صدقت دعوى اشتياقي ... لم يكن لجسمي بعد البعد إلا المقابر

وكم مُدَّعٍ للشوق يزعم أنه ... كئيبٌ حزينٌ دامع الطرف ساهر

ولو كان في دعوى المحبة صادقاً ... لزار حماهم والسوق شواهر

وكم قائل آمنت بالله وحدهُ ... وفي قلبه شرك خفيٌّ وظاهر

إذا سمع القرآن لم يُصغ سمعه ... كأن ليس في القرآن ناهٍ وآمر

ويسأل رزق الله من فضل خَلْقِهِ ... ويخضع في أبوابهم وهو صاعر

ولو كان في الإيمان بالله مُوقناً ... لسُدّت بفضل الله منه المفاقر

فلا تُوتِرْ بالقول مما تقولُه ... فكم مُؤمن بالقول والفعل كافر

* * *

ثلاثة من الناس عناؤهم طويل، وحاصلهم قليل:

ـ المبتهل في الدعاء وغذاؤه خبيث.

ـ والدارس للعلوم وفهمه بليد.

ـ والمجتهد في الأعمال ويقينه ضعيف.

● مثل المجتهد في الدعاء مع الاغتذاء بالحرام: كمثل الرامي بالسهام في هدف من رخام.

● ومثل كثرة الدرس مع بلادة الفهم: كمثل الاستكثار من الطعام مع سوء الهضم.

● ومثل المجتهد في العمل مع ضعف اليقين: كمثل تطويل البناء على غير أسٍّ مكين.

إذا أحسست من نفسك بضعف اليقين، فاستكثر من ثلاثة أشياء:

ـ أحدها: إجالة الفكر في آيات الحق سبحانه في سمواته وأرضه وسائر خلقه.

ـ ثانيها: النظر في المصحف وعلوم أهل اليقين الذين صنّفوا في تسليل الخلق إلى الخالق.

ـ ثالثها: مجالسة العلماء العاملين، والصلحاء من أهل الدين الذين يفيدك النظر إليهم، والإصغاء إلى كلامهم، رسوخ اليقين في قلبك.

* * *

عليك بصحبة الأخيار حتى ... تصير لهم مُحبًّا مُستهاما

وإن هجرُوكَ أو ولّوك صدًّا ... فلا تزدد بهم إلا غراما

وصالُهُمُ الطَّعام لكل روح ... ومن يبقى إذا عدم الطعاما

عبادٌ مكرمون لخير مولى ... سقاهم من محبته مداما

وقد وقفُوا نُفوسهم عليه ... وفي مرْضَاته هجروا المقاما

وأَهَّلَهُمْ لخدمته فصفُّوا ركوعاً أو سجوداً أو قياما
فلو أبصرتهم في الدهر يوماً بعينك أو سمعت لهم كلاما
لصار القلب منك لهم رهيناً بودِّك أن تكون لهم غلاما

* * *

موعظة في الاجتهاد في الأعمال

عباد الله . . ابذلوا في طلب مرضاة مولاكم المهج، واتبعوا الكتاب الذي أنزل واسلكوا المنهج الذي نهج، وإن لحقتكم في عبادته شدة أو حرج، فكم في جنته من فرج ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾[1].

أنفقوا في سبيله الأموال والأعمال، وجدّوا في طلب قربه آناء الليل وأطراف النهار، واحذروا البعد عن قربه فتمام شقوة المحبين بُعد الديار، وادخلوا في زمرة المشتاقين فيا سعادة من فيهم دخل، ويا شقاوة من منهم خرج، ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ إذا هتف الفراق فيا أيها الذين آمنوا قولوا: لبيك ربنا وسعديك. فإذا سمعتموه يأمر وينهى فقولوا: سمعنا وأطعنا، خذ بنواصينا إليك. وإذا ندبكم إلى اتباع سبيل من أناب الله إليه فقولوا: دل حيرتنا عليك. وإذا حالت دون الوصال بحار الأهوال: فاقتحموا منها اللجج، ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾.

* * *

---

(١) سورة الحج الآية ٧٨.

اجهـدُوا في القـرب من مَلِكٍ ... من ثـوى بـالقـرب منه نجـا
اقـتلوا فـيـه الـنـفـوس أسـاً ... وابـذلـوا الأرواح والمهـجـا
اركـبـوا الأخـطار فـي طـلـب ... القـرب منه واقـطعـوا اللجـا
مـا لـكـم مـن غـيـره فـرجٌ ... فـاطلبـوا من عنـده الفـرجـا
قـطرةٌ مـن لـطف رحـمـتـه ... تجعـل المحـزون مُـبتـهـجـا

* * *

سبحان من زخرت بحار كرمه بجواهر هباته، وهطلت سحائب نعمه بمياه وصلاته. فتعرّضوا لنفحات رحمته، وشمِّروا في طلب مرضاته، وأتقـوا الله حق تقاته، ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمـواتاً فـأحياكم ﴾، كيف تهملون شكـر الله وكنتم فقراء فأغناكم، كيف تقصّرون في إجابة الله وهو الذي إلى جنته دعاكم.

يا قومنـا أجيبوا داعي الله، وسـارعوا إلى جنـة كعرض أرضـه وسمواتـه، واتقوا الله حق تقاته، الموت عما قليل بساحتكم نازل، ومن نزل بساحته الموت فهو لكل ما هو فيه له مفارق وعنه زائل.

فتنبهـوا من الغفلة، فمـا تحسن الغفلة بعـاقـل، واستعـدوا للمـوت، واستعيذوا من وحشة القبر، واتقوا الله حق تقاته.

* * *

لا دَرَّ دَرُّ[1] البين ماذا لقي ... محبكم من حرّ لوعاته
لله قوم طلّقوا عيشهم ... في طلب الله ومرضاته
ما همُّهم غير إتصال بمن ... قد قَتَلُوا الأرواح في ذاته
لم يعبُدوا الله لينجوا ... من النار ولا يحظوا بجنّاته

---

(١) «لا دَرَّ درُّ»: لا كثر خيره.

مُناهم منه رضاه فما زاد فمن أفضال عاداته

* * *

المنافسة في القرب من الله طريق أهل المعرفة بالله، فاسلكوا طريق العارفين، فإن عجزتم عن سلوك أهل العرفان فاقتدوا بسنة الخائفين. واحكموا صنعة مركب التقوى، فبين أيديكم بحر لا ينجي فيه إلا سباحة السباحين. وكونوا على وجل من هجوم الأجل، ولا تطفكم الدنيا ولا يلهيكم الأمل، واستعدوا لله بتقواه وإصلاح العمل، واحذروا حسرة النادمين، وصفقة الخاسرين، ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين** ﴾[1].

ما أثقل رقاد الغافلين، ومن بلادة أفهام الجاهلين: ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين** ﴾.

شمس الهرم تنسخ علل الشباب، ومركب الأجل يمرّ مرّ السحاب، أما الأعمار ففانية آخذة في الذهاب، وأما الأعمال فباقية خالدة في كتاب، فتأملوا مصائر النافرين، بما تملون على الكرام الكاتبين، ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين** ﴾.

* * *

نسيتُ الذَّنب لما طال عهدٌ ... وقد سطرته أيدي الكاتبينا
وأحصى الحَفَظان عليك ما ... قد عملت على تضاعيف السنينا
ستحصد ما زرعتَ وسوف تُجْزَى ... إذا جَزَى الحبيبُ العاملينا
ستَجْني ما غرست وسوف تَلقَى ... فعالك يوم نشر العالمينا

(١) سورة الزمر الآية ٥٦.

فـمـنـقـلـبٌ بـرضـوانٍ وفـوزٌ ومُـنقـلـبٌ بـصـفـقـة خـاسـريـنـا

* * *

يـا من تُعدّ عليـه الأنفاس عـدًّا، لا يستطيـع لماضيهـا ردًّا، ولا تجـد من تناهيها بُدًّا، تغدو إذا نزل بك الموت أن تستنصر عليه جنداً، يوشك أن يـرميك بحجر يهدم الآجال هدماً، ويهدّ أسوار الأعمار هدًّا.

* * *

للموت مُرادةٌ تَهُدُّ قواعد الأعمار هدّا
وحُسامُه غضب يقدُّ مُتُون كل الخلق قدّا
الخُلد ليس بدارنا فاطلب بدار الخلد خُلدا
وامْهدْ لنفسك في ضريـ ـحك من فِعَالِ الخير مهدا

* * *

العمر يمر مـرّ السحاب، مـا مرّ منـه لا يعود، ومـا تبقّى للذّهاب والمهلة تخدع خدع السراب، والذاهب ليس له إياب، والموعود يوم الحساب.

تجهّز فقد حدا الحادي بالركاب، وتهيّأ للسكنى تحت التراب. أما الزيت فقد نفذ، وأمـا الشمع فقـذ ذاب، وأما الـدنيا فقـد تباعـدت، وأما الآخـرة ففي اقتراب كيف البقاء وقد ولدت والموت مني في اقتراب، حتى تمرّ به سفينـة عمره مرّ السحاب، ما مرّ منه لا يعود، وما تبقى للذهاب.

قد آن لي أن أستعد لمصرعي تحت التراب، وأُجوِّد العمل الذي أنجو به يوم الحساب.

أترى. . بأي يوم أُوفّي يوم تقريري كتابي؟ إن كان باليمنى: فياطـوبى ويا حُسن المآب. أو كان باليسرى: فياويل ما ألاقي من عذابي.

يا رب . . لا تعضل يوم مسألتي جوابي ، واحفظ لساني عن أن يقول بغير مقبول الصواب .

ثلاثة من الخلق لا تثبت لهم يوم القيامة حجة ، ولا تقبل منهم معذرة : المتحجج بالقدَر ، يقال له : لم يقدِّر الله عليك إلا ما اقتضت حكمته فيك . والمدّعي الجهل بالله وبشرعه : يقال له : قد تعرّف الله إليك بنفسه يوم ميثاقه ، وقد وُلدت على الفطرة ، وقد جاءك من الأنباء ما فيه مزدجرٌ ، والمعتذر باستحواذ الشيطان وتسويل النفس ، وتبرّج الدنيا : يقال له : قد أُعنت على الشيطان بالذكر ، فشغلت عن ذكر الرحمن حتى قيّض لك الشيطان فصَدَّك عن سبيل الهدى ، وأُعنت على النفس بالعقل ، فأبيت إلا الميل إليه معها حتى أسلمك إلى الهوى ، وأتيح لك من حلال الدنيا ما فيه عن حرامها غنى ، فما قنعت بذلك الغنى ، فالويل لمن لا يلقنه الله حجته ، ويقبل معذرته ، ويعود بقوّته على ضعفه ، ويعامله بفضله ولطفه .

اللهم فعاملنا في الدنيا والآخرة بلطفك وفضلك . . واحملنا على حكم إحسانك لا على حكم عدلك . . إنك على حكم عدلك أنك جواد كريم .

* * *

موعظة فيما يقال في الأوقات

يقـال في الأوقات الشـراف: تبارك الله وسبحـانه، مـاأجل الله ومـا أعظم شأنه، من بعض آيـاته خلق الـزمان والمكـان، مخلوقات خيـر كل إنسـان، وما وقف حكيم لها على حقيقة، ولا قام لباحث عليها برهان. فتعالى الله سبحـانه، ما أظهر برهانه، وما أقهر سلطانه، خير العقول والفـطن فيما ظهـر من أمره ومـا بطن، لو لـم يكن فيما أوجد الله من بدائع آياته إلا هذا الزمـان وتصرف أوقـاته، فأجيلوا هذه الأفكار في مرور هذا الليل والنهـار، ! واعتبروا بمـا فيهما، ففيهمـا لأولي الأبصار اعتبار.

* * *

جبر كسري عليكم يهونُ ... مَعْنَا ذاك قبل موتي يكون

فيزول الشّقاءُ وينفرج الهمُّ ... ويمضي الفناء وتُعَض الديون

قد أطلتُم طردي وبُعدي وصَدّي ... والذي حل بي لكم مُستبين

مَسَّني الضُّحُر وانقضى العمرُ ... وامتد سُقامي مالي عليه مُعين

جَلَدٌ راحل وضيمٌ مقيم ... ونحولٌ بادٍ وداءٌ دفين

كل من لا ترضون عنه ولو ... حاز الأماني فذلك المغبون

فاجبروني فالقلبُ منّي كسيرٌ ... ودمع عيني من العيون غبون

أنا مسكينكم وفي بابكم ما زال يُجبر ويُرحم المسكين

* * *

اللهم ارحم افتقارنا، واجبر انكسارنا، ونوّر أسماعنا وأبصارنا، واجعل خضوعنا لك، واقبالنا عليك، وثقتنا بك، ورغبتنا فيك، ولا تلجئنا في مطالب خيرات الدنيا والآخرة إلى أحد إلا إليك يا أرحم الراحمين.

* * *

موعظة في التقوى

سبحان من أكرم عباده المتقين بالتقوى، فكل كرامة لا تؤسس على التقوى ليس لها ثبات ولا جدوى.

ما برح أهل خشية الله وتقواه يتركون شهواتهم من نفوسهم من خشية الله، ويؤثرونه بطاعته على من سواه، حتى أورثهم جواره، وبوأهم جنة المأوى، ومن جاور الله في جنته فقد بلغ أورثه الخير الكثير، والملك الكبير، والغاية القصوى، والعاقبة للتقوى.

من عزم على قطع بحر الهلاك إلى ساحل السلامة فليركب مركب المتقين. ومن أراد الفوز والفلاح، والحصول بعد سلامة سلامة رأس المال على أكرم الأرباح، فليستبضع بضاعة المتقين. ومن أحب أن يكون الله وليه، فليتوسل بوسيلة المتقين، فجميع مطالب أهل الدنيا حاصلة بغير طلب لأهل التقوى، والآخرة عند ربك للمتقين.

ارتقى طلاب العلى في طلبها كل مرتقى وما بلغوا درجة أهل التقى، وارتقى طلاب النجاة كل المرتقى وما تحصنوا بحصن أهل التقى. شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، بتناول الرزق قسم لهم مولاهم، وتفردوا في الآخرة بالنعيم والبقاء، والآخرة خير لمن اتقى.

* * *

أتُرى أُفارق ذا العناء وذا الشَّقاء بوصال سكّان المصلّى والتقا
وأحلّ بالمرقى الذي ما فوقه لمريد غايات المعالي مُرتقا
بجوار أهل الدين والإحسا ن والبرِّ والعبادة والتُّقا
يا ويح نفس ذَوَّقُوها هجرهم بعد التواصل كيف أمكنها البقا
النومُ من بعد التَّرحُّل فاقدٌ والدَّمع من يوم الترفق مارقا
يرقُّوا لمن رقَّتْ له أعداؤه يَقْضي الزَّمان تَجمُرًا وتحرُّقا
قد آن من رق النَّوى والبيْن والـ ـهجر المُبْرِح والفكر أن يعتقا
أخذ الفراقُ نصيبهُ فهل لي بعد ما أخذ النصيب من اللُّقا
يا نفسُ إن رُقْتِ التواصل فاتّقي ما فاز بالمحبوب غير من اتقا

* * *

للمتقين في تقواهم أربع مراتب، يلزمها أربع نتائج :

المرتبة الأولى : تقوى الكفر. ونتيجتها : تحريم الخلود في النار.

المرتبة الثانية : تقوى المعاصي . ونتيجتها : الخلاص من العقاب .

المرتبة الثالثة : تقوى فضول الدنيا . ونتيجتها : خفة الحساب .

المرتبة الرابعة : تقوى كل شاغل يشغل عن الله ، ولو كان من الغوافل المكسبة لثواب الله . ونتيجتها : وفور النصيب من النظر إلى الله عز وجل .

* * *

نهايةَ مقصودي وأقصى مُنَايَ أن يراني أهلٌ للوصال حبيب
إذا نالني منه الوصالُ ودام لي فلا نالني ممن سواه نصيب

* * *

احذروا التقصير في الطلب، ونافسوا في معالي الرتب؛ وغالبوا من عاقكم

عن الله، فإنما الدولة لمن غلب؛ واحذروا التقصير في الطلب، لا تفتكم أعلى الرتب.

* * *

شمِّـرُوا في الـسَّيـر واجتهـدوا ... فـي اكتسـاب الـبـر والـقـرب
وأطـلبُـوا الله الـكـبيـر بـمـا ... فـي قُـوى الإمكـان مـن طـلـب
لا تـخـلُّوا الـنـفس تـرغـب في ... فـضّـة مـنـه ولا ذهـب
هـمّـةُ الليث الـغَـضَـنْـفَـرِ في ... قـبضـة الـمـسلوب لا الـسّـلب
وكـذا الـعـشّـاقُ لـيس لـهـم ... غيـر مَسْـرَى الحبيب مـن إرَبْ

* * *

إذا سئلت عن أكثف الخليقة بالأًى؟ فقـل: هـو محب بسهم البعـاد رمى. وإذا قيـل لك: من أسـوأ البريـة حالا؟ فقـل: مخلوق إلى غيـر جنـاب الخـالق مرتمي. ومتى أردت أن تعرف المعـافاة من جميـع البلوى؟ فهو الـذي إلى سند التقوى مستند، وبحمى التقوى محتمي.

* * *

حظيتُ بنور الإيمان من ... قلم التوحيد لا بالمِدَادِ والقلم
من لا يرى ما رأيت يوم بَدَى ... جمالكَ للعيون فهو عَمِي
ما عذر من لا يحبُّ خالقهُ ... وهو أقام الوُجود من عَدمي
وهو الذي عمَّ بالعطاء إلى ... أن غمر العالمين بالنِّعم
دَرَّ المنّ والطّول والتّفضل ... والإحسان والموهبات والكرم

* * *

الساعي إلى غير باب الله معثر القدم، والشاكر لغير نعم الله مسلوب النعم، واللاجىء إلى غير حرم الله مباح الحرم. كل ركن سوى ركن الله منهدم، وكل حصن سوى حصن الله ينثلم.

من خاف فليلجأ إلى حرم التقى فهو الحرم المتقون، هم الملوك وغيرهم لهم خدم، حازوا الرضا من فضل مالكهم وفازوا بالنعم، شهد النبي بأن تقوى ذي الجلال هي الكرم.

[للتقوى اشتقاق يردها إلى أصلها، وحدٌّ يكشف عن حقيقتها، وعلامات تعرف بها، وأقسام تنقسم إليها، وأحكام يقضي بها عليها، ونتائج معجلة، وأخرى مؤجلة، وغاية إليها المنتهى، وجزاء ينفرد به المولى.]

●● فأما اشتقاق التقوى: فهي من الوقاية وهو الستر، فكما أن الوقاية لما يلقي عليها ساتر فكذلك التقوى تستر المتّقي من مكاره الدنيا والآخرة.

● ● وأما حد التقوى: فهي الانحجاب عن الله بمراضيه.

● ● والتحرز: مخاوف العبد بالدخول فيما أمره الله بالدخول.

● ● وأما علامات التقوى: فاجتناب المحرمات والمكروهات والمسارعة إلى الواجبات والمستحبات.

● ● وأما أقسامها فثلاثة:

- تقوى الموجبات للعقاب.
- وتقوى الموفقات للحساب.
- وتقوى المانعات للثواب.

● أما الموجبات العقاب: فهي الأمور الشيطانية. وهي: الكفر، والبدعة، والمعصية.

● والموفقات للحساب: هي الأمور النفسانية. وهي: متابعة الهوى في نيل المشتهى من فضول حظوظ الدنيا.

● وموانع الثواب: إما تثبيط الشيطان، أو كسل النفس، أو فساد الرأي، أو قلة العلم.

● ● أما أحكام التقوى: فحكمان:

- وجوب استحباب التقوى.
- وأداء الفرائض.

● والتقوى المستحبة: التنزه عن المكروه، والتطوع بالمسنون.

● ● وأما نتائجها العادلة: فالسلامة من شر الشيطان والنفس.

● ● وأما أمورها الآجلة: فالنجاة من العذاب، والحلال من الحساب، والفوز بالجنة، والوصول إلى الحضرة.

● ● أما غايتها: فاستقرار الدخول في الصالحين.

● ● وأما الجزاء الذي ينفرد به الله تعالى: فالنظر إلى رب العالمين.

* * *

من كان يَطمعُ أن يفوزَ بقُرب ربِّ العالمينا
ومنحه نظراً إليه إذا أباح الناظرينا
ويُعَدُّ من أهل الصَّلاح إذا يُعَدُّ الصالحونا
ويُجَارُ من سوء النّيات ومن عذاب الخاطئينا
فعليه بالتّقوى ففي التّقوى مرادُ الطّالبينا
ما فاز بالخيرات في الدَّارين غير المتَّقينا
يا ربِّ فارزُقْنَا مقام المتَّقِينَا
واغفر لنا يا ربِّ ولجميع المُسْلِمينا

* * *

موعظة في الورع

الحمد لله الذي جعل الكتاب والسنة محتوين على الهدى والنصائح ، فمن سلك سبيلهما فقد سلك إلى الفلاح الطريق الواضح ، ومن عُـرِّيَ من ملابستهما فقد انتصب لأعين الناظرين في المقام الفاضح ، ولاح عليه من شواهد الشقوة لائح .

لقد احتوت علوم الكتاب والسنة على إيضاح معالم الهدى، ومن سلك طريق الهدى فقد أمن من عواقب الردى .

● ● ● أربع نصائح مستخرجة من أصول نصوص الكتاب والسنة، من عمل بها فقد سلم من سخط الله والنار، وحصل على رضوان الله والجنة وهي :
[التقى . والورع . والزهد . والعبادة]

وهذه الأربع نظام الدين، من أقامها مُحيت عنه الشقوة، وكتبت له السعادة.

● فاتق الله باجتناب المحرمات تكن من التوّابين.

● وتورع عن اقتحام الشبهات تكن من المتطهرين، ومن مات وتطهر فقد صار من أحباب الله ، والله محب التوابين ومحب المتطهرين.

● وأما الزهد فهو: ترك ما زاد على قدر الضرورة في الدنيا، وبه تتخلص من

الحساب الطويل.

● وأما العبادة فهي: إقبالك على خدمة المولى، وبها تحصل الثواب الجزيل، وتدخل على الملك الجليل.

* * *

هل إلى وادي التُّقَى من سبيل   فهو قصدي ونهاية سُؤْلي
منذُ فارقتُ رُؤْياه لم يَطِبْ   لي من بعدها من مَقِيل
كنتُ فيها قائمُ الجاه عَالِيَ   القَدْرِ في خدمة مولىً جليل
فتبدّلْتُ بعدها بعزّي ذلّاً   فارحموا غُربة عبدٍ ذليل
فَأَدْنُوا في القرب منكم قليلاً   ما قليلٌ منكم بقليل
طال في دار البُعَادِ عَنَائي   من مُجيري من عناءٍ طويل
ليس نومي بعدكم بحلال   ليس صبري عنكم بجميل
روِّحُوا بالبعد عنكم كربتي   برِّدوا بالقرب منكم غليلي
ذكرُكُم حَادَى رِكَابي إليكم   وسَنَاكُم في المسير دَلِيلي
كان تعويلي عليكم فلمّا   نبتُم لم يبق غير العويل

* * *

الـواجب على كـل مـوهـوب ومسلوب أن لا يـزال في اللجـأ إلى الله، والاستغاثة على قدم الدءوب، أما الموهوب فيزداد ولا يسلب، أما المسلوب قليلاً يدوم.

ولكي تـوهب، لا تـذهب عن بـاب مـولاك، فمـا للعبـد عن بـاب مـولاه مـذهب، لا تركب غيـر سفينة الكتـاب والسنة، فمـا لطالب السـلامـة بسـواهمـا مركب.

لا تشرب من غير حوض الشرع، فليس في القيامة غير حوض الشرع مشرب.

لا تستعذب غير طعم الإيمان، فما عذْبٌ سواه إلا وهو منه أعذب.

كل المطالب وإن طال المدى تُسلب، إلا الهدى والتقى فاجعلهما المطلب؛ بالهدى استقام السالكون على الطريق؛ وبالتقى يخلص المتورطون من حلق المقبر؛ وبالورع سمت للمتقين تقواهم، وبالزهادة تخلصوا من شواغل دنياهم لعبادة مولاهم.

فمن زهد وتورّع واتقى، فقد ارتقى من مقاعد الصدق كل مرتقى.

فأما التقوى فذكرها كثير في القرآن لفظاً ومعنى.

وأما الورع والزهد فمدحهما والأمر بهما كثير لا باللفظ لكن بالمعنى.

فكل ما في القرآن من ذم الدنيا فهو مدح للزهد، وكل ما فيه من الأمر بالتثبت والتيقن فهو أمر بالورع.

فليتجنب المؤمن العاقل البصير القليل من مشتبهات الأمور، والقليل والكثير من الحرام. وليعلم أن بين يديه حساباً دقيقاً وحساباً طويلاً، ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾[1].

* * *

تُمسي وتُصبحُ عن الطّاعات معْمُولاً   لا تستطيع عن السَّوْءَاتِ تحويلا
كم ذا تُجازِفُ مَنْطوقاً ومفعولاً   وكل ذا عنه العبدُ مسئولا

* * *

(١) سورة الإسراء الآية ٣٦.

كم من قد سلك طريقاً يظنه واعراً، وكم من قد شرب صافياً يحسبه حلواً فإن مرًّا؛ بَيْنا هو شارب خمراً، وساكن قصراً: إذ صار الخمر جمراً، والقصر قبراً، **﴿ وكأيِّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً ﴾**[1].

وكلما يُرى من أهوال يوم القيامة ما لأحد مطمع منه في السلامة إلا من أتى الله بقلب سليم، إذا أدركته مراحم العزيز الرحيم.

فأحكموا من اليوم صنع مركب المسير، فبين أيديكم بحر عميق، مسافة قطع ذلك اليوم العسير. واجعلوا التقى والورع مساميره، وصدق العزيمة واخلاص النية شراعه وملّاحه، والخوف المزعج، والشوق المقلق مقاذيفه ورياحه. فما دامت الريح لكم طيبة فاغتنموا إلى الله المسير، وإن جاءتكم ريح عاصف فاستعينوا باللطيف الخبير، فنعم المغيث ونعم المجير.

* * *

مالضعفي من الخُطُوب مُجيرُ	غير أن يَرْحَمَ اللَّطيف الخبير
إن أكُنْ جاهلاً فأنت عظيمُ	أو أكن عاجزاً فأنت قدير
قد أحاطت المخاوفُ من كلِّ النَّواحي	وما سواك مُجير
ليس للعبد غير مولاهُ في الكرب	مُجيرٌ بغوثه يستجير
يا قويُّ ارحمني فإنِّي ضعيفٌ	يا غنيُّ ارزقني فإنِّي فقير
كَسَرَتْ قلبي الذُّنوب وفي	بَابِكَ يُجْبر المكسور
أنا أشكو إلى مَعَالِيك أني	مُستضامٌ مُستضعفٌ مقهور
كنت عن حضرة الوصال قريباً	وأنا اليوم مُبْعدٌ مهجور
مسّني الضرُّ من قريني ومن نفسي	ومالي سواك مُجير

---

(١) سورة الطلاق الآية ٨.

ربّ هبْ عليهـا منـك نـصـراً　　　أنت نعم المـولى ونعم النّصيـر

* * *

ما انتصر المحارب في مواطن حربه بمثل التغوث بمراحم ربه وتصحيح العزيمة على التوبة من ذنبه.

والمتغوّث بالرب محتاج إلى صدق التوجه واللجاء، والتائب من الذنب مفتقر إلى صحبة أهل الورع والتقى.

وإنما يتمكن من الورع من هو زاهد في الدنيا، لأن حبها لا يدعك تتورع مما فيه شبهة، إذا كان في تناوله شهوة.

فتدرّع يدرع الزهد في الشهوات، وإتق ربك بترك المحرمات وأداء المفترضات، وتحبب إليه بما أطعت من فعل المستحبات، فحينئذ نوفيك على أبوابه، ونقرّبك من جنابه، ويدخلك في جملة أحبابه، فإن سألته أعطاك، وإن دعوته لبّاك، وإن استنصرته على عدوّك نصرك، وإن اعتذرت إليه من تقصيرك عذرك، وكان سمعك الذي تسمع به، وبصرك الذي تبصر به، آخذ بيدك كلما عثرت، مغنياً لفاقتك كلما افتقرت، إن أسأت عاملك بالغفران، وإن أحسنت ضاعف لك الإحسان. هذه معاملة الله لأهل التقى والورع، فهل أنت ممن إذا وعظ أصغى واستمع؟ وبما فهم من الحكمة والموعظة انتفع؟ أم أنت ممن همّه النوم والشبع؟ إذا جاءه النهار رعى ورتع، وإذا جاءه الليل التف واضطجع.

* * *

منذ صُبْح الضوء قد سطعا　　　ووميضُ الموت قد لمعا
ومُنادى الحق قد ملأ السَّـ　　　ـمع بالإنذار حين دَعَا
أيُّ عُذْرٍ للمُقَصِّرِ في　　　طاعة الداعي وقد سَمِعا

ما لجسمي لا يذُوبُ أَسىً ... ما لطرفي بعدهم هجما
ما لقلبي حين أسمعُهُ ... سائقُ الإظْعَان[1] ما انصدعا
كان حقّي أن ترى كَبِدِي ... يوم سَارُوا إثْرَهُمْ قطعا
أَخْبِرُوهُم أن عبدهم ... حدّه للبَيْن قد ضرعا
كان لي مجدٌ بقربهم مُذْ ... باءُوا عن ناظري اتضعا
كان لي شمل فَشَتَّتَه ... صارخ التفريق حين نعى
يا لها صرخة ملأت ... كل قلب ذاقها وجعا
اهبطوا منها نقف فرحاً ... بعدها للصب ما رجعا
ما بقي غير البكاء إلى ... أن يعود الشمل مجتمعا

* * *

يـا عبّاد القـريب المجيب، أقدروا قـدر فراق الحبيب. كنتم في نعيم حين كنتم في جواره ثم صرتم في شقاء.

ضجّوا تحت سياط الهجر، وعجّوا وألحّـوا في طلب الوجـل ولجّوا، صلوا وصوموا وتصدّقوا وحجّوا، واحذروا أن تبعثوا في جملة الهالكين، فأقل الناس من ينجو.

بعث للنار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فلم يبق للجنـة إلى عُشر عُشرنا[2]، ولعلهم المتقون الورعون، الذين للقرآن مستمعون، وبمـا سمعوا منـه

---

(١) «الإظعان» السير والترحل.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قـال: « يقول الله تعـالى: «يا آدم، فيقـول: لبيك وسعـديك والخير في يديـك. فيقول: أخـرج بعث النـار. قـال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغيـر وتضع كـل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».
قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف».
ثم قال: «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة». فكبرنا. فقال: أرجو أن تكونوا =

منتفعون، إذا اتضع غيرهم في وهاد المعصية فهم إلى ذرى الطاعة مرتفعون، وإذا تفرق غيرهم في شعاب الضلال فهم إلى شعب الهدي مجتمون.

* * *

لله قومٌ تواصَوْا بالصَّبر في طلب العُلَى ... على الورع والتَّقوى والزُّهد مُجتمعون
يُتلى القرآن عليهم فيُحْضرون قلوبهم ... مُصغون نحو التالي إليه مُستمعون
يُسارعون إلى ما فيه الرِّضا من ربِّهم ... ويَقبلون النصائح والكلام يعون
لم يعلموا ليقولوا بل يعملون ليعملوا ... فهم لصدق النِّية بالعلم مُنتفعون
سَمُوا إلى المجد لمّا دعاهم دَاعي الهُدى ... فهم مدى الدَّهر فيه راقُون مُرتفعون
إذا دُعوا للدّنايا تمنعوا ولا ترفّعوا ... لكنهم للعلي ذي الجلال مُنصعون[1]
يا لهلف رُوحي عليهم يا شوق قلبي إليهم ... حازوا وِصال المولى ونحن منقطعون

اللهم.. لا تقطع بنا دون الاتصال بك، ولا تصرنا عن توجُّه أهل التوحيد إليك. وأدخلنا في أهل التقى والورع والزهد والعبادة.

ثلث أهل الجنة». فكبرنا. فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبرنا فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود».

* [٦٠ كتاب الأنبياء ٧ باب قصة يأجوج ومأجوج، ٦٥ كتاب التفسير. سورة الحج، ٨١ كتاب الرقاق ٤٦ باب إن زلزلة الساعة شيء عظيم، ٩٧ كتاب التوحيد ٣٢ باب قوله تعالى: **﴿ولا تنفع الشفاعة... طرفه﴾** وأخرجه أيضاً في الرقاق من حديث أبي هريرة باب الحشر].

* وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد في الايمان رقم ٣٧٩ باب بعث النار، وأخرج من حديث عبد الله بن عمرو في كتاب الفتن وأشراط الساعة في باب خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله إياه وفي آخره ذكر بعث النار تسعمائة... رقم ١١٦.

* وأخرجه الترمذي من حديث عمران بن حصين في كتاب التفسير باب سورة الحج وقال: حسن صحيح.

* وأخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود: (١/٣٨٨)، ومن حديث عبدالله بن عمرو (٢/١٦٦) ومن حديث أبي سعيد (٣/٣٢، ٣٣)، ومن حديث عمران بن حصين (٤/ ٤٣٢، ٤٣٥).

واجعل موتنا من كل شـرٍّ راحةً، وحيـاتنا من كـل خير زيـادةً، برحمتـك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيّين وعلى آله وصحبه أجمعين.
وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كلٍّ وسائر الصالحين.
وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.
وحسبنا الله ونعم الوكيل.
آخره والله أعلم.

[تمّ بحمد الله]



الفهارس



فهرست الآيات القرآنية

سورة يونس (١٠)

سورة هود (١١)

سورة إبراهيم (١٤)

سورة الانسان (٧٦)

سورة النازعات (٧٩)

سورة الفجر (٨٩)

سورة القدر (١٠١)

فهرست الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١	اتق دعوة المظلوم فإنه ليس	١٤٢
٢	أخلص دينك يكفك	٩٦
٣	ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا	١٤٢
٤	إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل: اللهم أجرني	١٦٥
٥	إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع	١٦٥
٦	إذا ركع أحدكم فليقل في ركعته سبحان ربي العظيم	١٦٤
٧	إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فرق فرقة	٩٥
٨	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا	٥٥
٩	أرأيتم سليمان بن داود عليه السلام وما أعطاه الله	٩٨
١٠	أربع تجري عليهم أجورهم بعد الموت رجل مات	٣١
١١	أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل	١٤٠
١٢	التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير	٨٧
١٣	إن بين الله وبين الخلق أربعين ألف حجاب	٧٧
١٣م	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	١٣٠
١٤	إن الله أذل ابن آدم بالموت	١٠٣
١٥	إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقربه	٣٠
١٦	أيها الناس إنه لم يبق من	١٦٤
١٧	ثلاثة لا تسأل عنهم رجل	٩٧
١٨	الدعاء مخ العبادة	١٤٣



مراجع التحقيق

● **القرآن الكريم ودراساته:**

المصحف الشريف.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

تفسير ابن كثير

زاد المسير ـ لابن الجوزي. المكتب الاسلامي طبعة أولى سنة ١٩٦٨

تفسير الطبري دار المعرفة ١٩٨٠

● **الحديث ودراساته:**

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. لجمع من المستشرقين ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة بريل بلندر ١٦٥

مفتاح كنوز السنة ـ لفنسنك. ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة معارف لاهور ١٩٧٧

تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف

فهرست أحاديث المسند ـ لأبي هاجر سعيد زغلول. دار الكتب العلمية طبعة أولى ١٩٨٥

فتح الباري بشرح صحيح البخاري

صحيح مسلم بشرح النووي

سنن أبي داود

سنن النسائي بشرح السيوطي

جامع الترمذي

سنن ابن ماجة

سنن الدارقطني

سنن الدارمي

سنن ابن ماجة بشرح السندي
عون المعبود بشرح سنن أبي داود
مسند الإمام أحمد ـ المكتب الاسلامي
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمي
الأدب المفرد ـ للبخاري
فضل الله الصمد
شرح السنة للبغوي
المستدرك ـ للحاكم
السلسلة الصحيحة ـ للألباني.
السلسلة الضعيفة ـ للألباني
اللؤلؤ والمرجان ـ محمد فؤاد عبد الباقي
الترغيب والترهيب ـ للمنذري
عمل اليوم والليلة لابن السني
موارد الظمآن
الزهد لابن أبي عاصم
جمع الجوامع ـ للسيوطي
صحيح الجامع الصغير ـ للألباني
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني
ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ـ للألباني
زاد المعاد ـ لابن القيم
تخريج السنة: للألباني
الكامل في الضعفاء ـ لابن عدي

○ كتب العقيدة والوعظ واللغة وكتب الرجال

التوحيد لابن خزيمة
شرح القصيدة الطحاوية
بستان الواعظين ـ لابن الجوزي
التبصرة ـ لابن الجوزي

لسان العرب ـ لابن منظور
تقريب التهذيب ـ لابن جرير
تهذيب التهذيب ـ لابن حجر



فهرست الموضوعات